البَاب الأوّل
ألفَاظ الحَياة السِياسِيَّة

هذا الباب يجلو لنا جانباً من جوانب الحياة فى عصر المسعودى ، وهو الجانب السياسى باعتباره - فى رأيى - أهم جانب من جوانب الحياة ، لأنه هو الذى يصوغ لنا شكل الحياة فى المجتمع ويرسم له حياته الاجتماعية والاقتصادية .

وقد قمت بتقسيم هذا الباب إلى سبعة فصول تناولت فى الفصل الأول : الألفاظ الخاصة بالحاكم ومتعلقاته ونوّابه ، وتناولت فى الفصل الثانى : الألفاظ الخاصة بالقضاء ، وتناولت فى الفصل الثالث: الألفاظ الخاصة بالجيش والمحاربين ، وتناولت فى الفصل الرابع : الألفاظ الخاصة بالأعمال الإدارية والوظائف ، وتناولت فى الفصل الخامس : الألفاظ الخاصة بالتيارات السياسية والفرق الدينية، وتناولت فى الفصل السادس : الألفاظ الخاصة بالمكافآت والعقوبات ، وتناولت فى الفصل السابع · الألفاظ الخاصة بالممالك والدول .

الفصل الأول
الألفاظ الخاصة بالحاكم ومتعلقاته ونوّابه

أولاً : الألفاظ المتعلّقة بألقاب الحاكم

لقد تناولت فى هذه النقطة ألقاب الحاكم فى الممالك الإسلامية وغير الإسلامية وتنحصر هذه الألقاب فى الألفاظ الآتية :

أمير المؤمنين ، الخليفة ، الإمام ، السلطان ، الملك ، الرئيس ، القيِّم ، الزعيم ، التُّبَّع ، الذو، اليعسوب ، الكبش ، المرزبان ، حجة الله ، الدهاقين ، الأراكنة ، المقاول .

أمير المؤمنين :

نلاحظ أن هاتين الوحدتين المعجميتين لكل منهما دلالة خاصة بها ، فكلمة أمير تطلق على كل من نفذ أمره ، وأصله فى اللغة ذو الأمر[١] وقيل أمر القوم : كثروا وذلك لأن القوم إذا كثروا صاروا ذا أمير من حيث إنهم لابد لهم من سائس يسوسهم[٢] .

وأما الوحدة المعجمية الثانية وهى «المؤمنين» من الفعل آمن أى صدَّق ووثَّق ، فالإيمان ضد الكفر ويعنى التصديق وضده التكذيب[٣] .

ومن خلال هاتين الوحدتين المعجميتين ظهرت وحدة دلالية جديدة تعتبر مرادفة فى دلالتها للفظة «الخليفة» ، وهذا النوع من التوليد النحوى يسمى التضام ، كلمة «أمير» + كلمة «المؤمنين» ← المعنى الجديد «الخليفة» ولفظة «أمير المؤمنين» - كما قال ابن خلدون - «سمة لمن يملك الحجاز والشام والعراق والمواطن التى هى ديار العرب ومراكز الدولة وأهل الملّة والفتح»[٤] .

وقد وردت كلمة «أمير المؤمنين» فى مواضع كثيرة عند المسعودى بالمدلول السابق منها : «وكان

---

(١) لسان العرب ، لابن منظور ، ط دار المعارف ، المجلد الأول ، مادة أمر ، ص ١٢٦ .

(٢) المفردات فى غريب القرآن ، للراغب الاصفهانى ، المطبعة الميمنية ١٣٢٤ هـ ، مادة أمر ، ص ٢٣ .

(٣) اللسان ، مادة أمن ١/ ١٤٠ .

(٤) المقدمة لابن خلدون ، ت وافى ، لجنة البيان العربى ، ٢/ ٥٧٩ .

مصحفه بين يديه يقرأ فيه ، فصعدت امرأته فصرخت ، وقالت «قد قُتل أمير المؤمنين» . فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما من بني أمية فوجدوه قد فاضت روحه رضي الله عنه [1]

وإطلاق هذا اللقب على الخليفة عثمان في النص السابق يشعر بالمعنى العسكري وكأن الخليفة قد اكتسب بهذا اللقب السلطتين الدينية والدنيوية . كما أنه يعطيه بعداً دينياً فهو مستخلف من قبل الله عز وجل حيث أنزله بذلك منزلة رفيعة بين رعيته ، فهو النعمة التي وهبها الله لرعيته ، ولقد أصلح الله له الأمور ومن هنا فهو يصلح أمور رعيته ولفرط حرصه على هذا الإصلاح فهو يدقّق في اختيار ولاته وعمّاله وموظفيه .

وفي مقابل هذا فإنه يجب على الرعية أن تسارع إلى طاعته ؛ لأنه مؤيَّد من قِبَل الله - عزَّ وجلَّ - وأول من أُطلق عليه هذا اللقب هو الفاروق عمر بن الخطاب ، فقد كان يُقال لأبي بكر رضي الله عنه «خليفة رسول الله» ثم لمَّا تولى عمر الخلافة بعد وفاة أبي بكر قيل له «خليفة خليفة رسول الله» فدخل المغيرة بن شعبة ذات يوم على عمر فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين . فقال عمر ما هذه ؟ قال المغيرة : ألسنا المؤمنين وأنت أميرنا ؟ فكان أخف من الأول ، فجروا عليه[2]

وفي هذا الصدد يقول المسعودي : «وإنما سُمِّي الفاروق لأنه فرَّق بين الحق والباطل ، وكنيته أبو حفص ، وهو أول من سُمِّي بأمير المؤمنين ، سمَّاه عدي بن حاتم وقيل غيره ، والله أعلم ، وكان أول من سلَّم عليه بها المغيرة بن شعبة ، وأول من دعا له بهذا الاسم على المنبر أبو موسى الأشعري ، وأبو موسى أول من كتب إليه لعبد الله عمر أمير المؤمنين من أبي موسى الأشعري ، فلما قرئ ذلك على عمر قال إني لعبد الله وإني لعمر ، وإني لأمير المؤمنين ، والحمد لله رب العالمين»[3] .

وإذا كان لقب الخليفة يبرر الطابع الديني للحاكم الإسلامي الأعلى باعتباره خليفة رسول الله فإن لقب أمير المؤمنين أقرب إلى إظهار المعنى الدنيوي لأنه يعني أن المؤمنين استحالوا إلى قوة ، وأن رئيس الدولة قد صار المتصرف في أمر هذه القوة ، ولاسيما أن لقب «أمير» غير جديد على العرب إذ استعملوه في العصر الجاهلي للدلالة على «قائد الجيوش» .

---

(١) مروج الذهب . ومعادن الجوهر . المسعودي . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . المكتبة العصرية . بيروت . ١٩٨٧ م . جـ ٢ ، ٣٥٤

(٢) تاريخ الخلفاء . السيوطي . دار الفكر . لبنان ، د . ت . ص ٢٩ . وانظر المقدمة . ت . ص ٢/ ٥٧٩

(٣) مروج الذهب ، جـ ٢/ ٣١٣

الخليفة :

الذى يُستخلف ممن قبله ، والجمع خلائف ، والخلافة : الإمارة ، وخلف فلانٌ فلاناً إذا كان خليفته ، يُقال : خلفه فى قومه خلافةً ، وفى التنزيل العزيز . ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ [الأعراف ١٤٢] ، وخلفتُه إذا جئتُ بعده[١] .

والخلافة : النيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه وإما لموته وإما لعجزه وإما لتشريف المُستخلَف[٢].

وقد عرَّفها ابن خلدون بأنها «حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعى فى مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها»[٣] .

وقد عرَّفها الماوردى بأنها «خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا»[٤] ويتضح من تعريف الماوردى أن الغاية والهدف الرئيسى من الخلافة هو إقامة الدين والالتزام بأحكامه سواء ما اتصل منها بأمور الدين المتعلقة بالعقيدة والعبادة ، أو تلك الأحكام المتعلقة بحياة الناس ومعاملاتهم .

ومن خلال استقراء النصوص التى وردت فى كتاب المسعودى نجد أن لفظة خليفة حملت مدلولين هما : المنفذ لأوامر الله فى الأرض ، وذلك فى قوله : «فقال الله للملائكة : إنى جاعل فى الأرض خليفة ، فقالوا : ربنا ومن يكون ذلك الخليفة ؟ قال : تكون له ذرية ويفسدون فى الأرض ويتحاسدون ، ويقتل بعضهم بعضاً[٥] .

وأما المدلول الثانى هو : الرئيس الأعلى للمسلمين دينياً ودنيوياً وهو يرادف كلمة «أمير المؤمنين»، ويتضح ذلك فى قول المسعودى : «إن جماعة من الغلمان والأتراك قد عزموا على الفتك بالخليفة المتوكِّل فى عسكره»[٦] .

على أننا نلاحظ أنَّ المسعودى لم يطلقها إلا على الخلفاء الراشدين والعباسيين ولم يُطلق لفظة «خليفة» على أحد من الأمويين باستثناء عمر بن عبد العزيز ، ويرجع السبب فى ذلك - من وجهة نظرى - إلى أن صاحب المروج إمامى المذهب يؤمن بأن الأمويين اغتصبوا الخلافة بدون وجه حق ، وأن العباسيين أولى بالخلافة منهم «فإن أبا هاشم أوصى إلى محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، وانجرت فى أولاده الوصية حتى صارت الخلافة إلى بنى العباس، ولهم فى الخلافة حق لاتصال

(١) اللسان ، المجلد الثانى / مادة خلف ، ص ١٢٣٥ .
(٢) المفردات فى غريب القرآن ، مادة خلف ، ص ١٥٥ .
(٣) المقدمة لابن خلدون ، ت وافى ، ٥١٨/٢ .
(٤) الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردى ، مطبعة الحلبى ، القاهرة ،ط الثانية ١٩٦٦ ، ص ٥ .
(٥) المروج ١/ ٣٠ .
(٦) المروج جـ ١١٦/٤ .

النسب، وقد تُوفِّى رسول الله وعمه العباس أولى بالوراثة»[1] .

وأول من لُقِّب بلقب خليفة - باعتبار المدلول الثانى عند المسعودى - أبو بكر الصديق فقد «قيل لأبى بكر يا خليفة الله ، قال : أنا خليفة رسول الله وأنا راضٍ بها»[2] .

والخلافة أخطر المناصب على الإطلاق ، فالخليفة يجمع فى يده بين رياسة الدولة والحكومة - أى السلطة التنفيذية فى المفهوم الحديث - ويخضع له مَنْ دونه خضوعاً تاماً بما فى ذلك حقه المطلق فى اختيارهم وعزلهم ، ولخطورة هذا المنصب ، «ولأن القرآن الكريم لم يحدد شخصية الخليفة ومدى سلطته»[3] فقد أجمع الفقهاء على اشتراط عدة شروط فيمن يتولاَّها ، حاصلها أن يكون كُفْأً للقيام بأعبائه ، والشروط التى وضعها الفقهاء هى «الكفاية الجسدية ، والكفاية العلمية والعدالة ، والثقافة السياسية والحربية والإدارية ، والنسب - أى أن يكون المُرشَّح للخلافة قرشياً - وهذا الشرط الأخير كان محلَّ خلاف بين الفرق الإسلامية ، فيرى أهل السنة وجوب هذا الشرط مستندين إلى قول الرسول ﷺ : «الأئمة من قريش» ، والشيعة يحصرون الخلافة فى علىٍّ وسلالته ، أما الخوارج فلا يأخذون به ويرون أن الخلافة حق لكل مسلم «يصح أن يكون من قريش أو من غيرها»[4] .

وفى هذا الصدد يقول المسعودى : «والذى ذهب إلى أن الإمامة قد تجوز فى قريش وغيرهم من الناس هم المعتزلة بأسرها وجماعة من الزيدية ، ويوافق على هذا القول جميع الخوارج من الأباضية وغيرهم إلا النجدات من فرق الخوارج ، وذهب من قال بهذا القول إلى دلائل ذكروها ، منها قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لو أنَّ سالما حيٌّ لداخلتنى فيه الظنون ، وذلك حين فوَّض الأمر إلى أهل الشورى، وذهب أبو حنيفة وأكثر المرجئة وأكثر الزيدية من الجارودية وغيرها وسائر فرق الشيعة والرافضة والراوندية إلى أن الإمامة لا تجوز إلا فى قريش فقط لقول الرسول ﷺ «قَدِّموا قريشاً ولا تقدَّموها» ، ولما انفرد به أهل الإمامة من أن الإمامة لا تكون إلا نصاً من الله ورسوله على عين الإمام واسمه واشتهاره كذلك ، وفى سائر الأعصار لا تخلو الناس من حجة لله فيهم ظاهراً وباطناً»[5] .

وقد أضيفت لفظة «خليفة» إلى لفظة «الله» فى العصر الأموى ، وقد ازدادت هذه الإضافة فى العصر العباسى لكى يضفى الحاكم على نفسه صفة القداسة بعد ما ضعفت هيبة الخلفاء وأحسوا بخطر

(١) الملل والنحل للشهر ستانى ، تحقيق محمد سيد كيلانى ، مطبعة الحلبى ج ١/ ٥ .

(٢) تاريخ الخلفاء ، السيوطى ، ص ٧٣ .

(٣) تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، د. عبد المنعم ماجد ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، طبعة ١٩٦٣م، ص ٢٥ .

(٤) فجر الإسلام ، أحمد أمين ، ط النهضة المصرية ، ط السابعة ، ١٩٥٩ م ، ص ٢٥٨ .

(٥) مروج الذهب ، جـ ٣/ ٣٣٦-٣٣٧ .

العناصر الأعجمية على أنفسهم ، فاتخذوا من الدين حائلاً يحول بينهم وبين هذه العناصر .

وقد ورد هذان اللفظان بصورة التضام عند المسعودى فى كتابه مثل : «إن يزيد بن عبد الملك خليفة الله استخلفه على عباده ، وأخذ ميثاقهم بطاعته وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة»[1] .

لكننا لا نجد هذا اللفظ أطلق على الخلفاء الراشدين ، كما أنَّ الفقهاء اختلفوا فى إطلاقه على الحاكم الأعلى للمسلمين ، ويقول ابن خلدون فى هذا الصدد :

«واختُلف فى تسمية خليفة الله فأجازه بعضهم اقتباساً من الخلافة العامة التى للآدميين فى قوله تعالى : ﴿ إنى جاعل فى الأرض خليفة ﴾ ومنع الجمهور منه ، وقد نهى أبو بكر عنه لَمَّا دُعى به ، وقال : لست خليفة الله ولكنى خليفة رسول الله ، ولأن الاستخلاف إنما هو فى حق الغائب وأما الحاضر فلا ، والله حاضر لا يغيب»[2] .

الإمام :

جاء فى اللسان : الإمام هو كل من ائتم به القوم ، كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالّين، وقال ابن سيده : والإمام ما ائتم به من رئيس وغيره والجمع أئمة ، وإمام كل شىء : قيِّمه والمصلح له، والقرآن إمام المسلمين ، وسيدنا محمد رسول الله ﷺ إمام الأئمة ، والخليفة إمام الرعية ، وإمام الجند قائدهم»[3] .

وأول من استخدم هذه اللفظة فقهاء الشيعة عندما أطلقوها على الخليفة الرابع على بن أبى طالب واشتهر بها ، لكن الملاحظ أن هذه الكلمة تستعمل عند الشيعة بالمعنى الدينى البحت القائم على مفهوم النص الإلهى ، لأن الخلافة عندهم فى أفراد البيت العلوى فهى قوة إلهية مقدسة لذلك نجد فقهاء الشيعة استخدموا كلمة «الإمامة» بدلاً من الخلافة «ونقلها عنهم فقهاء السنة ، فالماوردى على سبيل المثال يخصص الباب الأول من كتابه «الأحكام السلطانية» ، لموضوع «عقد الإمامة» وذلك بقوله : «والإمامة موضوعة لخلافة النبوة فى حراسة الدين وسياسة الدنيا»[4] .

وتسمية الخليفة إماماً إنما هو تشبيه بإمام الصلاة فى اتباعه والاقتداء به ، وكانت تلك من أهم الحجج التى استند إليها عمر فى القول بأحقية أبى بكر للخلافة ، لأن الرسول ﷺ أنابه عنه فى إمامة المصلين أثناء مرضه ، وفى هذا الصدد يقول ابن خلدون :

---

(١) مروج الذهب ، جـ ٣/ ٢١٢ .
(٢) المقدمة ، لابن خلدون ، ت وافى ٢/ ٥١٩ .
(٣) لسان العرب ، المجلد الأول ، مادة أمم ، ص ٢٣ ، ط دار المعارف .
(٤) الأحكام السلطانية ، ص ٥ .

«ثم إن الشيعة خصوا عليًا باسم الإمام نعتاً له بالإمامة التى هى أخت الخلافة وتعريضا بمذهبهم فى أنه أحق بإمامة الصلاة من أبى بكر لما هو مذهبهم وبدعتهم فخصوه بهذا اللقب ولمن يسوقون إليه منصب الخلافة من بعده»[1] .

ويفسر الشيخ أبو زهرة وجود الترادف بين الإمامة والخلافة بقوله :

«سميت خلافة لأن الذى يتولاها ويكون الحاكم الأعظم للمسلمين يخلف النبى ﷺ فى إدارة شئون المسلمين ، وتُسمَّى الإمامة ، لأن الخليفة كان يُسمَّى إماماً ، ولأن طاعته واجبة ، لأن الناس يسيرون وراءه كما يصلون وراء مَنْ يؤمهم للصلاة»[2] .

على أن الشيعة كانوا يستعملون اصطلاح الإمام فى حالة الدعوة لأحد الأئمة فى الخفاء ، إما إذا استتب الأمر فإنهم يحولون اللقب فيمن بعده إلى أمير المؤمنين كما فعل شيعة بنى العباس»[3] .

ولو تتبعنا التغير التاريخى لهذا اللفظ لوجدنا أنه كان يحمل مدلولى القدوة والمثال فى العصر الجاهلى ويتضح ذلك من خلال قول عنترة :

تصلّى نحوه من كل فجٍّ ملوك الأرض وهو لها إمام[4]

وفى العصر الإسلامى اتسعت دائرة هذا اللفظ فأصبح يحمل عدة مدلولات بالإضافة إلى مدلولى القدوة والمثال ، وهذه المدلولات هى :

إمام الصلاة، والكتاب المُنَزَّل، «القرآن الكريم» ، والطريق الواضح ، والدليل ، واللوح المحفوظ .

«ولم يثبت من الوثائق التاريخية أن أحداً من خلفاء صدر الإسلام وبنى أمية أطلق عليه هذا اللقب «الإمام» فى حياته ولو على سبيل التكريم»[5] .

وفى العصر العباسى كان أول من تلقَّب بلقب الإمام هو إبراهيم بن محمد من بنى العباس إلا أن هذا اللقب لم يكن فى هذه الحالة لقباً عاماً، بل كان نعتاً خاصاً ، ويغلب على الظن أن أول من أطلق عليه الإمام كلقب فخرى عام هو المهدى حين كان وليًا للعهد ، إذ ورد ضمن ألقابه على سكة

(١) المقدمة ، ت وافى ، جـ ٢/ ٥٧٩ .

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ، الشيخ محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربى ، جـ ١/ ٢١ .

(٣) المقدمة لابن خلدون ، ت وافى ، جـ ٢/ ٥٧٩ .

(٤) ديوان عنترة ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٩٢٩ ، ص ١٣٨ .

(٥) دراسات فى الحضارة الإسلامية ، حسن الباشا ، دار النهضة المصرية ، ط ١٩٧٥م ص ٣٩ ، ٤٠ .

بتاريخ ١٥١ هـ من بخارى، ومنذ ذلك الوقت صار هذا اللقب عاماً على خلفاء بنى العباس وغيرهم»[١] .

وقد وردت لفظة الإمام عند المسعودى تحمل ثلاثة مدلولات :

- المدلول الأول : المثال والقدوة ، وذلك فى قوله : «وعبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة فإنه كان إماماً فى التأليف ، متبرعاً فى ملاحة التصنيف»[٢] .
- المدلول الثانى : الخليفة ، وذلك فى قوله : «فزعم هؤلاء أن الله ورسوله فوّض إلى الأمة أن تختار رجلاً منها فتنصبه لها إماماً وأنّ بعض الأعصار قد يخلو من حجة الله وهو الإمام المعصوم عند الشيعة»[٣] .
- المدلول الثالث : المتقدِّم وذلك فى قوله : «ونصَّبت لها ملكا ، وهو البرهمن الأكبر ، والملك الأعظم ، والإمام فيها المُقدَّم وظهرت فى أيامه الحكمة وتقدمت العلماء»[٤] .

ورغم إطلاق لفظ الإمام على الخليفة العباسى فإننا نجد أن هذا اللفظ أقرب إلى الدلالة على المعانى الدينية منها إلى السلطات الدنيوية رغم أنه يشتمل على المعنيين .

السلطان :

هو الملك أو الوالى (ج) سلاطين ، والسلطان : القوة والقهر ، والحجة والبرهان[٥] والنون فى السلطان زائدة لأن أصل بنائه السليط ، وقال أبو بكر : فى السلطان قولان : أحدهما سُمِّى سلطاناً لتسليطه ، والآخر أن يكون سمى سلطاناً لأنه حجة من حجج الله ، وقال الفرّاء : السلطان عند العرب الحجة ، ولذلك قيل للأمراء سلاطين لأنهم الذين تقام بهم الحجة والحقوق[٦] .

وقد أثار بعض الباحثين مسألة أصل هذا اللفظ ، فيؤكد طوبيا العنيسى أنه من الألفاظ التى دخلت العربية قبل الإسلام ، فالسلطان لفظ آرامى «شلطانا» معناه المتسلِّط» أى صاحب السلطة ، وهو مشتق من شلط أى سلط»[٧] .

وفى تصورى أنَّ هذا القول يرجِّحه عدم اتفاق اللغويين العرب القدامى على المعنى والأصل الذى اشتقت منه كلمة السلطان التى قالوا فيها برأيين : أحدهما أن يكون سُمِّى سلطاناً «لتسليطه»، والآخر

(١) المرجع السابق ، ص ٤٠ .
(٢) مروج الذهب ، جـ ١/ ١٤ .
(٣) مروج الذهب ، جـ ١/ ٣٩.
(٤) مروج الذهب ، جـ ١/ ٧٦ .
(٥) المعجم الوسيط ، المجلد الأول ، مادة سلط .
(٦) لسان العرب ، المجلد الثالث ، مادة سلط .
(٧) تفسير الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية ، طوبيا العنيسى ، مكتبة العرب ، ١٩٣٢ ، ص ٧٨ .

أن يكون سمى سلطاناً ، لأنه حجة من حجج الله ، ويرجع السبب فى القول بأن السلطان بمعنى الحجة إلى أنه جاء فى القرآن يحمل هذا المدلول كما فى قوله تعالى :

﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين ﴾ أى حجة بينة .

وقد وردت كلمة السلطان عند المسعودى تحمل مدلولات هى :

- القوة والقدرة والقهر ، فقد دخل أحد الصوفية على مجلس الخليفة المأمون وقال : «أخبرنى عن هذا المجلس الذى أنت قد جلسته أباجتماع من المسلمين عليك ورضا منك ، أم بالمغالبة لهم والقوة عليهم بسلطانك ؟»[1] .

- المدلول الثانى : الحاكم الذى يمتلك القوة والجبروت ، وذلك فى قوله : «قال : لم أجلسه باجتماع منهم ولا بمغالبة لهم ، وإنما كان يتولى أمر المسلمين سلطان قبلى أحمده المسلمون إمَّا على رضا وإما على كره ، فعقد لى ولآخر معى ولاية هذا الأمر بعده فى أعناق من حضره من المسلمين»[2] .

وقد وردت بهذا المدلول نفسه - الحاكم الذى يمتلك القوة والجبروت - فى نص آخر : «فقد أطلق المعتضد بالله من بيت المال لبعض الرسوم فى الجند عشر بدر فحملت إلي منزل صاحب عطاء الجيش ليصرفها ، فنُقب منزله فى تلك الليلة وأُخذت العشر البدر فلما أصبح نظر إلى النقب ولم ير المال ، فأمر بإحضار صاحب الحرس ، وكان على الحرس يومئذ مؤنس العجلى ، فلما أتاه قال له : «إن هذه المال للسلطان والجند»[3] .

- المدلول الثالث : الخليفة - أمير المؤمنين ، وذلك فى قوله : «إنى أحذرك أن تعصى الله ، فإنما جعل الله هذا السلطان ناصراً لدين الله ، وعباده ، فلا تتركنَّ دين الله وعباده»[4] . وقد أشار القلقشندى إلى أن هذا اللقب استعمل لأول مرة على عهد الخليفة هارون الرشيد ، حين لُقِّب به جعفر بن يحيى البرمكى ، ولم يصبح لقباً عاماً إلا بعد أن تغلب الملوك بالشرق مثل بنى بويه على الخلفاء واستأثروا بالسلطة دونهم[5] .

---

(١) مروج الذهب ، جـ ٤/ ٢٠ .
(٢) المرجع السابق ، ٤/ ٢٠ .
(٣) المروج ٤/ ٢٤٨ .
(٤) المروج ، جـ ٣/ ٢١٢ .
(٥) صبح الأعشى ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٩١٤ م - ١٩١٩ م ، جـ ٩/ ٤٠٣ ، ٤٠٤

المَلِك :

مَلَكَ الشيءَ وامتلكه وتملّكه ، وهو مالكه وأحد مُلاّكه[1] : أى حازه وانفرد بالتصرف فيه ، والمَلِك : الله تعالى ، وهو المالك المطلق ، ومالك الملوك ، ومالك يوم الدين ، والمَلِك : ذو المُلْك ، وصاحب الأمر والسلطة على أمة أو قبيلة أو بلاد ، جمعه أملاك ، وملوك[2] . وقال بعضهم : المَلِك والمليك لله وغيره ، والمَلْك لغير الله ، والمَلِك من ملوك الأرض ، ويقال : مَلْك بالتخفيف[3].

ويُطلق لفظ المَلك على المتصرف فى الأمر والنهى فى الجمهور ، ولهذا يقال : مَلِك الناس ولا يقال مَلك الأشياء[4] ، ويُعرِّف القلقشندى المَلِك بأنه هو الزعيم الأعظم ممن لم يطلق عليه اسم الخلافة[5] .

ولو تتبعنا التطور التاريخى لهذا اللفظ لوجدنا أنه كان يحمل فى العصر الجاهلى مدلولين هما :

- الزوج : ويتضح ذلك من خلال قول الأعشى :

لها مَلِكٌ كان يخشى القرافَ إذا خالط الظنُّ منه الضميرا[6]

- الحاكم : ويتضح ذلك من خلال النص الذى أورده الطبرى على لسان أحد الأعراب فى قوله : «والله لقد وفدتُ على الملوك ووفدتُ على كسرى وقيصر والنجاشى ، والله إنْ رأيتُ ملِكاً يعظّمه أصحابه مثلما يعظّم أصحاب محمد محمداً»[7] .

وقد ارتقت دلالة هذا اللفظ بمجئ الإسلام ، وذلك لدلالته على الله سبحانه وتعالى «هو الله الذى لا إله إلا هو الملك» . ولم يطلق هذا اللفظ على الرسول أو على أحد من الخلفاء الراشدين ، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن هذا اللفظ حمل قدسية خاصة بدلالته على الله سبحانه وتعالى ، مما أدى إلى التحرج من إطلاقه على الرسول أو على أحد الخلفاء الراشدين ، حتى إنه لما قال أبو سفيان للعباس بن عبد المطلب : «لقد أصبح مُلْك ابن أخيك عظيماً» قال له العباس: ويحك إنها النبوة[8]»،

(١) أساس البلاغة ، الزمخشرى ، ط دار الشعب ، المجلد التاسع ، مادة ملك ، ص ٩١٤ .
(٢) المعجم الوسيط ، المجلد الثانى ، مادة ملك ، ص ٩٢١ ، الطبعة الثالثة .
(٣) اللسان ، مج ٦ / مادة ملك ، ص ٤٢٦٧ ، ط دار المعارف .
(٤) المفردات فى غريب القرآن ، مادة ملك ، ص ٤٨٩ .
(٥) صبح الأعشى ، جـ ٥/ ٤٤٧ .
(٦) ديوان الأعشى ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٦ م ، ص ٨٦ .
(٧) تاريخ الطبرى ، ت محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ١٩٧٩ م ، جـ ٢/ ٦٢٧ .
(٨) تاريخ الطبرى جـ ٣/ ٥٤ .

كما أن أبا بكر أنكر على نفسه أن يكون مَلِكاً وإنما ارتضى لنفسه أن يكون خليفة وكذلك الخلفاء الراشدون .

وفى العصر الأموى بدأ هذا اللفظ فى الظهور ، وأصبح يُطلق على الخليفة . ومن خلال استقرائنا لنصوص «المروج» يمكننا أن نتبين مدلول لفظ «الملك» في العصر العباسى ، فقد ورد هذا اللفظ فى صورة المفرد «المَلِك» وورد فى صورة «الجمع» «الملوك» كما ورد فى صورة التضام كدار الملك ومجلس الملك وسرير الملك ومدينة الملك .

فلفظتا المَلِك والملوك أطلقتا على الحكّام العرب قبل الإسلام ، كما فى قول المسعودى «وقد كان لليمن ملوك لا يُدعَون بالتبابعة ، ممن تقدم وتأخر منهم حتى ينقاد إلى مُلْكه أهل الشحر وحضرموت، فحينئذ يستحق أن يسمَّى تُبَّعاً ، ومن تَخَلَّف عن مُلْكه مِمَّن ذكرنا سُمِّى مَلِكاً ، ولم يُطلق عليه اسم تُبَّع»[1] .

فالملك فى العبارة السابقة تعنى الحاكم ولكنه أقل درجة من التُبَّع عند أهل اليمن .

وقد وردت لفظتا الملك والملوك للدلالة على لفظى الحكام غير العرب فى أى زمان ومكان ، كما فى قول المسعودى : «ولما هلك هذا المَلِك اختلفت الهند فى آرائها ، فحزبت الأحزاب ، وتجيَّلت الأجيال ، وانفرد كل رئيس بناحية ، فَمَلَك على أرض السند مَلِك ، ومَلَكَ على أرض القنوج مَلِك، وتملَّك على أرض قشمير مَلِك»[2] .

وقد وردت لفظة المَلِك للدلالة على خليفة المسلمين كما فى قول المسعودى : «قال أبو دلف : ما أحسن ما قال يا أمير المؤمنين !! هذا السيد الهاشمى والملك العباسى»[3] .

وأما عن صور التضام التى كانت كلمة «الملك» إحداها فإن فيرث يرى أن التضام وحدة تامة من وحدات الكشف عن المعنى ، ويعده أولمان «نوعاً من أنواع التوليد النحوى ، وهو يرى أن الكلمتين «ربة» و «بيت» كلمتان تقليديتان ولكن التركيب «ربة بيت» يمكن أن يعدَّ تركيباً مولَّداً»[4] . ويعنى هذا وجود كلمتين لكل منهما دلالة خاصة بها ، وعند اتصال هاتين الكلمتين ينتج عنهما معنى جديد مثل:

---

(١) مروج الذهب ، جـ ٢/ ١١٢ .
(٢) مروج الذهب ، جـ ٢/ ١١٢ .
(٣) المروج جـ ٤/ ٦ .
(٤) دور الكلمة فى اللغة ، ستيفن أولمان ، ترجمة د. كمال بشر ، مكتبة الشباب ، ١٩٧٥ م ، ص ٧٤ .

كلمة	كلمة	صورة التضام	المعنى الجديد
دار	الملك[1]	دار الملك	العاصمة
مجلس	الملك[2]	مجلس الملك	مقره
سرير	الملك[3]	سرير الملك	مقعده
مدينة	الملك[4]	مدينة الملك	العاصمة

وتدل الصورة السابقة على أن تغير المعنى نتج عن وجود كلمة ثابتة فى كل مجموعة وهى «المَلك» وكلمة «متغيرة» وهى : دار ، مجلس ، سرير ، مدينة» وترتب على هذه الإضافة وجود دلالة جديدة من الكلمتين معاً «العاصمة ، المقر ، المقعد ، العاصمة» وهذه الدلالة الجديدة لا يمكن أن تؤديها أية كلمة منهما بمعزل عن الأخرى .

الرئيس :

جاء فى اللسان : «رأس القوم يرأسهم بالفتح ، رآسة وهو رئيسهم ، ورأس عليهم كأمر عليهم ، وترأس عليهم كتأمّر ، ورأسوه على أنفسهم كأمّروه ، والرئيس : سيد القوم ، والجمع رؤساء ، وهو الرأس أيضاً»[5] ، وجاء فى المعجم الوسيط : «رأس : زاحم على الرياسة وأرادها ، ورأس القوم : صار رئيسهم»[6] .

ونستنتج من هذا ارتباط لفظ «رأس» بدلالته اللغوية وهى العلو ، ومن هنا أطلق على رأس الإنسان باعتبار أنه أعلى جزء فى جسم الإنسان، وقد استعمل هذا اللفظ فى العصر الجاهلى للدلالة على القائد الحربى ، وذلك فى قول زهير :

ينظر فرسانهم أمر الرئيس وقد ... شدَّ السروج على أنباجها الحُزُم[7]

كما استخدم هذا اللفظ للدلالة أيضاً على الحاكم كما فى قول طرفة بن العبد :

أبى أنزل الجبَّار عامَل رمحه ... وعمى الذى أردى الرئيس المُعمَّما[8]

(١) المروج ، جـ ٤/ ١٦٢ .
(٢) المروج ٤/ ٨٧ .
(٣) المروج ٤/ ١٧٨ .
(٤) المروج ٢/ ١٩٩ .
(٥) اللسان ، مادة رأس ، المجلد الثالث ، ص ١٥٣٤ .
(٦) المعجم الوسيط ، المجلد الأول ، مادة رأس ، ص ٣٣١ .
(٧) ديوان زهير ، شرح الأعلم الشنتمرى ، المطبعة الحميدية ، ١٣٢٣ هـ ، ص ٥٧ .
(٨) ديوان طرفة ، شرح الأعلم الشنتمرى ، مطبعة طرند ، شالون ، ١٩٠٠ م ، ص ٨٤ ويُروى الشطر الثانى : عن السرج حتى خرَّ بين السنابك .

ورغم دلالة هذا اللفظ على الحاكم فإننا نلاحظ أنه لم يتسمَّ به الرسول ﷺ ، كما أنه لمْ يطلق على أحد من الخلفاء الراشدين ، وربما يرجع ذلك إلى أن هذا اللفظ كان يحمل عند الرسول والخلفاء الراشدين مدلول المزاحمة على الرياسة وإرادتها ، الأمر الذى يتنافى مع الإسلام الذى يرفض المزاحمة على الإمارة والرياسة .

وفى العصر الأموى ظل هذا اللفظ بعيد الدلالة عن الخلافة أو إمارة المؤمنين ، وإنما كان يحمل مدلول «زعامة الطوائف الدينية التى كانت تنازع الأمويين على الخلافة» . وما إن نصل إلى العصر العباسى حتى نجد هذا اللفظ قد حمل عند المسعودى عدة مدلولات هى :

- القائد الحربى : وذلك فى قول المسعودى : «وذكر شاهك الخادم قال : كنت عديلا للمستعين عند إشخاص المعتزلة إلى سامرَّا ، ونحن فى عمارية ، فلما وصل إلى القاطول تلقاه جيش كثير ، فقال : ياشاهك انظر من رئيس القوم ؟»[1] .

- الحاكم لإقليم أو بلد : وذلك فى قول المسعودى : «وابتنى له مركبًا لا يلحق فى جريه سرعة، ولا يدرك فى مسيره بنياناً عجيباً ، فسار الرجل حتى أتى مدَّ قبرس ، فاتصل برئيسها وأخبره أنَّ معه جارية للملك»[2] .

- الشريف فى القوم وعظيمهم : وذلك فى قوله «ووصف جمل آداب الطبيخ مما يحتاج التابع إلى معرفته ، والأديب إلى فهمه من المتولدات فى معرفة الألوان ، ومقادير التوابل والأبزار وأنواع المحادثات، وغسل اليدين بحضرة الرئيس والمقام عن مجلسه»[3] .

ورغم دلالة لفظة «الرئيس» على الحاكم فإننا لا نجدها أطلقت على أحد من الخلفاء الأمويين أو العباسيين ، ولم يعزف الأمويون والعباسيون عن هذا اللفظ لنفس السبب الذى عزف عنه الرسول ﷺ والخلفاء الراشدون وإنما لأنه لم يكتسب عندهم السلطتين الدينية والدنيوية ، كما أنه لم يحمل فى طياته بعداً دينياً يجعل الحاكم مؤيداً من قبل الله عز وجل ويحمل الرعية على الولاء له والطاعة كما نجد فى لفظتى «خليفة» و «أمير المؤمنين» . ومن هنا ظل لفظ «رئيس» مقصوراً فى الدلالة على بعض الرئاسات الفرعية التى لا ترقى إلى مستوى الرئيس العام أو الحاكم العام للدولة الإسلامية .

---

(١) مروج الذهب ، جـ ٤/ ١٦٥ .
(٢) مروج الذهب جـ ٤/ ٢١٥
(٣) المروج جـ ٤/ ٢٢٧ .

القيِّم :

السيد ، وسائس الأمر ، ومن يتولَّى أمر المحجور عليه ، وقيِّم القوم الذى يقوم بشأنهم ويسوس أمرهم[١] ، وقام الأمير على الرعية : وليها[٢] ، وقيِّم الأمر : مقيمه ، وأمر قيِّم : مستقيم ، وقيِّم المرأة : زوجها لأنه يقوم بأمرها وما تحتاج إليه[٣] ، وقيام الشيء المراعاة له والحفظ ، وقوله تعالى : ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ﴾ أى حافظ لها[٤] .

وقد استخدم هذا اللفظ فى العصر الجاهلى بمعنى الزوج وذلك فى قول جارية من بنى جعفر بن كلاب لجارية مثلها تزوجتا أخوين من بنى أبى بكر بن كلاب :

ألا يا ابنة الأخيار من آل جعفر ... لقد ساقنا من حيِّنا هجمتاهما

أُسَيْود مثل الهرِّ لادرَّ درُّه ... وآخر مثل القرد لاحبذاهما

يشينان وجه الأرض إن يمشيا بها ... وتخزى إذا ما قيل : من قيِّما هما ؟[٥]

وقد اتسعت دلالة هذا اللفظ فى الإسلام فأصبح يدل على السيِّد وعلى كل من يسوس أمر قوم إلى جانب دلالته على الزوج ، كما فى الحديث : «حتى يكون لكل خمسين امرأة قيِّم واحد» ، ولم يطلق هذا اللفظ على الرسول ﷺ أو الخلفاء الراشدين كما أنَّه لم يطلق على أحد من الحكام الأمويين أو العباسيين .

وقد ورد هذا اللفظ فى كتاب المسعودى يحمل مدلولين هما :

● كل من يسوس أمر قوم : وذلك فى قوله : «وكان القيِّم بعد سام فى الأرض ولده أرفخشذ، وكان عمره إلى أن قبضه الله عز وجل أربعمائة سنة وخمساً وستين سنة ، وكانت وفاته فى نيسان»[٦]، ويقول المسعودى فى موضع آخر : «فأما على الرواية الأولى التى قدمنا ذكرها أنَّ القيِّم بعد يوسع فى بنى إسرائيل كالب بن يوقنا ، وأن القائم بعده فى بنى إسرائيل والمدبِّر لهم فنحاص بن العاذر بن هارون بن عمران ثلاثين سنة»[٧] .

---

(١) المعجم الوسيط ، المجلد الثانى ، مادة قوم ، ص ٧٩٨ .

(٢) أساس البلاغة ، مادة قوم ، المجلد السابع ، ص ٧٩٩ .

(٣) اللسان ، المجلد الخامس ، مادة قوم ، ص ٣٧٨٤ ، ٣٧٨٥ .

(٤) المفردات فى غريب القرآن ، مادة قوم ، ص ٤٢٨ .

(٥) اللسان ، المجلد الخامس ، مادة قوم ، ص ٣٧٨٤ .

(٦) المروج ١/ ٤٣ .

(٧) المروج ١/ ٥٣ .

● كل من يساعد الخليفة ويعاونه فى شئون الدولة : ويتضح ذلك من خلال هذا النص الذى أورده المسعودى فى المروج : و«حبس يحيى بن خالد البرمكى وأراد قتله ، فقال له يحيى - وكان القيِّم بأمر الرشيد - يا أمير المؤمنين ، أرأيت إن كان ما أسأل الله أن يعيننا منه ، وأن لا يبلغناه وينسأ فى أجل أمير المؤمنين ، أيظن أن الناس يسلمون لجعفر ابن أمير المؤمنين الأمر ولم يبلغ الحنث ، ويرضون به لصلاتهم وحجتهم وغزوهم ؟ قال : ما أظن ذلك[1] » .

الزعيم :

زعم فلان أن الأمر كيت وكيت زَعْماً ومزعماً : إذا شككت أنه حق أو باطل ، وأكثر ما يستعمل فى الباطل ، ، وزعمت به : كفلتُ ، وفى التنزيل : «وأنا به زعيم» ، وهو زعيم بنى فلان: سيدهم[2] ، وزعيم القوم : رئيسهم المتكلم عنهم ، والجمع زعماء ، والزعامة : السيادة والرياسة[3]، والزعيم : السيد والكافل ، وكأنه بولايته على القوم سادهم أو كفلهم وتولاهم[4] .

ولو تتبعنا التطور التاريخى لهذه اللفظة لوجدنا أنها كانت تحمل فى العصر الجاهلى مدلولين هما : الكفيل والقائد الحربى ، والشاهد على المدلول الأول : «الكفيل» قول المزرد أخو الشماخ :

زعيمٌ لمن قاذفتُه بأوابد ... يُغنِّى بها السارى وتُحْدَى الرواحل[5]

والشاهد على المدلول الثانى : «القائد الحربى» هو :

حتى إذا رفع اللواء رأيته ... تحت اللواء على الخميس زعيما[6]

وقد اتسعت دلالتها فى العصر الإسلامى فأصبحت تطلق على رئيس الطائفة الدينية والسيد الشريف .

وقد وردت هذه اللفظة عند المسعودى تحمل مدلول : رئيس الجماعة وسيدها ، وذلك فى قوله : «ثم أمر بهانئ بن عروة فأخرج إلى السوق ، فضرب عنقه صبراً ، وهو يصيح ياآل مراد ، وهو شيخها، وزعيمها»[7] .

---

(١) مروج الذهب ، جـ ٣/ ٣٤٣ .
(٢) أساس البلاغة ، الجزء الرابع ، مادة زعم ، ص ٤٠٠ .
(٣) اللسان ، مج ٣ ، مادة زعم ، ص ١٨٣٥ .
(٤) صبح الأعشى ، جـ ٦/ ١٥ .
(٥) ديوان المفضليات ، ت أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف ، ط الخامسة ، ١٩٧٦ م ، ص ١٠٠ .
(٦) اللسان ، مج ٣ مادة زعم / ١٨٣٦ .
(٧) المروج ٣/ ٦٩ .

وقد وردت هذه اللفظة بصورة الجمع فى قوله : «ومرَّ الأشعث بالصحيفة يقرؤها على الناس فرحاً مسروراً ، حتى انتهت إلى مجلس لبنى تميم ، فيه جماعة من زعمائهم»[1] .

الذو - الأذواء :

جاء فى اللسان : الذو والأذواء : هم الأملاك الملقبون بذو كذا ، كقولك ذو يزن وذو رعين وذو فائش وذو جدن وذو نواس وذو أصبح وذو الكلاع ، وهم ملوك اليمن من قضاعة ، وهم التبابعة[2]، ولكنهم ليسوا التبابعة كما ذكر صاحب اللسان وإنما هم كانوا دون التبابعة . وفى هذا الصدد يقول المسعودى : «وقد كان لليمن ملوك لا يدعون بالتبابعة ، ممن تقدم وتأخر منهم ، حتى ينقاد إلى ملكه أهل الشحر وحضرموت ، فحينئذ يستحق لقب أن يسمى تبعاً ، ومن تخلَّف عن ملكه ممن ذكرنا سُمِّى ملكا ، ولم يطلق عليه اسم تبع»[3] .

ويعلل المسعودى سبب إطلاق هذا اللقب المركَّب من : ذو + كلمة بقوله : «أسماء ملوك اليمن كذى يزن وذى نواس وذى منار ، وغير ذلك مضافة إلى مواضع وإلى أفعال لهم وسير وحروب وغير ذلك ، وهى سمات لهم وتميزهم عن غيرهم ، وتبين كل واحد منهم عن غيره من ملوكهم[4] .

التبَّع - التبابعة :

هم ملوك اليمن، واحدهم تُبَّع، سُمُّوا بذلك لأنه يتبع بعضهم بعضاً ، كلما هلك واحد قام مقامه آخر تابعاً له على مثل سيرته، وزادوا الهاء فى «التبابعة» لإرادة النسب، وفى الحديث: «لا تسبُّوا تُبَّعاً فإنه أول من كسا الكعبة»، وقيل: كان ملك اليمن لا يُسمَّى تُبعًا حتى يملك حضرموت وسبأ وحمير»[5] .

«وكان التُّبَّع بمنزلة الإمبراطور - أى ملك الملوك - لسيادته على عدة ملوك مستقلين استقلالاً داخلياً يسمون الأذواء أو الأقيال»[6] .

وقد ورد هذا اللفظ فى صورتى المفرد والجمع عند المسعودى حاملاً مدلول «ملك الملوك» وذلك

---

(١) المروج ٢/٤٠٣ .

(٢) لسان العرب ، المجلد الثالث ، مادة ذو وذوات ، ص ١٤٧٦ .

(٣) مروج الذهب ، جـ ٢/ ١١٢ .

(٤) مروج الذهب ٢/ ٨٩ .

(٥) اللسان ، المجلد الأول ، مادة تبع ، ص ٤١٨ .

(٦) تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، د. حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧م ، جـ ١/ ٢٢ .

فى قوله : «وقد كان لليمن ملوك لايدعون بالتبابعة ، ممن تقدم وتأخر منهم حتى ينقاد إلى مُلْكه أهل الشحر وحضرموت ، فحينئذ يستحق أن يسمى تُبَّعا»[١] .

اليعسوب :

هو أمير النحل وذكرها ، وانتقلت دلالته عن طريق المجاز إلى سيد القوم ورئيسهم ، والجمع يعاسيب»[٢] . وجاء فى اللسان : اليعسوب : السيد والرئيس والمقدم ، وأصله فحل النحل ، ويقال للسيد : يعسوب قومه ، وفى حديث على : «أنا يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب الكفار يلوذون به كما يلوذ النحل بيعسوبها»[٣] . لكننا نلاحظ أن مجمع اللغة العربية يقول عن اليعسوب : ملكة النحل، وهى أنثى ، وكان العرب يظنونها ذكراً لضخامتها»[٤] . وأرجّح ما قاله المجمع ربما لأن أمير النحل لا يكون ذكرها وإنما أميرة النحل هى الأنثى باعتبارها الملكة، وربما توهم العرب أنها فحل النحل لكبر حجمها .

وقد وردت هذه اللفظة عند المسعودى تحمل المدلولين : الحقيقى «ملكة النحل» والمجازى «سيد القوم» . فالمدلول الحقيقى يتضح من خلال قوله : «فأرسل الله عليهم الطير الأبابيل ، أشباه اليعاسيب، ترميهم بحجارة من سجِّيل»[٥] ، والمدلول المجازى يتضح كذلك من خلال قوله : «ووقف علىٌّ على عبد الرحمن بن عتَّاب بن أُسيد بن أبى العاص بن أمية وهو قتيل يوم الجمل فقال : لهفى عليك يعسوب قريش»[٦] .

الكَبْش :

هو فحل الضأن فى أى سن كان[٧] ، والجمع أكْبُش وأكْبَاش وكِبَاش وكُبْشان ، وقد انتقلت دلالته عن طريق المجاز إلى القائد ، ومن المجاز قولهم : هو كبش الكتيبة وهم كِباش الكتائب ، وقال الشاعر : وإنا لَمَّا نضرب الكَبْش ضَربةً على رأسه تُلقى اللسان من الفم[٨]

(١) مروج الذهب ، جـ ٢/ ١١٢ .
(٢) الشامل ، د. عبد المنعم سيد ، مكتبة غريب ، ط الأولى ، ١٩٨٢ م ، جـ ٣/ ٩٦ .
(٣) اللسان ، مج ٤ ، مادة عسب ، ص ٢٩٣٦ .
(٤) المعجم الوسيط ، جـ ٢ ، مادة عسب ، ص ٦٢١ .
(٥) المروج ، جـ ٢/ ١٢٨ .
(٦) المروج ، جـ ٢/ ٣٨٠ .
(٧) المعجم الوسيط ، جـ ٢ / مادة كبش ، ص ٨٠٥ .
(٨) أساس البلاغة ، جـ ٧ ، مادة كبش ، ٨٠٧ .

وكْبش القوم : رئيسهم وسيدهم ، وهو حاميتهم والمنظور إليه فيهم[1] . وقد وردت لفظة الكبش عند المسعودى تحمل مدلول : قائد القوم وحاميهم وذلك فى قوله : «فقال له معاوية : قد والله واريت كبشاً من كِباش القوم وسيداً من سادات خزاعة غير مدافع ، والله لو ظفرت بنا خزاعة لأكلونا»[2] .

وفى موضع آخر يقول : «وقتل حوشب ذو ظَليم ، وهو كبش من كباش اليمن من أهل الشام ، وكان على راية ذهل بن شيبان»[3] .

المَرْزُبان :

فارسية معرَّبة ، مركَّبة من : مَرْز بمعنى البلد أو الثغر ، ومن : بان ومعناها : حارس أو حاكم، والمعنى الكلى : حاكم الثغر ، وقد جاء فى اللسان : «المرزبان : الفارس الشجاع المقدَّم على القوم دون الملك ، وهو مُعرَّب»[4] . وفى الحديث : أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم . وجاء فى المعجم الوسيط : المرزبان : الرئيس من الفرس ، مُعرَّب ، والجمع : المرازبة»[5] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل المدلول الآتى : صاحب ربع من المملكة ، أو قائد عسكر ، أو وزير ، أو صاحب ناحية من النواحى ، أو واليها ، وذلك فى قوله : «وإنما كان مرزبانا على ما وصفنا للملوك ممن ذكرنا ، وتفسير مرزبان يراد به صاحب ربع من المملكة ، وقائد عسكر ووزير وصاحب ناحية من النواحى ووالياها»[6] .

حجة الله :

جاء فى اللسان : الحجة : البرهان ، واحتجَّ بالشىء: اتخذه حجة ، والجمع : حجج وحجاج[7].

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : خليفة الله فى الأرض الذى يختاره الله دون سائر خلقه ويصطفيه ، وتأتى مرتبته بعد أنبياء الله ، وقد أطلق الخلفاء العباسيون وقبلهم الأمويون على أنفسهم هذا اللقب لكى ينقاد لهم الناس ؛ لما يحمله هذا اللقب من سلطة دينية ودنيوية

---

(١) اللسان ، مج ٥ ، مادة كبش ، ص ٣٨١٢ .
(٢) المروج ، جـ ٢/ ٣٩٨ .
(٣) المروج ، جـ ٢/ ٣٩٩ .
(٤) اللسان ٦/ ٤١٧٩ : مرز ، المعجم الذهبى ٥٤١ .
(٥) المعجم الوسيط ٢/ ٨٩٧ .
(٦) المروج ١/ ٢٢٨ .
(٧) اللسان ٢/ ٧٧٩ .

ولما له من قداسة وهيبة ، كما أطلقه الشيعة على أئمتهم ليؤكدوا عصمتهم .

ومثال ما جاء ذلك فى كتاب المسعودى : «فزعم هؤلاء أن الله ورسوله فوَّض إلى الأمة أن تختار رجلاً منها فتنصب لها إماماً ، وأن بعض الأعصار قد يخلو من حجة الله وهو الإمام المعصوم عند الشيعة»[1] .

الدِّهقان :

بكسر الدال وضمها فارسى مُعرَّب ، وأصله فى الفارسية : دهگان ، ومعناه : صاحب القرية ، مالك الأرض ، التاجر ، قال سيبويه : إن جعلت دهقان من الدَّهق لم تصرفه . والجمع : الدهاقنة والدهاقين ، قال :

إذا شئتُ غنَّتنى دهاقينُ قريـــةٍ وصنَّاجةٌ تحدو على كل مَنْسِم[2]

والدِّهقان : رئيس القرية ، و - رئيس الإقليم ، و - القوى على التصرف مع شدة وخبرة ، و - من له مال وعقار ، والتاجر وهو مُعرَّب[3] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلولين :

- القوى على التصرف مع شدة وخبرة . وذلك فى قوله : «وسار أبو عبيد حتى عبر الفرات، وعقد له بعض الدَّهاقين جسراً ، فلما خلف الفرات وراءه أمر بقطع الجسر»[4] .

- رئيس القرية : وذلك فى قوله : «وولَّى الأشتر على مصر وأنفذه إليها فى جيش ، فلما بلغ ذلك معاوية دسَّ إلى دِهقان كان بالعريش فأرغبه وقال : أترك خراجك عشرين سنة واحتل للأشتر بالسمِّ فى طعامه»[5] .

الأراكنة :

جاء فى اللسان : «الأركون : العظيم من الدهاقين . والأركون رئيس القرية ، وفى حديث عمر رضي الله عنه أنه دخل الشام فأتاه أركون القرية ، فقال له : قد صنعت لك طعاماً» ، وأركون القرية : رئيسها ودهقانها الأعظم ، وهو على وزن أفعول من الركون والسكون إلى الشىء والميل إليه ، لأن أهلها يركنون إليه ، أى يسكنون ويميلون»[6] .

---

(١) المروج ١/ ٣٩ .
(٢) اللسان ٢/ ١٤٤٢ : دهق ، المعجم الذهبى ٢٨٤ .
(٣) المعجم الوسيط ١/ ٣١٠ ، شفاء الغليل ص ٩٩ .
(٤) المروج ٢/ ٣١٥ ، ٣١٦ .
(٥) المروج ٢/ ٤٢٠ .
(٦) اللسان ٣/ ١٧٢٢ : ركن .

ومن المرجَّح أنَّ هذه اللفظة مُعرَّبة وليست - كما قال صاحب اللسان - على وزن أفعول من الفعل ركن ، وهى من أصل يونانى Archein أرخون وأركون بمعنى المبتدأ والأول من كل شيء ثم اتسعت دلالتها لتشمل الرئيس والقائد والزعيم»[1] .

وقد رجَّح تعريب هذه الكلمة أيضاً المعجم الوسيط ففيه : «الأركون : رئيس القرية «مع»[2] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلولين أحدهما :

● المَلِك ، وذلك فى قول المسعودى «وكتب إليه ملك الهند : من ملك الهند وعظيم أراكنة المشرق وصاحب قصر الذهب وأبواب الياقوت والدر إلى أخيه ملك فارس وصاحب التاج والراية كسرى أنو شروان»[3] .

● الرئيس : وهو يقلُّ فى منزلته عن المدلول الأول «المَلِك» ، وذلك فى قول المسعودى : «وأهل الصين يتخذ ملوكها وقوادها ، وأراكنتها الأعمدة من العاج ، ولا يدخل قوادها ولا أحد من خواصها على ملوكها بشيء من الحديد ، بل بتلك الأعمدة المتخذة من العاج»[4] . ولم يُطلق هذا اللفظ على أحد من الخلفاء الأمويين أو العباسيين .

المَقَاوِل :

جاء فى اللسان : «المِقْوَل : القَيْل بلغة أهل اليمن ، قال ابن سيده : المقول والقَيْل : الملك من ملوك حمير يقول ما شاء وأصله : قَيِّل وقِيل : وهو دون المَلِك الأعلى ، والجمع أقوال . قال سيبويه: كسّروه على أفعال تشبيهاً بفاعل ، وهو المقول ، والجمع المقاول والمقاولة ، دخلت الهاء فيه على حد دخولها فى القشاعمة ، قال لبيد :

لها غُلَلٌ من رازقيٍّ وكُرْسُفٍ ... بأيمانِ عُجْمٍ ينْصفُوُن المقاولا

وقال الجوهرى : أصل قَيْل قَيِّل بالتشديد مثل سيِّد من ساد يسود . كأنه الذى له قول ، أى ينفذ قوله والجمع أقوال وأقيال أيضاً ، ومَنْ جمعه على أقيال لم يجعل الواحد منه مشدَّداً . وجاء فى التهذيب : وهم الأقوال والأقيال ، الواحد قَيْل ، فمن قال أقيال بناه على لفظ قَيْل ، ومن قال أقوال بناه على الأصل وأصله من ذوات الواو»[5] .

---

(١) تفسير الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية ، طوبيا العنيسى ، دار العرب للبستانى ، ط ١٩٦٥ م ، ص ٢ .

(٢) المعجم الوسيط ١/ ٣٨٤ .

(٣) المروج ١/ ٢٦٦ .

(٤) المروج ٢/ ٧ .

(٥) اللسان ٥/ ٣٧٧٩ ، ٣٧٨٠ : قول .

ورُوى عن النبى ﷺ أنه كتب لوائل بن حُجْر ولقومه : من محمد رسول الله إلى الأقوال العباهلة ، وفى رواية : إلى الأقيال العباهلة ، قال أبو عبيدة : الأقيال ملوك باليمن دون المَلِك الأعظم واحدهم قَيْل . ومن المرجَّح أنَّ هؤلاء الملوك اطلق عليهم أقيالاً .

ويمكن أن نفسر سبب إطلاق هذا اللقب على ملوك حمير لإشعار الناس بأنهم إذا قالوا قولاً نفَّذوه، فالمقاول : هم الملوك النافذو القول والأمر .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : ملوك اليمن دون الملك الأعظم . وذلك فى قوله : «وأتت معد يكرب الوفود من العرب تهنِّيه . . وعلى يمينه ويساره الملوك وأبناء الملوك وأبناء المقاول»[1] .

ثانياً : الألفاظ الخاصة بمتعلقات الملوك :

لقد تناولت فى هذا المبحث الألفاظ الخاصة بمتعلقات الملوك وهى : الإيوان ، التاج ، السرير ، المِخصر ، القضيب ، البردة .

الإيوان :

الإوان والإيوان : مجلس كبير على هيئة صفة واسعة لها سقف محمول من الأمام على عقد ، يجلس فيها الملك وكبار القوم ، وهو شبه أزج غير مسدود الوجه ، وهو مُعرَّب عن إيوان الفارسية ومعناها بيت أو قاعة للاستقبال عند ملوك الساسانيين ، وجمع الإوان أُوُن مثل خِوان وخُون ، وقيل جمع الإيوان : أواوين وإيوانات مثل ديوان ودواوين[2] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلولاً واحداً هو : قاعة الاستقبال عند ملوك الساسانية ، التى بناها سابور بن هرمز فى الجانب الشرقى من المدائن وعُرف بإيوان كسرى ، ومن ذلك قوله : «فسكن سابور الجانب الشرقى من المدائن ، وبنى هناك الإيوان المعروف بإيوان كسرى إلى هذه الغاية»[3] .

وإيوان كسرى بهو كبير مربع الشكل تحيط به الجدران من ثلاث جهات ، وأما الجهة الرابعة فكانت مفتوحة لا جدار فيها ، ولا يزال جانب باقياً جنوب شرقى بغداد»[4] .

---

(١) المروج ٢/ ٨٣ .

(٢) اللسان ١/ ١٧٨ ، المعجم الكبير ١/ ٦٦٧ ، فرهنگ طلانى ٨٦ .

(٣) المروج ١/ ٢٥٩ .

(٤) المعجم الكبير ١/ ٦٦٧ .

ويعلّل المسعودى بقاء الجهة الرابعة من إيوان كسرى مفتوحة لا جدار فيها بقوله : «وانصرف أنو شروان إلى العراق ، ووفدت عليه رسل الملوك وهداياها والوفود من الممالك ، وكان فيمن وفد إليه رسول لملك الروم قيصر بهدايا وألطاف ، فنظر الرسول إلى إيوانه وحسن بنيانه واعوجاج فى ميدانه ، فقال : كان يحتاج هذا الصحن أن يكون مربعاً ، فقيل له : إن عجوزاً لها منزل من جانب الاعوجاج منه ، وإن الملك أرادها على بيعه ، وأرغبها ، فأبت ، فلم يكرهها الملك ، وبقى الاعوجاج من ذلك على ما ترى»[1] .

التاج :

كلمة فارسية معرَّبة ، أصلها البهلوى : تاگ ، ومعناها : ما يُصاغ للملوك من الذهب والجوهر فيوضع فوق الرأس ، والجمع : أتواج وتيجان ، وهو الإكليل والقُصَّة . والعِمامة : تاج على التشبيه، وفى الحديث «العمائم تيجان العرب»، وإمام تائج : ذو تاج»[2] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلولين : أحدهما حقيقى ، وهو الإكليل يوضع فوق رأس الملك مرصَّع بالذهب والجواهر ، ومن ذلك قوله : «وبعث عمر وفداً إلى ملك الروم فى أمر من مصالح المسلمين ، وحق يدعوه إليه ، فلما دخلوا إذا ترجمان يفسر عليه ، وهو جالس سرير مُلْكه، والتاج على رأسه»[3] .

ومن الملاحظ أن التاج لم يُتخذ عند العرب - كغطاء للرأس - فى العصر الجاهلى ولا فى عصر صدر الإسلام وإنما كانوا يتخذون العِمامة . وقد بدأ التاج يشق طريقه إلى خلفاء المسلمين فى العصرين الأموى والعباسى نتيجة الامتزاج الحضارى الذى تم فى هذين العصرين بين العرب وغيرهم من الأعاجم ، وبالرغم من ذلك فقد كانوا يجدون فيه تحرُّجاً ، ويؤكد ذلك أن عُبيد الله بن قيس الرقيات عندما اتصل بالأمويين مدح عبد الملك بن مروان بقصيدة جاء فيها :

يأتلق التاج فوق مفرقه ... على جبين كأنه الذهب

فلم يستحسن عبد الملك هذا المدح ، وقال : تمدحنى بما يُمدح به العجم وتقول فى ابن الزبير :

إنما مصعب شهاب من الله ... تجلَّت عن وجهه الظلماء

وأما المدلول المجازى لهذه اللفظة فهو : عظماء الناس وأصحاب المكانة والرفعة وذلك فى قوله :

---

(١) المروج ١/ ٢٦٤ .

(٢) اللسان ١/ ٤٥٤ : توج ، المعجم الوسيط ١/ ٩٣ ، ٩٤ ، القاموس المحيط ١/ ١٧٩ .

(٣) المروج ٣/ ١٩٥ .

«لا يعندهم ملك إلا قصموه ، ولا يوافيهم جبَّار فى جيش إلا كسروه ، فذلت لهم البلاد ، وأذعن لطاعتهم العباد ، فصاروا تاج الأرض»[1] .

السرير :

المضطجع ، والجمع أسرَّة وسرر ، والسرير : ما يُجلس عليه ، وفى التنزيل : «على سرر متقابلين» ، وقد يُعبَّر بالسرير عن المُلْك والنعمة ، وأنشد :

وفَارَق منها عيشةً غيدقيةً ولم يخش يوماً أن يزول سريرها[2]

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى فى صورة التضام والإفراد تحمل مدلولين هما :

- المُلْك والنعمة وذلك فى قوله : «فقطن ذلك الرجل فى هذه المملكة ، واستولى عليها ، وصار المُلْك فى عقبه ، فسمِّى صاحب السرير ، ودار مملكته تعرف بحمرج»[3] .

- التخت المخصص للملك أو الخليفة أو الأمير للجلوس عليه أمام الناس ، وذلك فى قوله : «ثم جلست قلبطرة الملكة على سرير مُلْكها ، ووضعت تاجها على رأسها»[4] .

وفى موضع آخر يقول المسعودى : «ثم يخرج - معاوية - فيصلى العصر ، ثم يدخل إلى منزله فلا يطمع طامع ، حتى إذا كان فى آخر أوقات العصر خرج فجلس على سريره ، ويؤذن للناس على قدر منازلهم»[5] .

المِخْصر :

المِخْصرة : كالسوط ، وقيل شىء يأخذه الرجل بيده ليتوكأ عليه مثل العصا ونحوها ، وهو أيضاً مما يأخذه الملك يشير به إذا خطب ، قال :

يكاد يزيل الأرض وقع خطابه إذا وصلوا أيمانهم بالمخاصر

وفى الحديث : أن النبى ﷺ خرج إلى البقيع وبيده مِخْصرة له ، فجلس فنكت بها فى الأرض، فالمِخْصرة : ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه من عصا أو مقرعة أو عنزة أو عكازة أو قضيب وما أشبهها ، والمِخصرة : كانت من شعار الملوك . والجمع مخاصر[6] .

---

(١) المروج ٢/ ١٨١ . (٢) اللسان ٣/ ١٩٩١ ، القاموس المحيط ٢/ ٤٦ .
(٣) المروج ١/ ١٩٣ . (٤) المروج ١/ ٣٠٦ . (٥) المروج ١/ ٤٠ .
(٦) اللسان ٢/ ١١٧٢ ، المعجم الوسيط ١/ ٢٤٦ ، القاموس المحيط ٢/ ٢٠ .

من خلال ما سبق يمكن تحديد مدلول المِخْصرة أو المِخْصر فى الآتى :

السوط . وكل ما يُتوكأ عليه . وكل ما يشير به الملك أو الخطيب وهو يخطب أو يحدِّث الناس.

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلولاً واحداً هو : «قطعة خشبية يحتفظ بها الخليفة عنده ، ويشير بها عندما يتحدث إلى الرعية ، وهى من مستلزمات الخلافة يعطيها الخليفة لمن يُبايَع بالخلافة من بعده ، ومثلها فى ذلك مثل الخاتم والقضيب والبردة والتاج ، ويبدو أن هذه القطعة الخشبية التى توارثها الأمويون والعباسيون هى المِخْصرة التى خرج بها الرسول ﷺ إلى البقيع وهى بيده ، كما توارثوا عنه من قبل البردة .

ويؤكد ذلك المسعودى فى قوله : «فأخرجهم من القرية إلى موضع رمل ، فقال : اكشفوا هنا ، فكشفوا ، فإذا البرد والقضيب والمِخْصر قد دفنها مروان لئلا تصير الخلافة إلى بنى هاشم»[1] .

القضيب :

الغُصْن ، وكل نبت من الأغصان يُقضب ، والجمع قُضُب وقُضْب وقُضْبان وقِضبان ، والقضيب: السيف اللطيف الدقيق، وفى مقتل الحسين عليه السلام : فجعل ابن زياد يقرع فمه بقضيب، قال ابن الأثير : أراد بالقضيب السيف اللطيف الدقيق ، وقيل : أراد العود وهو ضد الصفيحة .

ويقول أبو حنيفة : القضيب القوس المصنوعة من القضيب بتمامه ، والقضيب قِدْح من نبع يُجعل منه سهم[2] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول :

- عصا تشبه الصولجان يحملها الخليفة فى المواكب والأعياد ، وهى من شعار الخلافة وعلاماتها. وذلك فى قوله «وأتى بخادمه كوثر وكان حظيّه ، معه الخاتم والبرد والسيف والقضيب»[3].

وفى موضع آخر يقول : «فقال : اكشفوا هنا ، فكشفوا فإذا البرد والقضيب ومخصر قد دفنها مروان لئلا تصير الخلافة إلى بنى هاشم»[4] .

---

(١) المروج ٣/ ٢٦٢ .

(٢) اللسان ٥/ ٣٦٥٩ ، ٣٦٦٠ ، القاموس المحيط ١/ ١١٧ ، المعجم الوسيط ٢/ ٧٧٠ .

(٣) المروج ٣/ ٤٢٢ .

(٤) المروج ٣/ ٢٦٢ .

● السيف اللطيف الدقيق . وذلك فى قوله : «فقال ابن زياد : أدنوه منى ، فأدنوه منه ، فضرب وجهه بقضيب كان فى يده حتى كسر أنفه وشق حاجبه ونثر لحم وجنته»[1] .

● آلة موسيقية وترية يُضرب عليها بريشة «العود» ، وذلك فى قوله : «حدَّث إبراهيم الموصلى قال : جمع الرشيد ذات يوم المغنين ، فلم يبق أحد من الرؤساء إلا حضر ، وكنت فيهم ، وحضر معنا مسكين المدنى ، ويعرف بأبى صدقة ، وكان يوقع بالقضيب ، مطبوعاً حاذقاً ، طيب العشرة»[2] .

البُرْدة :

البُرْد : شُقَّة من صوف ، لها هُدْب ، وكساء صغير مربع أسود ، تلبسه الأعراب ، وهى الشملة السوداء ، والجمع بُرَد وبِرَاد ، يقول أبو ذؤيب فى وصف كلاب صيد وثور :

فسمعتْ نبأةً منها فآسَدَها ... كأنهنَّ لدى أنسائه البُرَد

وكساء كساه الرسول ﷺ كعب بن زهير الشاعر فاشتراها معاوية منه ، والخلفاء تتوارثها . والبُرْد من الثياب : ثوب فيه خطوط يُلتحف به والجمع أبراد وأبرُد وبُرود»[3] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول الكساء الذى كساه الرسول كعب بن زهير الشاعر ، واشتراه منه معاوية ، وأخذ الخلفاء يتوارثونه واعتبروه من مستلزمات الخلافة . ومن ذلك قوله : «وطرب الوليد لليلتين خلتا من مُلْكه وأرق فأنشأ يقول :

طال ليلى وبت أسقى السلافة ... وأتانى نعىٌ مَنْ بالرُّصافة

وأتانى ببردة وقضيب ... وأتانى بخاتم للخلافة[4]

وفى موضع آخر يقول المسعودى : «وأتى بخادمه كوثر وكان حظيَّه ، معه الخاتم والبُرْد والسيف والقضيب»[5] .

وبشأن البردة النبوية التى تداولها الخلفاء يقول السيوطى : «لمَّا أنشد كعب بن زهير رضي الله عنه النبى ﷺ قصيدته : بانت سعاد ، رمى إليه ببردة كانت عليه ، فلما كان زمن معاوية رضي الله عنه كتب إلى كعب : بعنا بردة رسول الله ﷺ بعشرة آلاف درهم ، فأبى عليه ذلك ، فلما مات كعب بعث معاوية إلى أولاده بعشرين ألف درهم وأخذ منهم البردة التى هى عند خلفاء آل العباس ، وقد كانت هذه البردة عند الخلفاء يتوارثونها ويطرحونها على أكتافهم فى المواكب جلوساً وركوباً ، وكانت على الخليفة المقتدر حين قُتل ، وتلوثت بالدم ، وأظن أنها فقدت فى فتنة التتار»[6] .

---

(١) المروج ٣/ ٦٧ .
(٢) المروج ٣/ ٣٧٠ .
(٣) اللسان ١/ ٢٥٠ ، المعجم الكبير ٢/ ٢٠٧ .
(٤) المروج ٣/ ٢٢٦ .
(٥) المروج ٣/ ٤٢٢ .
(٦) تاريخ الخلفاء ، السيوطى ، دار الفكر ، لبنان ، ص ١٩ .

ثالثاً : الألفاظ المتعلقة بنواب الحاكم ومساعديه :

ولى العهد :

العهد : هو الوصية ، وفى التنزيل «وبعهد الله أوفوا» أى وصاياه وتكاليفه ، والعهد : الميثاق الذى يُكتب للولاة[1] . والعهد : حفظ الشىء ومراعاته حالا بعد حال[2] .

وهاتان الوحدتان المعجميتان «ولى - العهد» لكل منهما وهى مستعملة دلالة خاصة بها وبتركيبهما فى صورة التضام تكونت منهما وحدة دلالية جديدة هى الشخص الذى يعهد إليه الخليفة بتولى الحكم بعد وفاته سواء بالنص عليه وحده أو أكثر . ولم تُعرف هذه الدلالة فى صدر الإسلام وإنما أول من سنَّها معاوية بن أبى سفيان الذى عهد بالخلافة من بعده لابنه يزيد مخالفاً بذلك ما كان يتم قبله من نظام اختيار الخليفة ، فقد كانت ولاية العهد تتم فى خلافة الراشدين على أساس مبدأ الانتخاب ، ولكن معاوية غيرَّ هذه السنة باستخدامه ولى العهد وجعله الخلافة ملكاً وراثياً ، وبعهده بدأ نظام التوريث وصار الانتخاب صورياً محضاً[3] .

واختلق بعض الفقهاء أحاديث وضعوها على الرسول ﷺ لتبرير هذا النظام الجديد ، وفى نهاية العصر الأموى أمعن الخلفاء الأمويون فى الاستبداد حيث كانوا يولون العهد إلى اثنين من الأسرة.

وفى العصر العباسى ازداد هذا المبدأ إمعاناً فى الاستبداد حتى قضى على ما تبقى من شكلية الانتخاب ، فقد كان الخليفة العباسى يولى عهده إلى اثنين أو أكثر من أولاده ، أو أخوته أو أقاربه ، وفى هذا الصدد يقول المسعودى : «ففى سنة ست وثمانين ومائة خرج الرشيد حاجاً ومعه وليّا عهده : الأمين والمأمون ، وكتب الشرطين بينهما وعلَّقهما فى الكعبة»[4] .

وقد صارت هناك علاقة تضمين بين وحدتى «خليفة» و «ولى العهد» حيث تضمَّن الوحدة الدلالية الأولى الخاصة بالدلالة على الحاكم الوحدة الدلالية الثانية الخاصة بالدلالة على من يخلفه بعد وفاته والقرابة بينهما قرابة مباشرة ، حيث إن العلاقة بينهما تعادل العلاقة بين الأب والابن .

---

(١) المعجم الوسيط ، الجزء الثانى ، مادتا ولى - عهد .

(٢) المفردات فى غريب القرآن ، مادة عهد ، ص ٣٥٦ .

(٣) النظم الإسلامية، د. حسن إبراهيم حسن ود. على إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، ط الثالثة ، ١٩٦٢ م، ص ٧ ، ٣٦ .

(٤) مروج الذهب ٣/ ٣٦٤ .

الوزير :

أرجع المعجميون أصل اشتقاق لفظة «وزير» إلى ثلاثة أوجه : أحدها أنه مأخوذ من الوِزْر وهو الثقل لأنه يحمل عن المَلِك أثقاله ، ثانيها أنه مأخوذ من الوَزَر وهو الملجأ ومنه قوله تعالى ﴿ كلا لا وَزَر ﴾ أى لا ملجأ ، فسمِّى بذلك لأن الملك يلجأ إلى رأيه ومعونته ، ثالثها أنه مأخوذ من الأزر وهو الظهر لأن الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بالظهر[1] .

ومهمة الوزير - فى رأى ابن خلدون - تتمثَّل فى «النظر إلى أمور جباية الأموال وإنفاقه ، وضبط ذلك من جميع وجوهه وصاحب هذا هو صاحب المال والجباية وهو المُسَمَّى بالوزير»[2] .

والوزارة فارسية الأصل ، فهى ليست من مستحدثات الإسلام .

ولو تتبعنا التطور التاريخى للفظ «الوزير» لوجدناه فى العصر الجاهلى حمل مدلول : المساعد والمعاون ، وظل هذا المدلول موجوداً فى صدر الرسلام ، وأكده القرآن الكريم حين ورد ذكر هذا اللفظ فيه يحمل هذا المدلول ﴿ واجعل لى وزيراً من أهلى هارون أخى ﴾ ، ولقد كان كبار الصحابة يقومون لدى الرسول ﷺ بمقام الوزراء ، وكذلك الشأن فى عهد الخلفاء الأربعة .

ولما آلت الخلافة إلى بنى أمية استعان الحاكم ببعض رجالات العرب المشهورين بالدهاء ، فكانوا يقومون بعمل الوزراء دون أن يطلق عليهم ذلك اللقب باستثناء زياد ابن أبيه الذى لُقِّب فى عهد معاوية بن أبى سفيان بلقب الوزير ، فلما انتقلت الخلافة إلى العباسيين ، وكانت لهم صلات قوية بالفرس ، حيث إن دولتهم قامت على أكتافهم ، ومن هنا استعاروا كثيراً من نظم الحكم ومنها الوزارة، وفى هذا الصدد يقول ابن طباطبا : «والوزارة لم تتمهد قواعدها وتتقرر قوانينها إلا فى دولة بنى العباس ، فأما قبل ذلك فلم تكن مقننة القواعد ولا مقررة القوانين ، بل كان لكل واحد من الملوك أتباع وحاشية، فإذا حدث أمر استشار ذوى الحجا والآراء الصائبة، فكل منهم يجرى مجرى وزير، فلما ملك بنو العباس تقررت قوانين الوزارة، وسُمِّى الوزير وزيراً وكان قبل ذلك يُسمَّى كاتباً أو مشيراً»[3] .

وأول من لُقِّب بلقب الوزير بهذا المفهوم هو أبو سَلَمة الخلاَّل ، وفى هذا الصدد يقول المسعودى : «وكان أول من وقع عليه اسم الوزارة فى دولة بنى العباس أبو سلمة حفص بن سليمان الخلاَّل الهمدانى، مولى لسبيع ، وكان فى نفس أبى العباس منه شىء»[4] .

---

(١) الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ص ٢٤ .

(٢) المقدمة لابن خلدون ، ت وافى ، لجنة البيان العربى ، ٢/ ٦٠٤ .

(٣) الفخرى فى الآداب السلطانية ، ابن طباطبا ، مطبعة المعارف ، ١٩٣٨ ، ص ١٣١ .

(٤) المروج ، جـ ٣/ ٢٨٤ .

وقد استفحل أمر الوزراء فى العصر العباسى وعظمت مراتبهم ، وصار للوزير النيابة فى إنفاذ الحُل والعقد «وتعينت مرتبته فى الدولة ، وعنت له الوجوه ، وخضعت له الرقاب ، وجُعل للنظر فى ديوان الحسبان لما تحتاج إليه خطته من قسم الأعطيات فى الجند فاحتاج إلى النظر فى جمعه وتفريعه وأضيف إليه النظر فيه ثم جُعل له النظر فى القلم والترسيل لصون أسرار السلطان ، ولحفظ البلاغة»[1] .

والوزارة من أهم المناصب فى الدولة بعد الخلافة ، ويؤكد ذلك ابن خلدون بقوله : «الوزارة أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية ، لأن اسمها يدل على مطلق الإعانة»[2] .

وبناء على هذا يكون الوزير هو الشخص الذى يحمل أعباء الحاكم ويعينه برأيه ويلجأ إليه هذا الحاكم طلباً للنصح والإرشاد .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى فى مواضع كثيرة منها : «وأن مدينة حمدان مقسومة على قسمين يفصل بينهما شارع عظيم طويل عريض ، فالملك ووزيره وقاضى القضاة وجنوده وخصيانه وجميع أسبابه فى الشق الأيمن منه مما يلى المشرق لا يخالطهم أحد من العامة»[3] .

العامل - العُمَّال :

عَمِل عَمَلا : فعل فِعْلا عن قصد ، وعَمِل : مَهَن وصنع ، وعمل فلان على الصدقة : سعى فى جمعها، وفى التنزيل العزيز : «إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها» وعمل للسلطان على بلد : كان والياً عليه من قبل السلطان . فهو عامل ، والعامل : من يعمل فى مهنة أو صنعة ، وهو الذى يتولى أمور الرجل فى ماله ومُلْكه وعمله ، وهو الذى يأخذ الزكاة من أربابها . ج عمَّال، وعَمَلة[4] . ويقال للذين يعملون بأيديهم فى طين وبناء ونحوه : العَمَلة ، ويقال : من الذى عُمِّل عليكم ؟ ، أى نُصِّب عاملا ، والرجل يعتمل لنفسه ويستعمل غيره»[5] . والمُعتمل عند الأعشى هو المجتهد فى الخدمة وذلك فى قوله :

يسعى بها ذو زجاجات له نُطَفٌ مُقَلِّصٌ أسفلَ السربال مُعتمِلِ[6]

(١) المقدمة لابن خلدون ، ت وافى ، جـ ٢/٦٠٦ .

(٢) المرجع السابق جـ ٢/٦٠٣ . (٣) المروج ١/١٤٥ .

(٤) المعجم الوسيط ، المجلد الثانى ، ص ٦٥١ ، مادة عمل .

(٥) أساس البلاغة ، الزمخشرى ، الجزء السادس ، ص ٦٥٦ ، مادة عمل .

(٦) ديوان الأعشى ، ص ١٤٧ ، والنطف جمع نطفة وهى اللؤلؤة أو القرطة .

ويبدو أن هذا هو الأصل الذى تطور عنه لفظ «عامل» حيث أطلق على الخادم أو الساعى . ثم اتسعت دلالته فأطلق على كل من يؤدى عملاً ، ومنه العامل الذى يلى بلداً يحكمها بأمر من الحاكم، ومن الملاحظ أن استخدام هذا اللفظ فى مجال جمع الصدقات والنيابة عن الحاكم لم يعرف فى اللغة العربية قبل الإسلام ، وكان استعمال لفظ «عامل» يرادف استعمال لفظة «الأمير» فى عصر الفتوحات الإسلامية ، «وكان المشرفون على إدارة الأقاليم التى فتحها المسلمون يسمون: الأمير ، أى قائد الجند أو عامل الخليفة ، أو العامل فقط ، وكان فى بادئ الأمر له مطلق الصلاحية فى إدارة الإقليم ثم تحددت بعد ذلك اختصاصاته ، وأصبح الخليفة يعين موظفين آخرين لإدارة الشئون المالية والقضائية»[1] .

وقد وردت لفظتا عامل وعمَّال عند المسعودى تحملان عدة مدلولات :

● أحدها : الوالى على ناحية من نواحى الدولة من قبل الخليفة كما فى هذا النص : «وكان عمر بن الخطاب متواضعاً ، خشن الملبس ، شديداً فى ذات الله ، واتبعه عمَّاله فى سائر أفعاله وشيمه وأخلاقه»[2] ، «وكان أكثر ركابه الإبل ، ورحله مشدودة بالليف ، وكذلك عمَّاله»[3] .

● ثانيها : كل من يتولى عملاً من الأعمال الخاصة بالولاية من قبل الوالى أو الأمير ، وذلك فى قوله : «ووهبت له ألف درهم ، وحملتهُ على دابة ، وضرب الدهر من ضربه إلى أن ولى ديوان الضياع ، مكان موسى بن عبد الملك ، وكنتُ أحد عمَّال موسى ، وكان يحب أن يكشف أسباب موسى ، فعزلنى»[4] .

● ثالثها : كل من يعمل بيده فى مهنة أو صنعة ، وذلك فى قوله : «فلما أكلوا ، قال بعضهم لأبى خليفة غير مُكنٍّ له خوفًا أن يعرفه مَنْ حضر ممن ذكرنا من الأكرة والعمال فى النخل»[5] .

وقد وردت لفظة «عامل» فى صورة التضام بطريق التلازم مع الوحدة الصرفية «على» وهو ما نجده فى هذه الصورة : «وكان عامله على الشام أبا عبيدة بن الجراح ، وكان يظهر للناس وعليه الصوف الجافى»[6] ، وهذه الصورة من التضام موجودة فى القرآن الكريم وذلك فى قوله تعالى : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ﴾[7] .

---

(١) تاريخ الحضارة الإسلامية ، د. عبد المنعم ماجد ، ص ٤٥ .

(٢) مروج الذهب ، ٢/ ٣١٣ .

(٣) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٤) مروج الذهب ، جـ ٤/ ١٠٦ .

(٥) المروج ، جـ ٤/ ٢٤٠ .

(٦) مروج الذهب ، جـ ٢/ ٣١٥ .

(٧) التوبة ، آية ٦٠ .

كما وردت اللفظة نفسها بصورة أخرى من صور التضام ، وهى إضافة اسم لها ، لكى تحدد العمل الذى أسند إلى هذا الشخص للقيام به ، وذلك فى قول المسعودى : «وله أخبار ونوادر حسان قد دونت منها : أن بعض عمال الخراج بالبصرة كان مصروفاً عن عمله . . .»[١] .

الوالى :

وَلِى الأمر وتولاه ، وهو وليُّه ومولاه ، وَوَلِى وِلاية وهو والى البلد وهم ولاته[٢] . وتولَّى الأمر : تقلَّده وقام به ، والولاية : السلطان ، والبلاد التى يتسلَّط عليها الوالى[٣] . وكان الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل ، ومالم يجتمع ذلك فيها لم تنطلق عليه اسم الوالى[٤] ، وإن كل من ولى شيئاً من عمل السلطان فهو والٍ ، فالقاضى والٍ ، والأمير والٍ ، والعامل والٍ[٥] .

ولو تتبعنا التطور الدلالى لهذا اللفظ لوجدناه فى العصر الجاهلى يحمل مدلول : الناصر والمعين، ويتضح ذلك فى قول الخنساء : وإن صخرا لوالينا وسيدنا[٦] .

ثم اتسعت دلالته فى العصر الإسلامى لتشمل من يحكم المسلمين ، ويؤكد ذلك قول الفرزدق :

أمـــير المؤمـــنين وأنت والٍ شفيق لست بالوالى الحريص[٧]

ثم بعد ذلك ضاقت دلالته لتنحصر فى كل من يساعد أو ينوب عن السلطان فى حكم بلد من البلاد . ولو عقدنا مقارنة بين لفظتى : والٍ وعامل لوجدنا أن الوالى كانت سلطاته أوسع من العامل، فالعامل كان يتولى رئاسة مقاطعة من المقاطعات ، بينما كان الوالى «هو الحاكم الأعلى عُهِد إليه بإقامة الحدود وإنفاذ الأحكام وتوطيد النظام ، وإعداد الترتيبات الخاصة بالقضاء وقيادة الجيوش»[٨].

وقد ورد لفظ «الوالى» عند المسعودى حاملاً مدلولاً واحداً هو كل من ينوب عن السلطان فى حكم مقاطعة أو عدة مقاطعات تابعة للدولة الإسلامية ، ويؤكد ذلك قول المسعودى : «وأقام الحجَّاج

(١) مروة الذهب ، جـ ٤/ ٢٣٩ .
(٢) أساس البلاغة ، الجزء التاسع ، مادة ولى ، ص ١٠٤ .
(٣) المعجم الوسيط ، المجلد الثانى ، مادة ولى ، ص ١١٠٠ .
(٤) اللسان ، مج ٦ / مادة ولى ، ص ٤٩٢٠ .
(٥) الفروق اللغوية ، لأبى هلال العسكرى ، ص ١٥٥ .
(٦) ديوان الخنساء ، دار صادر ودار بيروت ، لبنان ، ط ١٩٦٣ م ، ص ٤٨ .
(٧) ديوان الفرزدق ، جمع وتعليق عبد الله الصاوى ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط الأولى ، ١٩٣٦ م ، جـ ٢/ ٤٨٧ .
(٨) الإدارة العربية ، مولوى حسين ، ص ٤٨ .

والياً على مكة والمدينة والحجـاز واليمن واليمامة ثلاث سنين ، ثم جُمع له العـراق بعد موت بشر بن مروان بالبصرة»[١] .

الأمير :

أمر عليهم أمراً وإمارة وإمْـرة : صار أميراً عليهم ، وأمَّر فلاناً : صيَّـره أميراً ، وتأمَّر عليهم : صار أمـيراً ، والإمارة : منصب الأمـير ، وهى جزء من الأرض يحكمه أمـير ، والأميـر من يتولَّى الإمارة، ومن وُلد فى بيت الإمارة ، (ج) أمـراء ، والأمير : المشاور ، وأميـر المؤمنين : لقب لخليفة المسلمين[٢] ، وفى الحديث : أميرى من الملائكة جبريل ، أى صاحب أمرى ووليى ، وكل من فزعت إلى مشـاورته ومؤامـرته فهو أميرك ، والأمـير : المَلِك لنفـاذ أمـره بين الإمارة والأمـارة والجمع : أمراء[٣] .

ولو نظرنا إلى التطور التاريخى لدلالة لفظ «أمـير» لوجدناه فى العصر الجاهلى يسـتخدم للدلالة على الآمر ، يؤكد ذلك قول زهير :

فقلت والدار أحياناً يشـطُّ بهـا ... صرف الأمير على من كان ذا شجن

واستخدم فى العصر الجاهلى أيضاً للدلالة على الزوج بدليل قول الأعشى :

إذ هـى الهـمُّ والحديث إذ ... تعصى إلىَّ الأمير ذا الأقوال[٤]

وقد ارتقت دلالته فى العـصر الإسلامى حيث أطلق على الرسول ﷺ بدليل قـول حسان بن ثابت :

أمير علينا رسـول المليك ... أحبب بذاك إلينا أميرا[٥]

كما أطلق هذا اللفظ على سيدنا عمر بصورتين : صورته المفردة :

جزى الله خيراً من أمير وباركت ... يدُ الله فى ذاكَ الأديـمِ الممزَّقِ[٦]

وصورته المركبة وهى : «أمير المؤمنين» .

(١) مروج الذهب ، جـ ٣/ ١٢٢ .
(٢) المعجم الوسيط ، المجلد الأول ، مادة أمر ، ص ٢٦ ، ٢٧ .
(٣) اللسان ، مج ١ ، مادة أمر ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ ، ط دار المعارف .
(٤) ديوان الأعشى ، ص ١٦٤ .
(٥) ديوان حسان بن ثابت ، ط السعادة ، القاهرة ، ١٣٣١ هـ ، ص ١٧٤ .
(٦) شرح ديوان الحماسة ، ت محمد محيى الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، د. ت ، جـ ٣/ ١٠٧ .

ثم اتسعت دلالته أيضاً فى صدر الإسلام حيث استخدم للدلالة على الحاكم بشكل عام ، ويؤكد ذلك قول أبى بكر عندما حضرته الوفاة : «وددت أنى يوم السقيفة؛ سقيفة بنى ساعدة قذفت الأمر فى عنق أحد الرجلين فكان أميراً وكنت وزيراً»[1] .

وقد أخذت دائرة مدلوله تضيق شيئاً فشيئاً فى العصرين : الأموى والعباسى ، فأصبح يستخدم للدلالة على ولى العهد ، ثم بعد ذلك استخدم للدلالة على كل من ينوب عن السلطان فى حكم مقاطعة أو إقليم تابع للخلافة الإسلامية ، وبلغ ضيق المدلول غايته حين استعمل للدلالة على قيادة الجند فى الحرب ، مع الوضع فى الاعتبار أن هذا المدلول كان معروفاً لدى شعراء العصر الجاهلى .

ومن خلال استقرائنا لكتاب المروج وجدنا أن لفظ «الأمير» حمل عدة مدلولات هى :

- النائب عن السلطان فى حكم إقليم تابع للخلافة ، ويؤكد ذلك قول المسعودى : «فما كان إلا مقدار ساعة حتى خرج خارج القصر ، فقال : انصرفوا فإن الأمير عنكم مشغول ، وإذا به قد أصابه ما ذكرنا من البلاء»[2] والأمير المقصود هنا هو زياد ابن أبيه الذى ولاّه معاوية إمارة الكوفة .

- ولى العهد : أى من سيتولى الحكم بعد الخليفة أو السلطان ، وغالباً ما يكون ابنه بدليل قوله: «وأُتى بأبى الجيش إلى مصر ، فأخرج من التابوت ، وجُعل على السرير ، وذلك على باب مصر ، وخرج ولده الأمير جيش ، وسائر الأمراء والأولياء»[3] .

- المُطاع فى القوم ، كما فى قول المسعودى : «فقال علىٌّ : أيها الناس ، إنه لم يزل من أمركم ما أحب حتى قرحتكم الحرب ، وقد والله أخذت منكم وتركت ، وإنى كنت بالأمس أميراً فأصبحت اليوم مأموراً»[4] .

- السيِّد : كما فى قول المسعودى : «وقال لابنه الحسن : يابنى استغن عمن شئت تكن نظيره، وسل من شئت تكن حقيره ، وأعط من شئت تكن أميره»[5] .

وقد ورد لفظ «الأمير» بصورة التضام كأمير الكوفة[6] وأمير بغداد[7] لكى يحدد الإقليم الذى يحكمه الأمير نائباً عن السلطان ، كما جاء فى صورة أخرى من صور التضام وهى : «أمير المؤمنين» ليطلق لأول مرة على الخليفة الثانى عمر بن الخطاب ، ويصير لقباً لكل من تولى خلافة المسلمين من بعده .

(١) مروج الذهب ، جـ ٢/ ٣٠٨ .
(٢) مروج الذهب ، جـ ٣/ ٣٥ .
(٣) مروج الذهب ، جـ ٤٧/ ٣٤٧ .
(٤) المروج ، جـ ٢/ ٤٠٠ .
(٥) المروج ، جـ ٢/ ٤٣٢ .
(٦) مروج الذهب ، جـ ٣/ ٣٣ .
(٧) المروج جـ ٤/ ٢٩٨ .

الفصل الثانى
الألفاظ الخاصة بالقضاء

أولاً : الألفاظ الخاصة بمن يعملون بالقضاء :

القاضى :

القضاء : الحكم ، وأصله قضاى ، لأنه من قضيت ، إلاَّ أنَّ الياء لما جاءت بعد الألف هُمزت، والجمع : الأقضية ، والقضية : مثله ، والجمع : قضايا ، قال أبو بكر : قال أهل الحجاز القاضى معناه فى اللغة القاطع للأمور المحكم لها ، واستُقضى فلان : أى جُعل قاضياً يحكم بين الناس ، ويقال : قضى يقضى قضاء فهو قاضٍ ، إذا حكم وفصل[1] . فالقاضى : من يقضى بين الناس بحكم الشرع ، ومن تعينه الدولة للنظر فى الخصومات والدعاوى وإصدار الأحكام التى يراها طبقاً للقانون ، ومقره الرسمى إحدى دور القضاء (ج) قُضاة[2] .

والقاضى لقب لمنصب قضائى من الوظائف الداخلة تحت الخلافة ؛ لأنه منصب الفصل بين الناس فى الخصومات حسماً للتداعى وقطعاً للتنازع[3] .

ولم يكن لدى العرب فى الجاهلية نظام محكم للقضاء وإن كانوا - ككل جماعة منظمة - سلكوا عدة سبل فى حسم المنازعات التى تثور بينهم بطرق سلمية ، وأشهر هذه الطرق : الحكومة التى كان يتولاها بنو سهم وكانت مهمتهم فض المنازعات والخصومات التى تقع بين العرب ، والاحتكام وهو احتكام العرب إلى الكُهَّان والعرَّافين ، فقد كان العرب يعتقدون أنَّ هناك صلة بين الكاهن والجانّ ، والتعاهد على دفع الظلم وقد نشأ هذا النظام قبل بعثة الرسول ، وتمثَّل ذلك فى تكوين حلف سموه حلف الفضول ، ولما جاء الإسلام جمع الرسول ﷺ بين السلطات الثلاث : التشريع والتنفيذ والقضاء ، ولما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية فى عهده ﷺ أيضاً عهد إلى ولاته بالقضاء بين

---

(١) لسان العرب ، المجلد الخامس ، مادة قضى ، ص ٣٦٦٥ .

(٢) المعجم الوسيط ، المجلد الثانى ، مادة قضى ، ص ٧٧١ .

(٣) المقدِّمة ، لابن خلدون ، ت وافى ، لجنة البيان العربى ، جـ ٢/٥٦٧ .

المسلمين ، «فلما تولّى الخلافة أبو بكر ﷺ عهد بالقضاء فى المدينة إلى عمر ﷺ فظل سنتين لا يأتيه متخاصمان لما اشتهر عنه من الشدة والحزم»[1] .

ولما اتسعت رقعة الدولة فى عهد عمر ﷺ اضطر إلى أن يخصص قضاة لكل إقليم هام ، وهكذا كان عمر أول من وضع أساس السلطة القضائية فى الإسلام ، واتسعت سلطة القاضى فى عهد الدولة الأموية فى حين ضاقت سلطة القاضى فى العصر العباسى بسبب ظهور المذاهب الأربعة التى تقيد بها القضاء ، «وانحدر مستواهم فى نهاية العصر العباسى نتيجة لبطش الخلفاء بهم حتى اعتذر كثير من الورعين عن تولّى القضاء»[2] .

حتى إن الخلفاء العباسيين كانوا يدفعون الفقهاء لهذا المنصب دفعاً ، فقد «دخل شريك القاضى على المهدى يوماً ، فقال له : لابد أن تجيبنى إلى خصلة من ثلاث خصال ، قال : وماهنّ يا أمير المؤمنين ؟ قال : إمّا أن تلى القضاء ، أو تحدّث ولدى وتعلمهم ، أو تأكل عندى أكلة»[3] .

ومع اتساع الدولة الإسلامية فى العصر العباسى والتطور الثقافى والحضارى ظهرت عدة اعتبارات فى المنصب القضائى كشروط القاضى وواجباته ، وآداب القضاء ، يقول الماوردى فى هذا الصدد «ولا يجوز أن يُقلَّد القضاء إلا من تكاملت فيه شروطه التى يصح معها تقليده وينفذ بها حكمه ، وهى سبعة فالشرط الأول : أن يكون رجلاً . . والشرط الثانى : أن يكون جيد الفطنة بعيداً عن السهو والغفلة ، والشرط الثالث : الحرية ، والشرط الرابع : الإسلام ، والشرط الخامس : العدالة ، والشرط السادس : السلامة فى السمع والبصر ، والشرط السابع : أن يكون عالماً بالأحكام الشرعية»[4] .

قاضى القضاة :

هو منصب قضائى يرأس فيه صاحبه سائر القضاة ، ولم يطلق هذا اللقب على احد من القضاة فى زمن الخلفاء الراشدين ولا فى زمن بنى أمية ، ولم يصل إلى علمنا أن قضاة الأمصار كانوا ينيبون عنهم من يقوم بالقضاء فى المدن والقرى فى هذين العصرين أيضاً ، «وكان قاضى حاضرة الخلافة فى زمن بنى أمية يختاره الخليفة وليست له ميزة على سائر القضاء»[5] . ولكن فى زمن العباسيين وبعد أن

(١) التطور السياسى للمجتمع العربى ، د. سليمان الطماوى ، دار الفكر العربى ، ط ١٩٦٦ م ، ص ١١٦ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١١٨ . (٣) مروج الذهب ، جـ ٣/ ٣٢٠ .
(٤) الأحكام السلطانية ، ص ٦٥-٦٦ .
(٥) تاريخ القضاء فى الإسلام، محمود بن محمد بن عرنوس، المطبعة المصرية الأهلية الحديثة ، القاهرة ، د.ت، ص ٩٥ .

دُوِّنت أحكام الفقه ظهر هذا اللقب وأول قاضٍ وصف بهذا اللقب أبو يوسف القاضى تلميذ أبى حنيفة النعمان وذلك فى خلافة الرشيد[1] وكان بمثابة وزير للعدل ، ومن سلطاته أنه هو الذى يتولّى اختيار نوابه فى الولايات الإسلامية ، «ولقد كان ثمة اعتراض على اللقب ، باعتباره من ألقاب الله»[2] وقد كان هذا المنصب معروفاً لدى الأمم المجاورة للدولة الإسلامية مما دفع العباسيين إلى أن يستعيروه من هذه الأمم كغيره من الأنظمة السياسية التى أخذوها . «فقد جاء فى كتاب التاج المنسوب للجاحظ أن سابور ذا الاكتاف لما مات موبذ موبذان ، وصف له رجل من كورة إصطخر يصلح لقضاء القضاء»[3] .

وقد ورد هذا اللقب عند المسعودى فى أثناء حديثه عن مدينة حمدان وذلك فى قوله : «وأنها مقسومة على قسمين يفصل بينهما شارع عظيم طويل عريض ، فالملك ووزيره وقاضى القضاة وجنوده وخصيانه ، وجميع أسبابه فى الشق الأيمن منه»[4] .

كما يذكر المسعودى - فى موضع آخر - هذا اللقب حاكياً عن الفرس وعن كيفية ترتيبهم للمناصب فيقول : «ورتَّب أردشير المراتب فجعلها سبعة أفواج فأولها الوزراء ، ثم الموبذان وهو القائم بأمور الدين ، وهو قاضى القضاة وهو رئيس الموابذة ، ومعناها : القوَّام بأمور الدين فى سائر المملكة ، والقضاة المنصوبون للأحكام»[5] .

ثانياً : الألفاظ المتعلقة بمرتكبى الجرائم :

التوَّابون :

هم فئة من اللصوص ظهرت فى العصر العباسى وعلى وجه التحديد فى أيام المعتضد بالله ، كانوا يسرقون وينهبون ، ولما تقدَّم بهم العمر وكبروا ، تابوا فأصبحوا من مخبرى الشرطة ، يقول عنهم المسعودى : «هم شيوخ أنواع اللصوص الذين قد كبروا وتابوا ، فإذا جرت حادثة علموا مِنْ فِعْل مَنْ هى ، فدلّوا عليه ، وربما يتقاسمون اللصوص ما سرقوه»[6] .

---

(١) دراسات فى الحضارة الإسلامية ، ص ٦٩ ، تاريخ التمدن الإسلامى ١/ ١٨٥ .

(٢) الإدارة العربية ، ص ٣٠٧ .

(٣) تاريخ القضاء فى الإسلام ، محمود عرنوس ، ص ٩٦ .

(٤) مروج الذهب ، جـ ١/ ١٤٥ .

(٥) مروج الذهب ، جـ ١/ ٢٤٥ .

(٦) مروج الذهب ، جـ ٤/ ٢٤٨ .

الرُّوَيْبِضَة :

الربيض : الغنم برعاتها المجتمعة فى مرابضها ، والرِّبْضة : الجماعة من الغنم والناس، وفيها ربضة من الناس والأصل للغنم ، والربيض : الغنم نفسها ، والرَّبَض : موضعها الذى تربض فيها ، وقيل : هو الفضاء حول المدينة ، وفى حديث فى الفتن : رُوى عن النبى ﷺ أنه ذكر من أشراط الساعة أن تنطق الرويبضة فى أمر العامة . قيل : وما الرويبضة يا رسول الله ؟ قال : الرجل التافه الحقير ينطق فى أمر العامة ، قال أبو عبيد : ومما يثبت حديث الرويبضة الحديث الآخر : من أشراط الساعة أن يُرى رعاء الشاء رؤوس الناس . قال أبو منصور : الرويبضة تصغير رابضة وهو الذى يرعى الغنم ، وقيل : هو العاجز الذى ربض عن معالى الأمور ، وقعد عن طلبها ، وزيادة الهاء للمبالغة فى وصفه ، قال : والغالب أنه قيل للتافه من الناس رابضة ورويبضة لربوضه فى بيته وقلة انبعاثه فى الأمور الجسيمة[1] .

نستطيع أن نقول إن المعجميين العرب لم يختلفوا فى أنَّ لفظة الرويبضة تصغير الرابضة ، ولكنهم اختلفوا فى مدلول الرابضة ، ويمكننا أن نحصر هذا الاختلاف فى ثلاثة مدلولات هى : راعى الغنم، العاجز وزادت الهاء للمبالغة فى وصفه ، التافه من الناس . لكننا نلاحظ أن المسعودى استخدم هذه اللفظة بمدلول يقترب كثيراً من مدلولها في الحديث الشريف الذى سبق ذكره . وهذا المدلول عند المسعودى هو : «قوم أصحاب تشويش وشغب يرأسون العامة من الناس» ويؤكد ذلك فى قوله : «واضطربت بغداد فى أيام إبراهيم بن المهدى ، وثارت الرويبضة ، وسموا أنفسهم المطوِّعة ، وهم رؤساء العامة والتوابع»[2] .

اللصوص :

مفردها اللِّص أو اللُّص وهو السارق ، وقد يجمع على لِصاص ، وفى التهذيب تجمع على الصاص، وليس له بناء من أبنية أدنى العدد ، والأنثى : لَصَّة والجمع : لَصَّات ولصائص والأخيرة «لصائص» نادرة ، والمصدر منه اللصوصية والتلصُّص[3] ولايطلق على السارق لص إلا إذا تكررت سرقته، وأصبحت السرقة دأبه وعادته[4] .

نستطيع أن نخلص مما سبق إلى أن اللصوص هم كل جماعة اشتهروا بالسرقة ، وتكررت منهم حتى اتخذوها حرفة لهم ومهنة .

---

(١) اللسان ، مج ٣ / مادة ربض / ص ١٥٥٨ ، ١٥٥٩ ، ١٥٦٠ .

(٢) مروج الذهب ، جـ ٤/ ٢٩ .

(٣) اللسان / مج ٥ / مادة لصص / ص ٤٠٣١ .

(٤) أساس البلاغة / جـ ٨ / مادة لصص / ص ٨٥٥ .

وقد وردت هذه اللفظة عند المسعودى تحمل هذا المدلول : «جماعة اشتهروا بالسرقة واتخذوها حرفة ومهنة لهم» . وذلك فى قوله : «والتوابون هم شيوخ أنواع اللصوص الذين كبروا وتابوا ، فإذا جرت حادثة علموا مِنْ فِعْل مَنْ هى ، فدلوا عليه ، وربما يتقاسمون اللصوص ما سرقوه»[1] .

العيَّارون :

رجل عيَّار إذا كان كثير التطواف والحركة ذكيًا ، والعرب تمدح بالعيَّار وتذمُّ به ، يقال : غلام عيّار نشيط فى المعاصى ، وغلام عيَّار نشيط فى طاعة الله ، وعار الرجل فى القوم يضربهم بالسيف عِيرانا : ذهب وجاء ، ولم يقيّده الأزهرى بضرب ولا سيف بل قال : عار الرجل يعير عيراناً وهو تردده فى ذهابه ومجيئه[2] .

إذن العيارون هم قوم يذهبون ويجيئون فى الأرض ويخلُّون أنفسهم وهواها لا يردعونها ولا يزجرونها ، وهم أصحاب فتنة دينية أو سياسية ، وهذا هو مدلول لفظ «العيَّارون» الذى ورد عند المسعودى حين قال : «وقد كان لأهل بغداد فى أيام حرب المستعين والمعتز حرب نحو هذا من خروج العيَّارين إلى الحرب ، وقد اتخذوا خيلاً منهم وأمراء كالملقَّب بنينويه خالويه وغيرهم ، يركب الواحد منهم على واحد من العيَّارين ويسير إلى الحرب»[3] .

وقد كثر العيَّارون فى العصر العباسى ، وكانوا ينتهزون فرصة انشغال الدولة بقمع الفتن الأهلية فيقومون بمهاجمة الدكاكين والمنازل ويأخذون الأموال ويستغلونها فى تقوية أنفسهم وأتباعهم ، «وكثيراً ما كانوا يصارعون رجال الشرطة برغم كونهم حماة السلطان العباسى فى أثناء قوته ، ولكنهم يتوارون أحياناً ليظهروا فى مكان آخر ضعف فيه نفوذ الشرطة ، وظلوا على هذه الحال حتى آل الأمر فى النهاية إلى تسلطهم على بغداد فجابوا الأسواق وقاموا بجباية الأموال وانتظموا انتظام الشرطة»[4] .

البغايا :

البغىُّ والبغوُّ : الأمة فاجرة كانت أو غير فاجرة ، والبغىُّ : الفاجرة حرة كانت أو أمة وهذا هو المختار ، وفى التنزيل العزيز : ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم ٢٨] أى : ما كانت فاجرة ، وأم مريم حرة لا محالة ، والبغاء : بغت المرأة بِغاءً ، وفى التنزيل العزيز : ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ [النور ٣٣] أى العهر والفجور . وقيل للإماء البغايا لأنهن كن يباغين فى الجاهلية ، يقول الأعشى :

---

(١) مروج الذهب ، جـ ٤/٢٤٨ .
(٢) اللسان ، مج ٤ / مادة عير / ص ٣١٨٧ .
(٣) مروج الذهب ، جـ ٣/٤١٣ .
(٤) مجلة الوعى الإسلامى ، العدد ٣٠٩ ، رمضان ١٤١٠ هـ ، ص ٩٥ .

والبغايا يركضن أكسية الضريج والشَّرْعبيَّ ذا الأذيـــــال[1]

ولم يتغير مدلول هذه اللفظة فى كتاب المسعودى عنه فى المعجم حيث مدلولها عند المسعودى : المرأة الفاجرة حرة كانت أو أمة ، وذلك فى قوله : «وكانت سمية أم زياد من ذوات الرايات بالطائف تؤدى الضريبة إلى الحارث كَلَدة ، وكانت تنزل بالموضع الذى تنزل فيه البغايا بالطائف ، خارجاً عن الحضر فى محلة يقال لها : حارة البغايا»[2] .

الأوباش :

الوَبْش والوَبْش : واحد الأوباش من الناس وهم الأخلاط والسفلة ، ووَبَشُ الكلام : رديئه ، ويقال هو مقلوب الأوشاب ، وفى الحديث : إن قريشاً وبَّشت لحرب النبى ﷺ أوباشا لها ، أى جمعت له جموعاً من قبائل شتى يقال : وهو من أوباش الجند : من أخلاطه ورذَّاله[3] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : أراذل الناس وأسافلهم . وذلك فى قوله: «ثم جاءه مسير مَلك الروم لاوى بن فلنط ونزوله المصيصة يريد الشام ، ثم جاءه خبر دمشق، وأن عبيدها وأوباشها ودُعَّارها قد خرجوا على أهلها»[4] .

المشغِّبة – الشاغب :

الشَّغْب ، والشَّغَب والتشغيب : تهييج الشر ، والفتنة والخصام ، يقول الليث :

وإنى على مانال منى بصرفه على الشاغبين التاركى الحقَ مشْغَبُ

ويقال فلان مِشْغَب إذا كان عانداً عن الحق ، وفى الحديث : نهى عن المُشاغبة ؛ أى المُخاصمة والمُفاتنة»[5] . وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : «كل من يثير الشر والفتنة فى البلاد» ، ومن ذلك قوله : «يا أهل العراق ، هل شَغْب شاغبٍ أو نَعْب ناعب أو دبى كاذب إلا كنتم أنصاره وأشياعه»[6] . وفى موضع آخر يقول المسعودى : «وشغَّبوا على الأمين ، وذلك يوم الأربعاء لست ليال خلون من ذى الحجة سنة ست وتسعين ومائة ، فقال رجل من المُشغِّبة على الأمين:

(١) اللسان ١/ ٣٢٢ ، المعجم الكبير ٢/ ٤٤٥ ، أساس البلاغة ١/ ٥٧ .
(٢) المروج ٣/ ١٥ .
(٣) اللسان ٦/ ٤٧٥٣ ، أساس البلاغة ٩/ ١٠٠٣ ، المعجم الوسيط ٢/ ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ .
(٤) المروج ٣/ ١٠٥ . (٥) اللسان ٤/ ٢٢٨٣ ، المعجم الوسيط ١/ ٥٠٥ .
(٦) المروج ٣/ ١٤٠ .

قل لأمين الناس فى نفســـه ماشتَّت الجند سوى الغالية[1]

الدُّعَّار - أهل الدعارة :

الدَّعارة : الفسق والفجور والخبث ، ورجل دُعَرٌ ودُعَرة : خائن يصيب أصحابه ، والدَّاعر : إذا كان يسرق ويزنى ويؤذى الناس والجمع : دُعَّار ، وفى حديث عمر - ﷺ - : اللهم ارزقنى الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدَّعارة والنفاق» . والدَّعارة فى الحديث : الفساد والشر .

ويُطلق على الرجل : داعر والمرأة : داعرة[2] .

ويقـول صاحب اللسـان: إن الدَّعـارة أخذت من: «دَعِـر العود : دخَّـن فلم ينقـد وهو الردئ الدخان، ومنه اتخذت الدعارة ، ثـم بعد عدة أسطر يقول : «دَعِر العود دَعَرا فـهو دَعِرٌ : نَخِر»[3]. وأرى أنهـا أُخذت من «نخـر» على سبـيل التشـبيـه للإنسان بـالعود الذى يُنخـر من داخله بالفســاد والفجور.

وقد وردت هاتان اللفظتان : «الدُّعَّار - أهل الدعارة» فى كتـاب المسعودى تحملان مدلولاً واحداً هو: «أهل الفســاد والشر» ومن ذلك قوله : «وكان سـريراً يطلب الفتنة ، ويجتمع إليـه أهل الدَّعارة والشر»[4] . ويقول فى مـوضع آخر : «ثم تليـهم مملكة قيلة وماحـوت المدينة منها المسلمـون ، وما حولها من العمائر والضياع نصارى ، ويقال لملكهم فى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا هذا عنبسة الأعور، وهو مأوى اللصوص والصعاليك؛ والدُّعَّار»[5] .

الطَّرَّار :

مأخوذة من الطَّرِّ ؛ أى الشق والقطع والخَلْس ، وسُمِّى طرَّاراً لأنه يشقُّ كُمَّ الرجل ويسلُّ ما فيه، فهو نشَّال ، يطرُّ الهمايين والصُّرر ، والهمايين : شداد السراويل»[6] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحـمل مدلول : النشَّال وذلك فى قوله : «ففى ذلك يقول بعض العيَّارين من أهل بغداد ومن أهل السجون :

لنا من طاهـر يـــومٌ عظيمُ الشانِ والخَطْبِ

أتاه كلُّ طـــــرَّارٍ ولصٌّ كان ذا نقبِ[7]

(١) المروج ٣/ ٤٠٩ .
(٢) اللسان ٢/ ١٣٧٩ : دعر .
(٣) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .
(٤) المروج ١/ ١٣٨ .
(٥) المروج ١/ ٢٠٥ .
(٦) أساس البلاغة ٥/ ٥٨١ ، اللسان ٤/ ٢٦٥٤ ، القاموس المحيط ٢/ ٧٦ ، ٧٧ ، المعجم الوسيط ٢/ ٥٧٤ .
(٧) المروج ٣/ ٤٠٨ .

الصعاليك :

الصعلوك : الفقير الذى لا مال له ولا اعتماد ، وتصعْلك الرجل إذا كان صعلوكاً ، يقول حاتم الطائى :

غنينا زمانـا بالتَّصعُّلك والغنى ... فكلا سقاناه بكأسيهما الدهـر

فما زادنا بغياً علـى ذى قرابة ... غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر

وصعاليك العرب : فُـتَّاكها ، وكان عروة بن الورد يسمى : عروة الصـعاليك ؛ لأنه كان يجمع الفقراء فى حظيرة فيرزقهم مما يغنمه»[1] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلولين :

- قُطَّاع الطرق واللصوص : وذلك فى قوله : «يقال لملكهم فى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا هذا عنبسة الأعور ، وهو مأوى اللصوص والصعاليك والدُّعَّار»[2] .

- الشجاع الفـاتك فى الحرب : وذلك فى قوله : «وكانوا مع وال يقاتل بهم مـقاتلة الصعلوك ويسوسهم سياسة الملوك ، فله منهم بر الأولاد ، ولهم منه شفقة الوالد»[3] .

الزَّعانف - الزَّعْنَفَة :

الطائفة من كل شىء ، وأسفل الثوب المتخـرِّق ، وأجنحة السمك ، وزعانف كل شىء : رديئه ورُذَّاله ، وسُمِّى رذَّال الناس زعانف على التـشبيه بزعانف الثوب ، والجـماعة من الناس ليس أصلهم واحد ، وفى حـديث عمـرو بن ميـمون : إياكم وهذه الزعـانيف الذين رغـبوا عن الناس وفـارقوا الجماعة، والزعانف فى الحديث : الفرق المختلفة والياء جاءت للإشباع»[4] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : رُذال الناس ورديئهم وذلك فى قوله: «قـال : لله درك يابنـى، أصـبت فـأحـسنـت، إذ عـدلت عن الزعـانـف والأوباش، إذاً لا يُصـرَّد سهمك»[5].

(١) اللسان ٤/ ٢٤٥١ ، ٢٤٥٢ ، القاموس المحيط ٣/ ٣٠٠ ، المعجم الوسيط ١/ ٥٣٥ .
(٢) المروج ١/ ٢٠٥ . (٣) المروج ٣/ ١٦٠ .
(٤) اللسان ٣/ ١٨٣٦ ، ١٨٣٧ ، المعجم الوسيط ١/ ٤٠٨ ، ٤٠٩ .
(٥) المروج ٣/ ٢٤٣ .

ثالثاً : الألفاظ المتعلِّقة بالجرائم :

الجريمة :

التعدِّى والذنب . الجمع : جرائم ، وهو جريم ومجرم ، وجرم إليهم وعليهم جريمة : جنى جناية ، وفلان جريمة أهله : كاسبهم»[1] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : الجناية والذنب الكبير وذلك فى قوله: «والسابعة تعهُّد سبيل الناس وأسواقهم وأسعارهم ومجاراتهم ، والثامنة حسن تأديب الرعية على الجرائم وإقامة الحدود»[2] .

القضية :

هى الحكم ، والمسألة يُتنازع فيها وتُعرض على القاضى أو القُضاة للبحث والفصل[3] والجمع : القضايا ، ويؤكد هذا الجمع قول أبى العباس الضَّبىِّ :

فقد تقَّيلتَ فى الجدوى معالمه ... كما توخَّيتَ فى الجُلَّى قضاياه[4]

وقد وردت هذه اللفظة عند المسعودى تحمل مدلولين : أحدهما يخالف ما جاء فى المعجم والثانى يوافقه ، والمدلول الأول الذى يخالف المعجم هو : الجناية أو الذنب ، والدليل على ذلك قوله:

«قال : علىٌّ بفلان الخادم ، فأتى به ، وكان طُوَالا ، فأمر بصفعه فقال : يا أمير المؤمنين أى شىء قضيتى وأى جناية جنايتى ؟»[5] . والمدلول الثانى الذى يوافق المعجم هو : الحكم ، والدليل على ذلك قول المسعودى : «وواحد منهم - أى قاضٍ - للصقالبة والروس وسائر الجاهلية يحكم بأحكام الجاهلية ، وهى قضايا عقلية ، فإذا ورد عليهم مالا علم لهم به من النوازل العظام اجتمعوا إلى قضاة المسلمين فتحاكموا إليهم»[6] .

الجناية :

هى الذَّنب أو الجُرْم وما يفعله الإنسان مما يوجب عليه العقاب أو القصاص فى الدنيا والآخرة[7]

---

(١) اللسان ١/ ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، القاموس المحيط ٤/ ٨٧ ، المعجم الوسيط ١/ ١٢٣ .
(٢) المروج ١/ ٢٦٨ .
(٣) المعجم الوسيط جـ ٢ / مادة قضى / ص ٧٧٢ .
(٤) الشامل ، د. عبد المنعم سيد ، جـ ٣/ ٢٨٧ .
(٥) مروج الذهب ، جـ ٤/ ٢٥٤ .
(٦) مروج الذهب ، جـ ١/ ١٨٠ .
(٧) اللسان ، مج ١ / مادة جنى / ص ٧٠٧ .

والجمع جَنايا ، وجنى جنايا : أذنب ، وجنى الذنب على فلان : جرَّه إليه ، والجانى هو الكاسب[1] ، إذن الجناية هى كل ما يرتكبه الإنسان من ذنب أو جُرْم يستحق عليه العقوبة والقصاص وصاحبها يطلق عليه الجانى . وقد وردت هذه اللفظة عند المسعودى تحمل هذا المدلول ، وذلك فى قوله: «فأمر بصفعه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أى شىء قضيتى ؟ وأى جناية جنايتى ؟»[2] .

النَّهْب :

الغنيمة ، وفى الحديث : فأتى بَنَهْب أو بغنيمة ، والجمع نِهاب ونُهُوب ، والنَّهْب : الغارة والسلب ، أى لا يختلس شيئاً له قيمة عالية[3] ، ويُقال : نَهَب الشىء نَهْباً إذا أخذه قهراً ، ونهب فلاناً : تناوله بلسانه وأغلظ له فى القول ، فهو ناهب والمفعول منهوب ونهيب[4] .

وقد وردت لفظة النهب عند المسعودى تحمل مدلول : كل شىء مادى سُلب من صاحبه قليلاً كان أو كثيراً عن طريق القهر ، وذلك فى قوله : «وكثر اضطراب القواد والموالى ، وأسرعت العامة وسائر الخدم فى النَّهْب ، فانتهبوا دار إسماعيل بن بلبل ، ولم تبق دار جليل ولا كاتب نبيل إلا نهبوها»[5] .

التُّهْمة :

الوَهْم : من خطرات القلب ، وتوهَّم الشىء : تخيَّله ، وتمثَّله كان فى الوجود أو لم يكن ، ويُقال توهَّمْت الشىء وتفرَّسْته وتوسَّمْته وتبينته بمعنى واحد ، وقال زهير فى معنى التوهُّم :

وقفت بها من بعد عشرين حجة ... فلأياً عرفت الدار بعد توهم

والتُّهْمة : أصلها الوَهَمة من الوَهْم وهى الظن ، تاؤه مبدلة من الواو كما أبدلوها فى تُخْمة والجمعُ تُهَم ، وأتهم الرجل على أفعل إذا صارت به الرِّيبة ، واتهمته : ظننت فيه ما نسب إليه[6] . إذن التُّهمة هى الشك أو الريبة فى شخص ما تُلصق به مظنة ارتكابه جرماً ما ، وتظل عالقة به حتى تسقط عنه ببراءة أو بدليل . وقد وردت هذه اللفظة عند المسعودى تحمل هذا المدلول وذلك فى قوله : «فإن يك صادقاً فقد أخطأ فى مسيره غير مستكره عليه ، وإن يك كاذباً فقد لزمته التُّهمة» .

---

(١) المعجم الوسيط ، جـ ١ / مادة جنى / ص ١٤٦ .
(٢) المروج ، جـ ٤/ ٢٥٤ .
(٣) اللسان ، مج ٦ / مادة نهب / ص ٤٥٥٣ .
(٤) المعجم الوسيط ، جـ ٢ / مادة نهب / ص ٩٩٤ .
(٥) المروج ، جـ ٤/ ٢٢٨ .
(٦) اللسان ، مج ٦ / مادة وهم / ص ٤٩٣٤ .

الفصل الثالث
الألفاظ المتعلقة بالجيش والمحاربين

أولاً : الألفاظ الخاصة بفرق الجيش :

الجيش :

واحد الجيوش . والجيش : الجند ، وقيل : جماعة الناس فى الحرب ، والجيش : جند يسيرون لحرب أو غيرها ، يقال : جيَّش فلان أى جمع الجيوش ، واستجاشه أى طلب منه جيشاً[١] .

وقد كان العرب قبل الإسلام أهل بداوة لا نظام للجند عندهم وإنما كانوا قبائل، إذا أرادت إحداها حرباً جرَّدت رجالها ، وفيهم الفرسان والمشاة ومعهم الأسلحة المعروفة فى الجاهلية ، كالقوس والرمح والسيف[٢] ، «وكان محمد ﷺ أول من عبَّأ شعباً كاملاً لغرض واحد هو الحرب الدفاعية لحماية دعوته الدينية ، وأول جنود المسلمين بعد الهجرة هم المهاجرون والأنصار»[٣] .

وكان النبى هو القائد الأعلى لجيش المسلمين ، فقد كان يقود مغازيه الهامة كلها ، أما سراياه وحملاته الصغيرة ، فكان يبعث بها تحت قيادة رجال يؤمِّرهم فيها على بعوثه ويسمون بأمراء العساكر، وكان يشترط للقبول فى الجندية أن يكون الشخص مسلماً حرًّا بالغًا سليمًا مقدامًا ، فمن توافرت فيه هذه الشروط من العرب كان يُعتبر جنديًّا له الاختيار فى التطوع فى الجيش متى أراد، «ولم يكن قد أُنشئ بعد ديوان خاص بالجيش بيد أنّ مهام الجيش الإسلامى بأسره من جميع الأفراد المقاتلة وتزويدهم بالسلاح والكراع والمؤن والقيام عليهم وقيادتهم ، قد نيطت بيد النبى الطاهرة»[٤] .

ولم يكن جيش المسلمين فى ذلك الوقت بحاجة إلى تنظيم ثابت ، وبما أن تسليح الجيش فى ذلك الوقت لا يتطلب تدريباً موحداً وتشكيلات معينة فإن بقاء مثل هذا التنظيم بالنسبة للعرب فى

---

(١) اللسان ، مجلد ١ مادة جيش / ص ٧٣٨ .

(٢) تاريخ العرب العسكرى ، محمود الدرَّة ، دار الكاتب العربى ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٤ م ، بيروت ، ص ٢٣٥ .

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٤) الإدارة العربية ، حسينى ، ص ٦٠ .

أوقات السلم لا فائدة فيه ، ولهذا كانت تلغى بطبيعتها بعد المعركة ، وأمّا تنظيم الجند فئة خاصة دون سائر فئات المسلمين فقد بدأ فى أيام عمر عند التدوين للدواوين ، أمّا التجنيد الإلزامى فبدأ فى أواسط عهد الدولة الأموية ، وكان الناس من قبل يذهبون إلى الحرب جهاداً فى سبيل الله فلما قامت الفتنة بعد مقتل عثمان اشتغلوا بالحرب فيما بينهم مدة ، فلما أفضى الأمر إلى بنى أمية ، وصار المسلمون دولة واحدة ، وضعفت قوة الأحزاب بتغلب العنصر الأموى لم يعد الناس يرون ما يدفعهم إلى الحرب طوعاً ، فجعلوا يتقاعدون فاضطر الخلفاء إلى التجنيد بالإلزام .

«ولعل أول من فعل ذلك الحجاج بن يوسف على عهد عبد الملك بن مروان»[1] عندما ذهب أميراً إلى العراق لمحاربة الخوارج .

«فلما تولّى بنو العباس واحتاجوا إلى مؤازرة الأعاجم فى تأييد سلطانهم ، دخل فى جند العرب جماعات منهم»[2] .

وقد يكون من المناسب أن نذكر هنا أن لفظة الجيش كاسم عُرفت به هذه المؤسسة العسكرية لم يكن استعماله بهذا المعنى شائعاً فى الأيام الأولى من تاريخ الإسلام ، فهو لم يرد ذكره فى القرآن الكريم مع أن هناك آيات كثيرة تعرضت لقضية القتال والمقاتلين ، ولكنها استخدمت لفظة «جند» و «جنود» ، وفى مجال الحديث الشريف نجد أن الأحاديث التى ورد فيها ذكر لفظة «الجيش» قليلة إلى جانب ذكر لفظة «جند» و «جنود» و «بعث» .

وربما ترجع هذه الندرة فى الاستخدام للفظة «جيش» إلى أن المسلمين لم يكونوا قد أنشأوا تنظيماً عسكرياً كالذى أُنشئ فى العصرين الأموى والعباسى .

وقد وردت لفظة «الجيش» فى كتاب المسعودى مرادفة للفظة «الجنود» و «العسكر» وذلك فى قوله: «فلما ثقل المأمون قال : أخرجونى أشرف على عسكرى ، وأنظر إلى رجالى ، وأتبين ملكى ، وذلك فى الليل ، فأخرج ، فأشرف على الخيم والجيش وانتشاره وكثرته»[3] .

المرابطون :

«الرباط : المواظبة على الأمر ، وهو الإقامة على جهاد العدو بالحرب ، وارتباط الخيل وإعدادها، وأصل المرابطة أن يربط الفريقان خيولهما فى ثغر ، كل منهما مُعِدٌّ لصاحبه فسُمِّى المقام فى الثغور رباطاً»[4] ، إذن فالمُرابطِة هم : الناس أو الخيل تلزم الثغر مما يلى العدو[5] .

(١) تاريخ التمدن الإسلامى ، جورجى زيدان ، مراجعة د. حسين مؤنس ، دار الهلال ، جـ ١/ ١٧٠ .
(٢) المرجع السابق ١/ ١٧١ . (٣) المروج ، جـ ٤/ ٤٥ .
(٤) اللسان ، المجلد الثالث ، مادة ربط ، ص ١٥٦١ .
(٥) المعجم الوسيط ، جـ ١ / مادة ربط / ص ٣٣٦ .

وقد وردت هذه اللفظة «المرابطون» فى كتاب المسعودى تحمل مدلول «الجنود الذين يلزمون الثغر مما يلى العدو ويقومون عليه بصفة دائمة ، ويؤكد ذلك المسعودى بقوله : «وقد كان بمدينة شالوس حصن منيع وبنيان عظيم بنته ملوك فارس ، يسكن فيه الرجال المرابطون بإزاء الديلم»[1] .

المُطَّوِّعة :

ورد فى اللسان : «والمُطَّوِّعة : الذين يتطوَّعون بالجهاد أدغمت التاء فى الطاء كما فى قوله «ومن تطوَّع خيراً» ومنه قوله تعالى «والذين يلمزون المُطَّوِّعين من المؤمنين» والمطَّوِّع أو المتطوِّع هو الذى يفعل الشىء تبرعاً من نفسه»[2] .

وقد كان الوعد بالجنة أحد الغايات الرئيسية منذ الأيام الأولى للإسلام ، وفى كثير من الأحوال دخلت المصالح الدنيوية وانتهاز الفُرَص لكسب المال ، ولكن لم تغب البتة غاية الجنة ومباهجها العظمى فى ذهن المسلم حين يجاهد فى الحرب ضد الكفَّار والمارقين ، الأمر الذى جعل المسلمين يتقدمون إلى القتال من تلقاء أنفسهم ، ومن هنا أُطلق على هذه الفئة «المُطَّوِّعة»[3] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : «الذين يُقدمون على الحرب من تلقاء أنفسهم ، وذلك فى قوله : «وفى رجب من هذه السنة - وهى سنة سبع وثمانين ومائتين - كان خروج العباس بن عمرو من البصرة فى جيش عظيم ومعه خلق من المطَّوِّعة»[4] .

الساجية :

هى كتيبة شكَّلها أبو الساج ديوداذ ، وهو قائد من قواد الترك كان فى خدمة المتوكِّل ، وقد اعتمد على الساجية مؤنس التركى ومساعده يانس في كفاحهما ضد القاهر ، ولكن القاهر استطاع أن يستميلها إلى نفسه فوعدها عطايا تعادل عطايا الحُجَرية ، ولكن سرعان ما حرَّضها ابن مقلة على القاهر ، فاكتسحت الساجية قصر القاهر وسجنته ، وهى التى نصَّبت الراضى بالمشاركة مع الحُجَرية ، وكان قائدهم يدعى سيما ، فاقترح على الراضى أن يسمل عينى القاهر لئلا يمكنه استعادة الخلافة[5] .

---

(١) المروج ، جـ ٤/ ٣٧٣ .

(٢) اللسان ، المجلد الرابع ، مادة طوع ، ص ٢٧٢٢

(٣) تاريخ التمدن الإسلامى ١/ ١٧٠ .

(٤) المروج ٤/ ٢٦٥ .

(٥) تاريخ الطبرى جـ ٩/ ٤٧ ومابعدها ، دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الحادى عشر ، العدد الأول ، ص ٣٦ ، ٣٨ .

وفى سنة ٣٢٣ هـ جعلت الساجية والحُجَرية تضطربان وتطالبان بمال وعطايا ، فحَّرش محمد بن ياقوت بينهما وبين الراضى وعزم بدر الخرسنى صاحب شرطة بغداد على قتالهما ، ولكنهما أكرها الراضى على توكيلهما بحراسته الخاصة ، فوقع بينهما وبين بدر تصالح[١] .

وقد ورد ذكر هذا اللفظ فى كتاب المسعودى وذلك فى قوله : «ولما سار بجكم التركى فيمن معه من الأتراك متوجهاً إلى مدينة السلام ، وصل إلى النهروان على أقل من يومين من الحضرة ، فراسل الراضى ، وكان الغالب على أمره الساجية وعدة من الغلمان الحُجَرية ، فأبوا أن يتركوه يصل إلى الحضرة خوفاً أن يغلب على الدولة ، فمضى بجكم لما مُنع من الحضرة إلى واسط»[٢] .

المُرتزقة :

جاء فى اللسان : «ارتزقه واسترزقه : طلب منه الرِّزق ، وارتزق الجند : أخذوا أرزاقهم»[٣] ، ويقال : هم مرتزقة أى أصحاب جرايات ورواتب مقدَّرة ، والجنود المرتزقة : هم الذين يحاربون فى الجيش على سبيل الارتزاق والغالب أن يكونوا غرباء[٤] .

وانتشرت ظاهرة المرتزقة فى العصر الأموى ، وزادت انتشاراً فى العصر العباسى ، وفى هذا الصدد يقول جرجى زيدان : «وأصبح الجند الإسلامى فى العصر الأموى فئتين : المُرتزَقة والمتطوِّعة وكلاهما عرب ، يرجعون فى أنسابهم إلى قحطان وهم اليمنية أو إلى عدنان وهم المضرية ، وفيهم جماعة من الموالى والعبيد[٥] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : «الجند المستأجرون لخوض الحروب دفاعاً عن السلطان إلى جانب جنده المختصين ، وذلك فى قوله : «قال : والعجب الثالث أعجب من الطير والدودة ، من يكرى نفسه للقتل ، يعنى المرتزقة من الجند[٦] .

الحُجَرية :

«هم عبيد كانوا يكوِّنون حرس الخليفة ، يُقال لهم أيضاً غلمان الحُجَر أو حُجَرية السلطان ، وسُمُّوا بذلك لإقامتهم فى حُجَر خاصة بهم ، وأول من رتَّب هذا الحرس الخليفة المعتضد فى العصر العباسى ، وجعل المعتضد لهم أميراً وهو الأستاذ «رئيس الخصيان» واستخدمهم فى حروبه ، وقد كان

(١) الكامل فى التاريخ جـ ٦/ ٢٤٢ ومابعدها .
(٢) المروج جـ ٤٧/ ٣٨٣ .
(٣) اللسان ، جـ ٣ / مادة رزق / ١٦٣٧ .
(٤) المعجم الوسيط ، جـ ١ / مادة رزق / ص ٣٥٥ .
(٥) تاريخ التمدن الإسلامى ١/ ١٧١ .
(٦) المروج ، جـ ٤/ ٣٣١ .

لهم دور سياسى هام فى الوقوف بجوار الخليفة وتأييده ، وقد شاركوا مع الساجية فى تنصيب الراضى»[1] .

وقد ذكرهم المسعودى فى كتابه بقوله : «واشتد أمر البريديين ، واصطنعوا الرجال ، وبذلوا الرغائب ، فانضاف إليهم حُجَرية السلطان وغلمانه»[2] .

ونفهم من نص المسعودى أنَّ الحجرية لم يكونوا دائماً يقفون بجوار السلطان وإنما قد يغريهم أحد بالمال فينضمون إليه فى حربه ضد السلطان ، وهذا ما حدث فى حرب البريديين للمتقى لله ، فقد انضموا للبريديين ، رغم أنهم حرس الخليفة .

الشاكرية :

هم جنود مستأجرون ، استخدمهم الخلفاء العباسيون لتوطيد ملكهم وتأييد سلطانهم ، وقد ابتاعهم الخلفاء من أسواق بغداد ، وقد جاءوا من أشرونة وسمرقند وفرغانة ، وكان لهم زى خاص ، يقول عنهم الجاحظ «ألا ترى أن اسم الشاكرية ، وإن خالف فى الصورة والهجاء اسم الجند ، فإن المعنى فيهما ليس ببعيد لأنهم يرجعون إلى معنى واحد وعمل واحد ، والذى إليه يرجعون طاعة الخلفاء وتأييد السلطان[3] .

وقد ورد هذا اللفظ فى كتاب المسعودى يحمل هذا المدلول ، وذلك فى قوله : «وقد كان فى هذا الوقت ثارت عساكر الشاكرية من قبل طاهر بن محمد بن عمر بن الليث غضباً لجده عمرو ، ولحقته ببلاد الأهواز ، وخرجت عن حدود فارس ، واضطرب الأمر»[4] .

وفى موضع آخر يقول المسعودى : «ويقال : إنه أنفق على الهارونى والجوسق والجعفرى أكثر من مائة ألف درهم ، وهذا مع كثرة الموالى والجند والشاكرية ودرور العطاء لهم وجليل ما كانوا يقبضونه فى كل شهر من الجوائز والهبات»[5] .

---

(١) تاريخ الطبرى ١٠/ ١٢٥ ومابعدها ، تاريخ التمدن الإسلامى ١/ ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٢) المروج ، جـ ٤/ ٣٤٠ .

(٣) مناقب الترك ، الجاحظ ، ضمن رسائل الجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ١٩٦٤ ، جـ ١/ ٣٠ .

(٤) المروج ٤/ ٢٦٨ ، ٣٦٩ .

(٥) المروج ، جـ ٤/ ١٢٢ .

ثانياً : الألفاظ المتعلقة بالأدوات الحربية :

الحَرْبة :

الآلة دون الرمح ، وجمعها حِراب . قال ابن الأعرابى : ولا تُعدّ الحربة فى الرماح[١] .

وهى آلة قصيرة من الحديد محددة الرأس تستعمل فى الحرب[٢] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل هذا المدلول : «آلة دون الرمح محددة الرأس تستخدم فى الطعن أثناء الحرب ، وذلك فى قوله : «إنى رأيت الساعة فى منامى كأنَّ حبشياً قد أتانى ومعه حربة ، فقال لى : إن لم تخلِّ عن موسى بن جعفر الساعة وإلا نحرتك بهذه الحربة»[٣] .

السُّميريات :

جاء فى اللسان : «والسُّميرية : ضرب من السفن ، وسمَّر السفينة : أرسلها»[٤] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول المراكب الحربية ، وذلك فى قوله : «وصار لهم جيشان : جيش فى الماء فى الشذوات والطيَّارات والسُّمَيْريَّات والزبازب ، وهذه أنواع من المراكب يقاتل فيها صغار وكبار ، وجيش فى البر عظيم»[٥] .

الزبازب :

جاء فى اللسان : والزبازب : ضرب من السفن ، والمفرد : زبزب[٦] وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : «المراكب الحربية» وذلك فى قوله : «وصار لهم جيشان : جيش فى الماء فى الشذوات والطيارات والسُّمَيْريَّات والزبازب ، وهذه أنواع من المراكب يقاتل فيها صغار وكبار، وجيش فى البر عظيم»[٧] .

الحَرَّاقة :

جاء فى اللسان «قال ابن سيده : والحرَّاقات سفن فيها مرامى نيران ، وقيل هى المرامى أنفسها ، وقال الجوهرى : الحَرَّاقة بالفتح والتشديد ضرب من السفن فيها مرامى نيران يُرمى بها العدو فى

---

(١) اللسان ، مجـ ٢ ، مادة حرب ، ص ٨١٦ .
(٢) المعجم الوسيط ، جـ ١ / مادة حرب / ص ١٧٠ .
(٣) المروج ، جـ ٣/ ٣٥٧ .
(٤) اللسان ، المجلد الثالث ، مادة سمر ، ص ٢٠٩١ .
(٥) المروج ، جـ ٤/ ٣٤٠ .
(٦) اللسان ، المجلد الثالث ، مادة زبب ، ص ١٨٠٢ .
(٧) المروج ، جـ ٤/ ٣٤٠ .

البحر»[1] . وجاء فى القاموس المحيط : «الحرَّاقة : سفن بالبصرة فيها مرامى نيران يُرمى بها العدو»[2]، ويقول جورجى زيدان : وقد كان الجنود يحملون فيها منجنيقات يرمون بها النفط المشتعل على الأعداء ، ويسمون المنجنيق عرَّادة[3] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : «السفن الحربية فيها مرامى نيران يُرمى بها العدو فى البحر» ، وذلك فى قوله : «وقد كان طاهر نمى إليه خروجه ، فبعث بالرجال من الهروية وغيرهم والملاَّحين فى الزوارق على الشط ، فدفعت الحَرَّاقة ، ولم يكن مع هرثمة عدة من رجاله ، فأتى أصحاب طاهر عراة فغاصوا تحت الحَرَّاقة فانقلبت بمن فيها»[4] .

الشَّذوات :

جاء فى اللسان : «الشَّذا : ضرب من السُّفن (عن الزجاجى)، والواحدة شذاة ، قال أبو منصور: هذا معروف ولكنه ليس بعربى ، وقال ابن برّى : الشَّذاة ضرب من السُّفن ، والجمع شذوات»[5] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : المراكب الحربية، وذلك فى قوله : «وصار لهم جيشان : جيش فى الماء فى الشذوات والطيَّارات والسميريات والزبازب ، وهذه أنواع من المراكب يقاتل فيها صغار وكبار ، وجيش فى البر عظيم»[6] .

الطيَّارات :

لم ترد فى اللسان ، ولكن المسعودى استخدمها بمعنى المراكب الحربية ، وذلك فى قوله : «وصار لهم جيشان : جيش فى الماء فى الشذوات والطيَّارات والسميريات والزبارب ، وهذه أنواع من المراكب يقاتل فيها صغار وكبار ، وجيش فى البر عظيم»[7] .

الدبَّابات :

«الدبَّابة التى تُتخذ للحروب ، يدخل فيها الرجال ثم تُدفع فى أصل الحصن ، فينقبون وهم فى جوفها ، سُمِّيت بذلك لأنها تُدفع فتدبُّ ، وفى حديث عمر ﷺ قال : كيف تصنعون بالحصون ؟ قال : نتخذ دبابات يدخل فيها الرجال . الدبَّابة : آلة تُتخذ من جلود وخشب . يدخل فيها الرجال،

(١) اللسان ، المجلد الثانى ، مادة حرق ، ص ٨٤١ .
(٢) القاموس المحيط ، مادة حرق .
(٣) تاريخ التمدن الإسلامى ١/ ١٦١ ، ط ١٩٠٢ م .
(٤) المروج ، جـ ٣/ ٤٢٠ .
(٥) اللسان ، مجـ ٤ ، مادة شذا ، ص ٢٢٢١ .
(٦) المروج ، جـ ٤/ ٣٤٠ .
(٧) المروج ، جـ ٤/ ٣٤٠ .

ويقربونها من الحصن المُحاصر لينقبوه ، وتقيهم ما يُرَمون به من فوقهم»[١] .

وهى تختلف عن الدَّبابة الحديثة التى على هيئة سيارة غليظة مُصفَّحة تهجم على صفوف العدو، وتُرمى منها القذائف . وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل المدلول القديم الذى جاء فى اللسان ، وذلك فى قوله : «وأعمل الديلمى الحيلة فى البيات بالديلم ، فحملهم فى السفن مع بوقات ودبَّابات فى الليل ، وألقاهم فى مواضع كثيرة من الشارع إلى الجانب الشرقى»[٢] .

الخوذة :

وتُسمى البيضة ، وهى غطاء الرأس أو المِغفر يُجعل على الرأس وتصنع من حديد أو فولاذ يُغطَّى الرأس والصدغين ويبطَّن داخلها ببعض المواد اللينة كالقطن واللباد[٣] .

وللخوذة مقدم يسمى القونس ، ولها مؤخر من حلقات حديدية متصل بها ، وفى أعلاها قمة مدببة لتطيش ضربات السيوف إذا سقطت عليها ، وهى لفظة معرَّبة كما ذكر ذلك صاحب «الألفاظ الدخيلة» فى قوله : «الخوذة - فارسى» خود «وهو بيضة الحديد مرادفة يينميَّة ، أما المغفر فهو حلَق تجعل أسفل البيضة فتسبغ على العنق ، والخوذة تلبس على الرأس»[٤] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل المدلول السابق ، وذلك فى قوله : «ويركب منهم مع الملك فى هذا الوقت شخوص منهم سبعة آلاف ناشب بالجواشن والدروع والخوذ ومنهم رامحة أيضاً»[٥] .

التُّرس :

من السلاح : المُتوقَّى بها ، وجمعه أتراس وتِرَاس وترسَة وتُروس[٦] وهو المِجنُّ أيضاً ، وهو عبارة عن آلة دفاعية يحمى بها المقاتل نفسه من ضربات الأعداء ورمياتهم سواء كانت بالسهام أم بالرماح أم بالسيوف، وكما أن السيف لا يفارق يمين المحارب فكذلك الترس لا يفارق يساره عند القتال.

---

(١) اللسان ، المجلد الثانى ، مادة دبب ، ص ١٣١٥ .

(٢) المروج ، جـ ٤/ ٣٧١ .

(٣) أسلحتنا العربية قديماً وحديثاً ، محمود بن شريف ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ط ١٩٦٥ ، ص ٤٣ .

(٤) تفسير الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية ، القس طوبيا العنيسى ، ص ٢٥ .

(٥) المروج ، جـ ١/ ١٧٩ .

(٦) اللسان / مجـ ١ / مادة ترس / ص ٤٢٨ .

وللتروس أنواع منها : المسطَّح المضاد للرماح . والمستطيل المضاد للنُشَّاب . والمحدَّب المنحنى الطرفين وهو مضاد لضربات السيوف[1] . والتُّرس يرادف الجُنَّة والمجنّ والمجنَّب والجوب والطرَّاد[2] . وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : «كل ما يُتوقَّى به فى الحرب ضد السهام والرماح والسيوف» ، وذلك فى قوله : «لم يبق إلا الصبر والتوكُّل وأخذك التُّرس وسيف مصقل»[3]. وفى موضع آخر يقول : «قلت : فما تقول فى عمرو بن فرج ؟ قال ضخم نهم استعذب الدم ، ينصبه القوم ترسا للوغى»[4] .

البنود :

البنود ج بند وهو العلم الكبير ، فارسى مُعرَّب ، وليس له جمع أدنى عدد[5] .

وقد ورد هذا اللفظ عند المسعودى يحمل مدلول : العلم الكبير يرفعه الجنود وهم فى طريقهم إلي المعركة وأثناء المعركة ، وذلك فى قوله : «وضُرب له المصافُّ صفين فى الخيل والرجال والسلاح والحديد والرايات والبنود»[6] .

الرايات :

الراية : العَلَم لا تهمزها العرب ، والجمع رايات وراىٌ ، وأصلها الهمز ، وحكى سيبويه : راءة بالهمز . شبَّه ألفَ راية - وإن كانت بدلاً من العين - بالألف الزائدة فهمز اللام كما يهمزها بعد الزائدة فى نحو سقاء وشفاء»[7] . وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : «العَلَم الكبير يحمله الجنود» ، وذلك فى قوله : «وضرب له المصافُّ صفَّين فى الخيل والرجال والسلاح والحديد والرايات والبنود»[8] .

الرِّماح :

«الرمح نوع من السلاح معروف واحد الرِّماح ، وجمعه أرماح[9] ، «وهو قناة فى رأسها سنان يُطعن به»[10] ، «ومن أسماء الرمح وصفاته : القَنَاة والمرانة والوشيجة والأصمّ ، ومن العمل

(١) أسلحتنا العربية ، ص ٤٣-٤٤ .
(٢) مبادئ اللغة ، الإسكافى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى ، ١٩٨٥ م ، ص ١٠٣ .
(٣) المروج ، جـ ٢/ ٣٩٤ .
(٤) المروج ، جـ ٤/ ٦٦ .
(٥) اللسان ، المجلد الأول ، مادة بند ، ص ٣٥٨ .
(٦) المروج ، جـ ٤/ ٥٧ .
(٧) اللسان ، المجلد الثالث ، مادة ريا ، ص ١٧٩٧ .
(٨) المروج ، جـ ٤/ ٥٧ .
(٩) اللسان المجلد الثالث ، مادة رمح ، ص ١٧٢٥ .
(١٠) المعجم الوسيط ، جـ ١ / مادة رمح / ص ٣٨٤ .

بالرمح: الطعن الشزر ما كـان عن يمينك وشمالك»[1] . وقد وردت هذه اللفظة فى كتـاب المسعودى تحمل المدلول السابق ، وذلك فى قوله : «وثارت العُرَاة ذات يوم فى نحو مائة ألف بالرماح والقصب والطرَّادات من القراطيس على رؤوسها ، ونفخوا فى بوقات القصب وقرون البقر»[2] .

الخافقات :

كل ما يُضـرب به من سوط أو نحوه ، والمِخْفق : السـيف العريض[3] والخِفقـة بالكسر : شىء يُضرب به نحو سير أو دِرَّة[4] . وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول :

«أداة من أدوات القتال ، من المرجح أن تكون هى السيف ، وذلك فى قـوله : «ولُبْس العَجاجة والخافقات تريك المنايا بروس الأسل»[5] .

الدبابيس :

الدَّبُّوس : عـمـود على شكـل هراوة مُـدَمْلكة الرأس وهو مُـعـرَّب»[6] ، ويطلق أيضـاً على المقامع[7].

والدَّبوس فى الفارسـية بلا تشـديد : عصا طولهـا قدمان مـغطاة الرأس بالحديد ، تُضـرب بها الرؤوس فى القتال ، وفى التركية طُبوز .

وفى صبح الأعشى : الدَّبوس ويسـمى العامود ، وهو آلة من حديد ذات أضـلاع ينتفع بها فى قتال لابس البيضة ومن فى معناه ، ويقال : إن خالد بن الوليد رضي الله عنه به كان يقاتل ٢/ ١٤٢[8] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسـعودى تحمل مدلول : الخشبة أو الحـديدة معوجة الرأس ، يُضرب بها على الرأس ، وذلك فى قوله : «فشرع أصحاب موسى يدخلون الدار ، وجعلوا يُخرجون العامة منها بأشد ما يكون من الضرب بالدبابيس[9] .

---

(١) مبادئ اللغة ٩٨ ، ٩٩ .
(٢) المروج ، جـ ٣/ ٤١٧ .
(٣) المعجم الوسيط ، جـ ١ / مادة خفق / ص ٢٥٦ .
(٤) القاموس المحيط ، فصل الخاء باب القاف ، جـ ٣ ، ص ٢٢١ .
(٥) المروج ، جـ ٤/ ٦ .
(٦) المعجم الوسيط ، جـ ١ / مادة دبس / ص ٢٧٩ .
(٧) القاموس المحيط ، فصل الدال باب السين ، ص ٢١١ .
(٨) تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل ، د. أحمد السعيد سليمان ، دار المعارف ١٩٧٩ م ، ص ٩٥ .
(٩) المروج ، جـ ٤/ ١٨٤ .

الأسَل :

الرِّماح على التشبيه به فى اعتداله وطوله واستوائه ودقة أطرافه . والأسل : النَّبْل ، وهو عند الإمام علىّ : كل ما أُرِقَّ من الحديد وحُدِّد من سيف أو سكين أو سنان ، وأصل الأسَل : نبات له أغصان دقاق كثيرة لا ورق لها ، وأسَّلْتُ الحديد إذا رقَّقْتُه ، وقال مزاحم العقيلى :

تبارى سديساها إذا ما تلمَّجتْ . . شباً مثل إبزيم السلاح المُؤسَّل»[1] . ونلاحظ أن هذه اللفظة لها دلالة مركزية : هى كل عود لا عوج فيه ، ثم اتسعت دلالتها المركزية لتشمل دلالة هامشية تُطلق على الرماح والنبل وذلك على سبيل المجاز . وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : الرُّمح باعتباره يدخل فى إطار كل ما يُرقَّق ويُحدُّ من الحديد . وذلك فى قوله : «قال : ثم ماذا يا قاسم ؟ قال : ولُبْس العَجَاجة والخافقات تريك المنايا بروس الأسَل»[2] .

العَجَاجة :

الغُبار والدُّخان ، ويقال : لفَّ عجاجته عليهم : أغار . ولبَّد عجاجته : كفَّ عما كان فيه[3] .

ونلاحظ أن المدلول الذى تحمله هذه اللفظة فى المعاجم العربية يختلف عنه عند المسعودى ، حيث إنها تحمل مدلول كل ما يحمى الرأس كالبيضة ، وذلك فى قوله : «ولُبْس العَجاجة والخافقات تريك المنايا بروس الأسل»[4] ، ونلاحظ وجود علاقة تقارب بين العَجَاجة والخَوْذة والبيضة ؛ حيث إن هذه الألفاظ الثلاثة تحمل مدلول : غطاء للرأس يلبسه المحارب ليتقى به ضربات السيوف والرماح وغيره .

الجواشن :

يقول صاحب اللسان: الجوشن اسم الحديد الذى يُلبس من السلاح، ويقول الجوهرى: والجوشن: الدرع[5] . وقيل هو الدِّرع البتراء القصيرة التى تغطى الصدر فقط بلا ظهر ولا أكمام ، كان يلبسها المحاربون لإظهار بطولتهم وإبعاداً لأنفسهم عن الفرار ، إذ ظهرهم سيكون مكشوفاً إذا ما حدَّثتهم أنفسهم بالفرار»[6] . «ولفظة الجوشن مُعرَّبة ، أخذت من الفارسية ، ومعناها صدر ودرع»[7] .

---

(١) اللسان ، المجلد الأول ، مادة أسل ، ص ٨٠ .
(٢) المروج ، جـ ٤/٦ .
(٣) المعجم الوسيط ، جـ ٢ / مادة عجج / ص ٦٠٦ .
(٤) المروج ، جـ ٤/٦ .
(٥) اللسان ، المجلد الأول ، مادة جشن ، ص ٦٢٩ .
(٦) أسلحتنا العربية قديماً وحديثاً ، ص ٤٢-٤٣ .
(٧) تفسير الألفاظ الدخيلة ، ص ٢٢ .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : «درع بتراء قصيرة تغطى الصدر فقط بلا ظهر ولا أكمام» ، وذلك فى قوله : «ويركب منهم مع الملك فى هذا الوقت شخوص منهم سبعة آلاف ناشب بالجواشن والدروع والخوذ ومنهم رامحة أيضاً»[1] .

الدِّرع :

«حلقات حديدية رفيعة كان يلبسها المحارب على صدره وظهره ، وكانت تصنع من الحديد الصافى الخالص وتُلبس فوق قميص من الكَتَّان يسمى الشليل أو القباء ، والدِّرع نوعان : سابغة وبتراء ، فالسابغة هى الفضفاضة التى تغطى البدن بأكمامها الطويلة حتى الأنامل ، ومعها المِغْفر الذى يغطى الوجه ، والبَيْضة التى تغطى الرأس والقفا . أمَّا الدِّرع البتراء فهى القصيرة التى بلا أكمام بحيث تصل إلى أسفل الركبة أو فوقها بقليل»[1] .

ولفظ الدِّرع تؤنَّث وتذكَّر، وتُسمَّى النَّثْرة والنشلة والسربال واللأمة والسلوقى والحطمى»[3] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلولين : أحدهما حقيقى كما جاء فى المعجم ، والآخر مجازى . فالمعنى الحقيقى : أداة من أدوات القتال يلبسها المحارب للحماية والدفاع ، وذلك فى قوله : «ويركب منهم مع الملك فى هذا الوقت شخوص منهم سبعة آلاف ناشب بالجواشن والدروع والخوذ ، ومنهم رامحة أيضاً على حسب ما فى المسلمين من آلات السلاح»[4] .

والمعنى المجازى هو القوة والمنعة والحماية ، وذلك فى قوله : «ولما قُتل عمَّار ومن ذكرنا فى هذا اليوم حرَّض علىٌّ عليه السلام الناس وقال لربيعة : أنتم درعى ورمحى ، فانتدب له ما بين عشرة آلاف إلى أكثر من ذلك من ربيعة وغيرهم ، وقد جادوا بأنفسهم لله عز وجل ، وعلىٌّ أمامهم على البغلة الشهباء»[5] .

النُّشَّاب :

جاء فى اللسان : «النُّشَّاب واحدته نُشَّابة ، والناشب : ذو النُّشَّاب ، ومنه سُمِّى الرجل ناشباً . والناشبة : قوم يرمون بالنُّشَّاب وهو السهم أيضاً»[6] . وقال الإسكافى : «النُّشَّاب والنَّبْل والسَّهْم والمِنزع سواء»[7] .

---

(١) المروج ، جـ ١/ ١٧٩ .
(٢) أسلحتنا العربية قديماً وحديثاً ، ص ٤١-٤٢ .
(٣) مبادئ اللغة ، ص ١٠٤ .
(٤) المروج ، جـ ١/ ١٧٩ .
(٥) المروج ، جـ ٢/ ٣٩٦ .
(٦) اللسان ، مجـ ٦ / مادة نشب / ص ٤٤٢٠ .
(٧) مبادئ اللغة ، ص ١٠١ .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى مرادفة للنَّبل والسهم والمِنزع وذلك فى قوله : «ورُمى الهودج بالنُّشَّاب والنَّبل حتى صار كأنه قنفذ ، وعُرقب الجمل وهو لا يقع ، وقد قُطعت أعضاؤه ، وأخذته السيوف حتى سقط»[1] .

المنجنيق :

جاء فى اللسان : «المَنْجنيق والمِنْجنيق ، بفتح الميم وكسرها والمنجنوق : القُذَّاف التى تُرمى بها الحجارة ، دخيل أعجمى مُعرَّب ، وأصلها بالفارسية : مَنْ جى نيك ؛ أى : ما أجودنى ! وهى مؤنثة ، وتقديرها منفعيل لقولهم : كنَّا نجنق مرةً ونرشق أخرى . قال الفرَّاء : والجمع منجنيقات»[2] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى فى صورتى المفرد «المنجنيق» ، والجمع «المنجنيقات» تحمل مدلول : «آلة حربية من آلات الحصار كانت تُرمى بها حجارة ثقيلة على الأسوار فتهدمها» ، وذلك فى قوله : «فصارت الحرب فى وسط الجانب الغربى ، وعُملت المنجنيقات بين الفريقين وكثر الحريق والهدم ببغداد والكرخ وغيره من الجانبين»[3] .

المِخْلاة :

جاء فى اللسان : «خلى الخَلَى خَلْيًا واختلاه فانخلى : جزّه وقطعه ونزعه ، وقال اللحيانى : نزعه ، والمِخْلَى : ما خلاه وجزَّه به ، والمِخْلاة : ما وضعه فيه ، وخلى فى المِخْلاة : جَمَع»[4] ، وجاء القاموس : «والمِخْلاة بالكسر ما وُضع فيه»[5] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : «الكيس أو الجراب الذى تُحمل فيه الحجارة والآجرّ لرميها على العدو أثناء الحرب ، وذلك فى قوله : «فبصر به بعض العُراة وقد داماه مدة طويلة حتى فنيت سهام القائد ، وظن أن العريان فنيت حجارته فرماه بحجر بقيت فى المخلاة»[6] .

---

(١) المروج ، جـ ٢/ ٣٧٥-٣٧٦ .

(٢) اللسان ، المجلد السادس ، مادة مجنق ، ص ٤١٤٣ .

(٣) المروج ، جـ ٣/ ٤١٢ .

(٤) اللسان ، المجلد الثانى ، مادة خلا ، ص ١٢٥٨ .

(٥) القاموس المحيط ، فصل الخاء باب الواو والياء ، ص ٣١٩ .

(٦) المروج ، جـ ٣/ ٤١٤ .

الطرَّادات :

جاء فى اللسان : «المِطْرد بكسر الميم ، رمح قصير تُطعن به حمر الوحش ، وقال ابن سيده : المِطرد بالكسر رمح قصير يُطرد به ،وقيل : يُطرد به الوحش . والطِّراد : الرمح القصير لأن صاحبه يطارد به»[1] . وفى القاموس المحيط : «الطِّراد : سفينة صغيرة سريعة»[2] . وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : «الرمح القصير الذى يطارد به صاحبه العدو فى الحرب» ، وذلك فى قوله : «وثارت العراة ذات يوم فى نحو مائة ألف بالرماح والقصب والطرَّادات والقراطيس على رؤوسها»[3] .

القوس :

«عود جبلى صلب يحنى طرفاه بقوة ، ويشد فيهما وتر جلدى يمسك الرامى وسط القوس بيده اليسرى ، ثم يثبت السهم فى وسط الوتر بيده اليمنى ثم يجذبه إليه مساوياً مرفقه الأيمن بكتفه ، مسدداً نظره إلى الهدف ، فإذا بلغ الوتر نهايته من أصابعه فيندفع الوتر إلى وضعه الأصلى الأول دافعاً أمامه السهم إلى الهدف»[4] .

وقد اشتهرت فى بلاد العرب القِسىُّ الحجازية ، وكانت تصنع من عود النبع أو الشوحط أو الشريان ، وهذه الأسماء الثلاثة لنوع واحد من الشجر غير أن أسماءه ، تختلف باختلاف مكانه .

فالنَّبع : ما نبت فى قمة الجبل ، والشريان : ما نبت فى سفح الجبل ، والشوحط : ما نبت فى الحضيض . وللقوس نصفان أعلى وأسفل يتوسط هذين النصفين المقبض والجزء المنحنى من نهاية النصف الأعلى يسمى السية العليا ، والجزء المنحى من نهاية النصف الأسفل يسمى السية السفلى ، ولكل قوس قابان :

١ - قاب علوى : وهو الجزء الممتد من السية العليا إلى المقبض .

٢ - قاب سفلى : وهو الجزء الممتد من نهاية المقبض إلى السية السفلى .

والفرضة : هو الموضع الذى يربط فيه الوتر عند السية العليا والسفلى .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى ، وذلك فى قوله : «فأمر بإكافين فأُحضرا وجعل أحدهما فوق الآخر وشُدَّ الحاجب فوقهما ، وأمر بالقوس والبندق ، فدفع إلى الطفيلى ، فرمى به فما أخطأه»[5] .

---

(١) اللسان ، مجلد ٤ ، مادة طرد ، ص ٢٦٥٢ .

(٢) القاموس المحيط ، جـ ١ / فصل الضاد والطاء باب الدال ص ٣٠٧ .

(٣) المروج ، جـ ٣/ ٤١٧ .

(٤) أسلحتنا العربية قديماً وحديثا ، ص ٣٥-٣٦ .

(٥) المروج ، جـ ٤/ ١٨٩ .

السَّهم :

ومن أسمائها أيضاً : النَّبْل والنُّشَّاب ، وقد كانت السهام أول أدوات القتال عند العرب ، والسَّهم هو قذيفة القوس[1] . وهو عود من الخشب يُسوَّى ، فى طرفه نصل يُرمى به عن القوس[2] . ويقول عنه صاحب اللسان : «السهم واحد النَّبْل وهو مركب النصل ، والجمع أسهم وسهام»[3] .

ويتكون السهم من :

١ - القدح وهو جسم السهم الخشبى .

٢ - النصل وهو رأس السهم ويُصنع من الحديد المطروق ونهاية النصل المدببة تسمى ظُبَة .

٣ - الفراران وهما الشوكتان الجانبيتان فى النصل وتسيران فى عكس اتجاهه ، ويجعلانه صعب الإخراج إذا ما نشب فى الجسم .

٤ - الريش ، وهو ريش طير يركب على جانبى السَّهم ليحفظ توازنه عند انطلاقه إلى الهدف .

وللسهم أسماء تتدَّرج مع المراحل التى كان يرقاها عند صنعه من مبدأ أمره إلى منتهاه ، فهو فى أول مرة قَدَح ، فإذا نُحت وقُوِّم فهو مخشوب ، فإذا طُوِّع ولُيِّن للريش فهو محلق ، فإذا ما وضع عليه الريش فهو «المُرَيَّش» فإذا وُضع فيه النَّصل فهو السهم[4] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى فى صورتى المفرد والجمع تحمل مدلولين أحدهما حقيقى وهو :

أداة من أدوات القتال عبارة عن عود خشبى يُسوَّى فى طرفه نصل يُرمى به عن طريق القوس ، وذلك فى قوله : «وذكر سعيد بن نكيس قال : كنت واقفاً بين يدى المتوكل فى مضربه بدمشق إذا شغب الجند ، واجتمعوا ، وضجُّوا يطلبون الأعطية ، ثم خرجوا إلى تجريد السلاح والرمى بالنُّشَّاب، وأقبلت أرى السهام ترتفع فى الرواق»[5] .

والآخر مدلول مجازى وهو القتل أو الموت، وذلك فى قوله: «قال أبو صاعد فى رثاء العبَّاس ابن الأحنف:

---

(١) أسلحتنا العربية قديماً وحديثاً ، ص ٣٥ .

(٢) المعجم الوسيط ، جـ ١ / مادة سهم / ص ٤٧٧ .

(٣) اللسان ، المجلد الثالث ، مادة سهم ، ص ٢١٣٥ .

(٤) أسلحتنا العربية قديماً وحديثاً ، ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٥) المروج ٤/ ١١٥ .

فتى كان السِّهامَ على الأعادى وليثاً دون حادثـــــة منيعا[1]

اللأمة :

الدِّرع وجمعها لُؤَم مـثل فُعَل ، وهذا على غير قياس ، واللأمة : السـلاح كلها ، وقد استلأم الرجل إذا لبس ما عنده من عُدَّة : رمح وبَيْضة ومِغْفر وسيف ونبْل ، قال عنترة :

إن تُغْدِفى دونـى القناعَ فإننى طَبٌّ بأخْذ الفارس المستلئم[2]

ومن هنا يمكن القـول أنَّ اللأمة تحمل مـدلولين : أحدهمـا خاص وهو الدِّرع والآخـر عام وهو السلاح عامة . وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل المدلول العام : عُدَّة المحارب كلها ، وذلك فى قوله : «فقال : يامعشر المسلمين ، عموا الأصوات وأكملوا اللأمة واستشعروا الخشية»[3] .

ويقول فى موضع آخر : «فتكافحـا بسيفيهما مليًّا من نهارهما لا يصل واحـد منهما إلى صاحبه لكمال لأمته»[4] .

الشوانى :

جاء فى القاموس المحيط : «الشَّونة : المَركب المعدُّ للجهاد فى البحر[5] ، ولم أجد لها ذكراً فى اللسان إلا أنَّ المحقق أشار فى الهامش إلى ما جاء فى القـاموس . والشونة : سفينة حربية قديمة ، أو مراكب كبيرة كان المحاربون يقيمون فيها أبراجاً وقلاعاً للدفاع[6] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل المدلول السابق : «السفينة الحربية» ، وذلك فى قوله : «كما يقطع الروم فى الشوانى على المسلمين فى البحر الرومى من ساحل الشام ومصر»[7] .

البوارج :

البارجة : السفينة الكبـيرة ، وهى القراقير والخلايا[8] ، والبارجة : سفينة من سفن البحر تُتخذ للقتال[9] . وقد وردت هذه اللفظة فى كـتاب المسعـودى ترادف : سفينة كـبيرة حـربية ، وذلك فى قوله: «وهم فى هذا الوقت تأوى إليهم بوارج الهند الـذين يقطعون على المسلمين فى هذه البوارج - وهى المراكب - على من أراد الصين والهند وغيرها»[10] .

---

(١) المروج ٤/ ١١٤ . (٢) اللسان ٥/ ٣٩٧٧ .
(٣) المروج ٢/ ٣٨٩ . (٤) المروج ٣/ ٢٧ . (٥) القاموس المحيط ٤/ ٢٣٧ .
(٦) تاريخ التمدن الإسلامى ١/ ١٦١ ، ط ١٩٠٢ م . (٧) المروج ٢/ ٢٠ .
(٨) المعجم الكبير ٢/ ١٩٠ . (٩) اللسان ١/ ٢٤٤ . (١٠) المروج ٢/ ٢٠ .

اليَلَب : الدروع يمانية .

- قال ابن سيده : اليَلَب : التُّرسة ، وقيل الدَّرَق ، وقيل : هى البيض تُصنع من جلود الإبل ، وقيل : جلود يُخْرز بعضها إلى بعض ، تُلبس على الرؤوس خاصة وليست على الأجساد ، وقيل: هى جلود تُلبس مثل الدروع ، وقيل : جلود تُعمل منها الدروع ، وهو اسم جنس ، الواحد من كل ذلك : يَلَبة ، واليَلَب : الفولاذ من الحديد .
- وأمَّا ابن دريد فحمله على الغلط ، لأن اليَلَب عنده ليس الحديد .
- ابن شميل : اليَلَب عنده خالص الحديد ، قال عمرو بن كلثوم :

علينا البَيْض واليَلَب اليمانى وأسياف يقـــمن وينـحنينا

- ابن السكِّيت : ظنَّ بعض الأعراب أنَّ اليلب أجود الحديد فقال : ومحور أخلص من ماء اليَلَب، وهو خطأ ، إنما قاله على التوهم .
- الجوهرى : اليَلَب كل ما كان من جُنن الجلود ولم يكن من الحديد[1] .

مما سبق نستطيع أن نقول إن لفظة اليلب حملت المدلولات الآتية : التُّرسة والدَّرقة والبَيْضة تصنع من الجلود والدُّروع تصنع من الجلود أو من الحديد .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : البيضة تُصنع من الحديد ، وذلك فى قوله : «ثم يليهم مما يلى السرير والجبل مملكة يُقال لـها : زريكران ، وتفسير ذلك عمَّال الزَّرَد ، لأن أكثرهم يعمل الزرد واليَلَب واللُّجُم والسيوف وغير ذلك من أنواع الحديد»[2] .

المِشْقاص :

المِشْقص من النِصال : الطويل العريض ، وسهم ذو نصل عريض (ج) مشاقص[3] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : السهم ذو النصل العريض ، وذلك فى قوله : «وهو ظهور السلاحف البحرية التى تُتخذ منها الأمشاط أو من القرن يضمها كالمشقاص لا من الخشب»[4] .

---

(١) اللسان ٦/ ٤٩٦٥ ، المعجم الوسيط ٢/ ١١٠٩ .
(٢) المروج ١/ ١٩٢ .
(٣) المعجم الوسيط ١/ ٥٠٨ .
(٤) المروج ١/ ١٤٨ ، ١٤٩ .

الدَّرَقة :

الدَّرَق : ضرب من التُّرسة ، الواحدة : دَرَقة ، تُتَّخذ من الجلود ، وقيل الدَّرَقة الحَجَفَة ، وهى ترس من جلود ليس فيه خشب ولا عقب ، والجمع : دَرَق وأدراق ودِراق[1] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى بصيغتى المفرد والجمع تحمل المدلول السابق . : «التُّرس تُتخذ من الجلود» ، ومن ذلك قوله : «والزنج تتخذ من جلود الفيلة الدَّرَق وكذلك الهند ، ولا يلحق ذلك فى المنعة شىء من الدَّرَق الصينى والتبتى واللمطى والبجاوى»[2] .

اللِّواء :

العَلَم ، والجمع : ألوية وألويات ، والأخيرة جمع الجمع ، وفى الحديث : لواء الحمد بيدى يوم القيامة ، واللِّواء : الراية ولا يمسكها إلا صاحب الجيش . والألوية : المطارد ، وهى دون الأعلام والبنود ، وفى الحديث : لكل غادر لواء يوم القيامة ، أى علامة يُشهر بها فى الناس لأن موضوع اللواء شُهْرة مكان الرئيس[3] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلولاً واحداً وهو : « الراية يمسكها صاحب الجيش ، وذلك فى قوله : عندما استعمل عمر بن الخطاب النعمان بن مقرن غازياً لنهاوند : «وإنى داعٍ إلى الله بدعوة ، وأقسمت على كل امرىء منكم لما أمَّن عليها ، وقال : اللهم ارزق النعمان اليوم شهادة فى نصر وفتح عليهم ، فأمَّن القوم . فهزَّ لواءه ثلاثاً . . .»[4] .

ويقول المسعودى فى موضع آخر : «وفى عبد الرحمن بن الأشعث يقول الشاعر :

خلع الملوك وسار تحت لوائه شجر العرى وعراعر الأقوام»[5]

وأصل اللواء العقدة التى تحت نصل الرمح لكنها تطورت إلى معنى الراية ؛ لأنها كانت تُربط تحت نصل الرمح ، ويتقدم بها الفارس إحدى المجموعات العسكرية وبذلك تتميز مجموعة من أخرى.

الصفائح اليمانية :

الصفيحة أو الصفيح : السيف العريض ، وسيف مُصْفَح ومُصفَّح : عريض ، وكل عريض من حجارة أو لوح أو نحوهما يسمى صفيحة[6] .

---

(١) اللسان ٢/ ١٣٦٣ .
(٢) المروج ٢/ ١١ .
(٣) اللسان ٥/ ٤١٠٩ ، المعجم الوسيط ٢/ ٨٨٢ .
(٤) المروج ٢/ ٣٣٢ .
(٥) المروج ٣/ ١٣٨ .
(٦) اللسان ٢/ ١٢٧٣ ، المعجم الوسيط ١/ ٢٦٧ .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل المدلول السابق : «السيف العريض» ، وذلك فى قوله : «وعيناه تبصّان من تحت المغفر كأنهما شعلتا نار أو عينا أرقم ، وبيده صفيحة له يمانية يقلّبها ، والمنايا تلوح فى شفرتها»[1] .

الأعلام .

العَلَم : المنار ، والفصل يكون بين الأرضين ، والعلامة . والعلم : شىءٌ يُنصب فى الفلوات تهتدى به الضالة ، والعلم : الراية التى تجتمع إليها الجند ، وقيل : هو الذى يُعقد على الرمح[2] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : راية الحرب وجاءت فى صورة التضام لتحدد مكان الراية فى الجيش ، ومن ذلك قوله : «فجعلوا أعلام القلب على صورة الفيل والتنين وما عظم من أجناس الحيوان ، وجعلوا أعلام الميمنة والميسرة على صورة السِّباع»[3] .

«وكانت الأعلام المستعملة فى صدر الإسلام تحمل شعار : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ثم أخذت تحمل بعد ذلك أسماء الخلفاء وألقابهم ، وتميَّز العباسيون باتخاذ رايات سود ، والأمويون باتخاذ رايات بيض»[4] .

المطْرد :

رمح قصير تُطعن به حُمُر الوحش ، وقال ابن سيده : المِطْرد بالكسر رمح قصير يُطرد به ، وقيل: يطرد به الوحش ، والمِطْرد من الرمح ما بين الجُبَّة والعالية . ومما ورد فى كونه الرمح القصير قول الراعى :

ولولا الفرار كل يوم وقيعة لنالتك زُرْقٌ من مطاردنا الحمر[5]

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلولاً مخالفاً لما جاء فى المعاجم ، فمدلولها عند المسعودى هو «العلم» ، وذلك فى قوله : «وتفسير درفش بالفارسية الفهلوية - وهى الأولى - الراية والمِطْرد والعَلَم»[6] .

---

(١) المروج ١/ ٧٦ .

(٢) اللسان ٤/ ٣٠٨٤ ، ٣٠٨٥ .

(٣) المروج ١/ ٢١٨ .

(٤) تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، د. عبد المنعم ماجد ، ص ٧٠ .

(٥) اللسان ٤/ ٢٦٥٢ ، القاموس المحيط ١/ ٣٠٧ ، أساس البلاغة ٥/ ٥٨٠ .

(٦) المروج ٢/ ١٢٣ .

المشرفيُّ :

المشارف : قرى من أرض اليمن ، وقيل : من أرض العرب تدنو من الريف ، والسيوف المشرفيَّة منسوبة إليها ، يقال : سيف مشرفيّ ، ولا يُقال مشارفيّ ، لأن الجمع لا يُنسب إليه إذا كان على هذا الوزن[١] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : السيف، وذلك فى قوله : «فدعابه ، وردَّ عليه الراية ، وقال :

اطعنهم طعن أبيك تُحـــمد لا خير فى الحرب إذا لم تُوقد

بالمشرفىِّ والقـنا المُسرَّد[٢]

المغافر :

المِغْفَر : زرد يُنسج من الدروع على قدر الرأس يُلبس تحت القلنسوة أو حِلَق يتقنَّع بها المتسلِّح والجمع : مغافر[٣] . وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى بصيغتى المفرد والجمع ترادف : غطاء حديدى للرأس يتقنَّع به المتسلِّح ، وذلك فى قوله : «فلما وصل إلى جسر وجبل ، نفر به فرسه وعليه الحديد الثقيل من درع ومِغْفر فألقاه فى الماء»[٤] .

الخناجر :

الخِنْجر : السكين أو السكين العظيمة والجمع : الخناجر ، والمرء المقتول بما قتل به إن خِنجراً فخنجر وإن سيفاً فسيف[٥] . وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : السكين العظيمة، ومن ذلك قوله : «وظهرت فى أيامه الحكمة وتقدَّمت العلماء ، واستخرجوا الحديد من المعادن ، وخرجت فى أيامه السيوف والخناجر»[٦] .

المقلاع :

الذى يُرمى به الحَجَر والجمع : المقاليع[٧] . وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى مرة واحدة فى قوله : «فبرز داود ، فقتله بحجر كان فى مخلاته ، ورماه بمقلاع فخرَّ جالوت ميتاً»[٨] .

---

(١) اللسان ٤/ ٢٢٤٤ .
(٢) المروج ٢/ ٣٧٦ .
(٣) المعجم الوسيط ٢/ ٦٨١ .
(٤) المروج ٣/ ١٤٧ .
(٥) اللسان ٢/ ١٢٧٣ ، المعجم الوسيط ١/ ٢٦٧ .
(٦) المروج ١/ ٧٦ .
(٧) اللسان ٥/ ٣٧٢٥ ، المعجم الوسيط ٢/ ٧٨٥ .
(٨) المروج ١/ ٥٥ .

الطبول :

الطَّبْل : الذى يُضرب به ، وهو ذو الوجه الواحد والوجهين ، والجمع أطبال وطبول[1] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى مرتبطة بالمحاربين ، وذلك فى قوله عند مقتل مروان بن محمد : «وهجموا على عسكره وضربوا بالطبول ، وكبَّروا ونادوا : يالثارات إبراهيم»[2] .

يقول جورجى زيدان : وقد كان العرب فى جاهليتهم لا يعرفون من الآلات الموسيقية المستخدمة فى الحرب غير الطبل ، وكان المسلمون فى صدر الإسلام يتجافون عن اتخاذ الأبواق والطبول ، فلما انقلبت الخلافة ملكاً أذنوا لعمالهم فى اتخاذها[3] .

الأسنَّة - السِّنان :

سِنان الرمح : حديدته لصقالتها وملاستها ، والجمع : أسنَّة ، وسنَّنه : ركَّب فيه ، وأسننت الرُّمح : جعلت له سِناناً ، وسننت فلاناً بالرمح : إذا طعنته به[4] .

وقد وردت هذه اللفظة عند المسعودى وأُطلقت مجازاً على الرمح عامةً ، ومن ذلك قوله : «فوالله لقد كنتم قليلاً معى كثيراً علىَّ ، ولفللتم حدَّى يوم صفين حتى رأيت المنايا تلظَّى فى أسنتكم»[5] .

القنا :

القناة : الرُّمح ، والجمع : قنوات وقنًا وقُنىٌّ وأقناء ، وقيل : كل عصا مستوية أو مُعوجَّة فهى قناة ، وكل خشبة عند العرب قناة وعصا ، والرمح عصا[6] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : الرمح . ومن ذلك قوله : «... ثم يكون ماراً متصلاً بساحل الهند إلى بلاد بروض ، وإليها يُضاف القَنَا البروضى»[7] .

النَّبل :

السِّهام ، وقيل : السِّهام العربية ، وهى مؤنثة لا واحد لها من لفظها فلا يقال نَبْلة . وإنما يُقال سهم ونُشَّابة ، وليس صحيحاً ما قاله أبو حنيفة من أنَّ واحدتها نَبْلة . وحُكِى نَبْل ونُبْلان وأنبال ونِبال ، قال الشاعر : وكنتُ إذا رميتُ ذوى سوادٍ بأنبالٍ مَرَقْن من السواد

(١) اللسان ٤/ ٢٦٤٠ .
(٢) المروج ٣/ ٢٦١ .
(٣) تاريخ التمدن الإسلامى ، جـ ١/ ١٣٦ ، ط ١٩٠٢ م .
(٤) اللسان ٣/ ٢١٢٣ .
(٥) المروج ٢/ ٢٦ .
(٦) اللسان ٥/ ٢٧٦١ .
(٧) المروج ١/ ١١٠ .

وأنشد ابن برى على نبال قول أبى النجم :

واحبسن فى الجُعْبة من نِبالها[1]

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى بصيغتين : «نَبْل ونِبال» : وردت صيغة «نَبْل» تحمل مدلولاً حقيقياً هو السِّهام ، وذلك فى قوله: «والأغلب من ركوب عوامِّهم البراذين ، ورميهم بالنَّبل عن قسىٍّ عربية ، وعنهم أخذ الرمى أهل الحجاز واليمن وغيرهم من العرب»[2] . ومدلولاً آخر مجازياً هو القوم ، وذلك فى قوله : «فغضب علىٌّ بن أبى طالب وقال : ألى تقول هذا القول ؟ وبمروان تعدلنى ؟ فأنا والله أفضل منك وأبى أفضل من أبيك وأمى أفضل من أمك ، وهذه نبلى قد نثلتها وهلمَّ فانثل بنبلك»[3] . كما وردت صيغة نِبال تحمل مدلولاً حقيقياً فقط هو السِّهام ، ومن ذلك قوله: «ياأمير المؤمنين قد كلَّت سيوفنا ، ونفدت نبالنا ، ونصلت أسنة رماحنا ، فدعنا نستعد بأحسن عُدَّتنا»[4] .

القرطل :

نوع من السيوف ، وقد ذُكرت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى فى موضعين : الموضع الأول : «وكان راكبه فارساً ، وفى خرطومه القرطل وهو نوع من السيوف[5] . والموضع الثانى : «والهند كثيرة الاستعمال لما يجهز إليهم من العاج فى نُصُب الخناجر وهى الحرارى ، واحدها حَرِّى ، وفى قوائم سيوفها ، وهى القراطل واحدها قرطل ، وهى سيوف مُعوجَّة»[6] .

ولم أجد هذه الكلمة بهذا المدلول فى المعاجم التى وقعت تحت يدى[7] .

التجافيف :

التِّجفاف والتَّجفاف - بكسر التاء وفتحها - : ما جُلِّل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح فى الحرب ، وقد يلبسه الإنسان أيضاً كالدِّرع ، والتاء فيه زائدة ولذلك يقول ابن سيده : ذهبوا فيه إلى معنى الصلابة والجفوف ، ولولا ذلك لوجب القضاء على تائها بأنها أصل . وفى ذلك يقول ابن جنى: سألت أبا على عن تجفاف أتاؤه للإلحاق بباب قِرطاس ؟ فقال : نعم ، واحتجَّ فى ذلك بما انضاف إليها من زيادة الألف معها ، وجمعه التجافيف .

---

(١) اللسان ٦/ ٤٣٣٠ .
(٢) المروج ١/ ٣٥١ ، ٣٥٢ .
(٣) المروج ٢/ ٣٥١ .
(٤) المروج ٢/ ٤١٨ .
(٥) المروج ١/ ١٦٧ .
(٦) المروج ٢/ ٧ .
(٧) اللسان ، القاموس المحيط ، تاج العروس ، المعجم الوسيط .

وفى حديث الحديبية : «فجاء يقوده إلى رسول الله على فرس مُجفَّف ، أى عليه تجفاف»[1] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى بالمدلولين السابقين : كل ما يوضع على الفيلة من سلاح وآلة تقيها الجراح فى الحرب ، ومن ذلك قوله : «واشتدَّ القتال ، ونظر العرب إلى الفيلة عليها التجافيف ، فرأوا شيئاً لم يروا مثله قط»[2] .

والدرع التى يتَّقى بها المحارب ضربات العدو . وذلك فى قوله : «وأهدى إليه أنواعاً من العجائب التى تُحمل من أرض تُبَّت ، منها : مائة جوشن تبتية ، ومائة تجافيف ، ومائة ترس تبتية مُذهَّبة»[3] .

الزَّرد :

الزَّرْد والزَّرَد : حِلَق المِغْفَر . والزَّرَدة : حَلَقة الدِّرع ، والسَّرْد : ثقبها والجمع : زرود . والزَّرْد مثل السَّرْد وهو تداخل حِلَق الدِّرع بعضها فى بعض والزَّرَد بالتحريك الدِّرع المزرودة[4] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل المدلول السابق : «الدِّرْع المزرودة» ، ومن ذلك قوله : «وذلك أن الفيل إذا كان فارهاً ممارساً شجاعاً وكان راكبه فارساً ، وفى خرطومه القرطل - وهو نوع من السيوف - وخرطومه مُغشَّى بالزَّرَد والحديد وعليه تجافيف قد أحاطت سائر جسده . . .»[5] .

الرُّدَيْنية :

اسم امرأة ، والرِّماح الرُّدَيْنية منسوبة إليها ، وقال الجوهرى : القناة الرُّدَينية ، والرُّمح الرُّدينىُّ زعموا أنه منسوب إلى امرأة السَّمْهرى تُسمَّى رُدَينة ، وكانا يقوّمان القنا بخطِّ هَجَر»[6] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلولاً مجازياً وهو الرِّماح ، وذلك فى قوله : «فكيف ونحن ندعوهم إلى سيوف قاطعة ورُدَيْنية شاجرة ، وقوم ذوى بصائر نافذة»[7] .

العرَّادات :

العرَّادة : شبه المنجنيق صغيرة ، والجمع : العرَّادات[8] . وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : المجانيق الصغيرة . وذلك فى قوله : «فتواردت أحجار المجانيق والعرَّادات

(١) اللسان ١/ ٦٤٢ ، المعجم الوسيط ١/ ١٣٢ .
(٢) المروج ٢/ ٢١٦ .
(٣) المروج ١/ ٢٦٦ ، ٢٦٧ .
(٤) اللسان ٣/ ١٨٢٤ .
(٥) المروج ١/ ١٦٧ .
(٦) اللسان ٣/ ١٦٢٩ .
(٧) المروج ٢/ ٣٩٥ .
(٨) اللسان ٤/ ٢٨٧٢ .

على البيت ، ورُمى مع الأحجار بالنار والنِّفط ومشاقات الكتّان وغير ذلك من المُحرقات»[1] .

المجنُّ :

التُّرس والجمع : المجانُّ ، وفى حديث السرقة : القطع فى ثمن المِجنّ ، هو الترس لأنه يوارى حامله ؛ أى يستره والميم زائدة[2] . وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلولاً مجازياً وهو: الشخص المدافع الذى يتصدى للشدائد والأخطار بقوة وثبات ، وذلك فى قوله : «أخوكم مَسْلمة نابكم الذى تفترون عنه ، ومجنكم الذى تستجنّون به ، أصدورا عن رأيه»[3] .

الحَجَف :

ضرب من التِّرسة ، واحدتها حَجَفَة ، وقيل : هى من الجلود خاصة ، وقيل هى من جلود الإبل مُقوَّرة . يقول الأعشى : لسنا بعيرٍ وبيتِ الله مائرةٍ . . ولكن علينا دروعُ القومِ والحَجَفُ .

ويقال للتُّرْس إذا كان من جلود ليس فيها خشب ولا عَقَب : حَجَفَة ودَرَقَة والجمع : حَجَف[4] . وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل المدلول السابق ، ومن ذلك قوله : «ثم مرَّ علىٌّ بآخر عند راية ربيعة وهو يقول :

أيمنعنا القوم مـــــاء الفرات ... وفينا الرماح وفينا الحَجَف ؟[5]

الدِّرَفْش :

الدِّرفس : الحرير ، وقال شَمِر : الدِّرفس أيضاً العلم الكبير وأنشد قول ابن الرقيات :

تُكِنُّه خِرقة الدِّرفس من الشمس ... كَلَيْثٍ يُفرِّج الأَجَـــــما[6]

ويقول البحترى :

فإذا ما رأيـــت صـــورة أنطا ... كـــية ارتعت بـــين رومٍ وفُرْسِ

والمنايا مـواثـــلٌ وأنو شـــــر ... وان يزجى الصفوفَ تحت الدِّرَفْس

والدِّرفس : فارسية «درفش» معناها تلألؤ وعَلَم . وفى التركية : درفش ومعناها : عَلَمٌ ولواء ، وفى الإيطالية Drappo معناه : نسيج ، وفى الإفرنسية Drap معناها : نسيج[7] .

(١) المروج ٣/ ٨١ .
(٢) اللسان ١/ ٧٠٢ .
(٣) المروج ٣/ ١٧٠ .
(٤) اللسان ٢/ ٧٨٧ .
(٥) المروج ٢/ ٣٨٥ .
(٦) اللسان ٢/ ١٣٦٣ .
(٧) تفسير الألفاظ الدخيلة ، طوبيا العنيسى ، ص ٢٧ .

وقد وردت هـذه اللفظة فى كتـاب المسعـودى بهذا المدلول «العَلَم الكبـير» ، ومن ذلك قـوله : «واجتمـعت إلى حربه جماعة وافاه أفـريدون بهم ، وقد شالوا راية من الجلود تسميـها الفرس درفش كاوان ، فأخذ أفريدون الضحَّاك وقيَّده فى جبل دنباوند على ما ذكرنا[1] .

ويفسـر المسعودى لفظة الدرفش بقـوله : «وتفسيـر درفش بالفارسيـة الفهلوية - وهى الأولى - الراية والمطرد والعلم»[2] .

ثالثاً : الألفاظ المتعلقة بالعمليات الحربية :

الكمين :

جاء فى اللسـان : «كَمَن كُمُونا : اختـفى ، وكَمَن فلان إذا استـخفى فى مَكْمَن لا يُفطن له ، ومنه الكمين فى الحرب ، وقال ابن سيده : الكمين فى الحـرب الذين يكمنون ، وأمر فيه كمين : أى فيه دغل لا يُفطن له»[3] . إذن لفظة «الكمين» تحمل فى المعجم مدلولين هما :

- القوم الذين يكمنون فى مكان لا يُعرف للحيلة والحرب .
- الأمر الذى فيه لَبس وغموض .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتـاب المسعودى تحمل المدلول الأول ، وذلك فى قـوله : «واستظهر المهتدى عليه ، فخرج كمين بايكيال على المهتدى وفيه يارجوج التركى ، فولَّى المهتدى وأصحابه»[4] .

الأنقاب :

النَّقْب : الثقب فى أى شىء كان جِلْداً أو جداراً ، والنَّقْب والنُّقْب : الطريق الضيق فى الجبل ، والجمع : أنقاب ونِقاب ، وأنشد ثعلب لابن أبى عاصية :

تطاول ليلى بالعراق ولم يكن علىَّ بأنقاب الحجاز يطول[5]

وقد وردت هذه اللفظة فى كتـاب المسعودى تحمل مدلول : الأنفاق تحت الأرض تتـخذ للحماية عند الحرب ، وذلك فى قوله : «وقال : إنه ليس من مَلِك إلا وهم يتـخذون فى مدائنهم أنقاباً تكون لهم عُدَدا»[6] .

---

(١) المروج ٢/ ١٢٣ .
(٢) المروج ٢/ ١٢٣ .
(٣) اللسان ٥/ ٣٩٣٣ .
(٤) المروج ٤/ ١٨٥ .
(٥) اللسان ٦/ ٤٥١٣ ، ٤٥١٤ ، المعجم الوسيط ٢/ ٩٨١ .
(٦) المروج ٢/ ٩٦ .

السَّرْب :

الطريق ، وخَلِّ سَرْبه - بالفتح - أى طريقه ووجهه ، وفى حديث ابن عمر : إذا مات المؤمن يُخلَّى له سَرْبه ، يسرح حيث شاء ، أى طريقه ومذهبه الذى يمرُّ به[1] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل المدلول السابق : الطريق تحت الأرض ، وذلك فى قوله : «وقال : إنه ليس من مَلِك إلا وهم يتخذون فى مدائنهم أنقاباً تكون لهم عدداً ، فقالت له: أما إنى قد فعلتُ ذلك ، قد نقبت سَرَبا بنيتهُ من تحت سريرى هذا حتى أخرج من تحت الفرات»[2] .

السَّراديب :

السِّرداب : بناء تحت الأرض يُلجأ إليه من حرِّ الصيف والجمع : سراديب[3] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل المدلول السابق : البناء تحت الأرضُ يلجأ إليه من حرِّ الصيف أو عند المعركة ، وذلك فى قوله : «ولابن عيشون الحرَّانى القاضى قصيدة طويلة يذكر فيها مذاهب الحرافيين المعروفين بالصائبة ، ذكر فيها هذا البيت وما تحته من السراديب الأربعة المُتخذَة لأنواع صور الأصنام»[4] .

الحِصَار :

المَحْبِس كالحصير ، وفى التنزيل : «وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً» ، وقال القتيبى : هو من حصرته أى حبسته ، فهو محصور ، وهذا حصيره أى مَحْبِسه ، ويُقال : قوم محصورون إذا حوصروا فى حِصْن . والحِصار : الموضع الذى يُحصَر فيه الإنسان[5] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلولين هما :

- المَحْبِس . وذلك فى قوله : «وكان مُلْكه مائة وعشرين سنة ، وقد ذكر خبر مقتله مع الترك وما كان منهم فى حصاره ومن أخذ بثأره بعد قتله فى كتب قدماء الفرس»[6] .
- المُحاصَرة لقوم فى حصن أو مدينة أو شِعْب ، وذلك فى قوله :

---

(١) اللسان ٣/ ١٩٨١ .
(٢) المروج ٢/ ٩٦ .
(٣) المعجم الوسيط ١/ ٤٤٢ ، وقال صاحب اللسان : «هى السرداب» وليس بعده شىء ٣/ ١٩٨٨ .
(٤) المروج ٢/ ٢٤٨ .
(٥) اللسان ٢/ ٨٩٢ .
(٦) المروج ١/ ٢٢٨ .

«وكان سابور الجنود اشترط على الروم بناء هذا البيت وعمارته عند حصاره القسطنطينية ، وكان مسيره فى جيوش فارس وغيرها من الترك»[1] وكذلك قوله : : «وفى سنة ست وأربعين كان حصار قريش للنبى ﷺ وبنى هاشم وبنى عبد المطلب فى الشِعْب»[2] .

الموادعة :

توادع القوم : أعطى بعضهم بعضاً عهداً ، وكله من المُصالحة ، وقال الأزهرى : توادع الفريقان إذا أعطى كل منهم الآخرين عهداً ألاَّ يغزوهم ؛ تقول : وادعتُ العدوَّ إذا هادنته موادعة ، وهى الهُدْنة والموادعة[3] . وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلولين هما :

- الهُدْنة . وذلك فى قوله : «وطالت المراسلة بينهما ، فاتفقوا علي الموادعة إلى آخر المحرم من سنة سبع وثلاثين»[4] .
- الصلح . وذلك فى قوله : «فلما رأى كثير من أهل العراق ذلك قالوا : نجيب إلى كتاب الله وننيب إليه ، وأحبَّ القوم الموادعة ، وقيل لعلىٍّ : قد أعطاك معاوية الحق ، ودعاك إلى كتاب الله فاقبل منه»[5] .

الحَمْلة :

جاء فى اللسان : «وحمل عليه فى الحرب حَمْلة ، وحمل عليه حَمْلة مُنْكَرة ، وشدَّ شَدَّةً مُنْكَرةً، وحملتُ على بنى فلان إذا أرَّشت بينهم ، وحمل على نفسه فى السير أى جهدها فيه»[6] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول الهجمة أو الغارة ، وذلك فى قوله : «وعلم الصغار أنَّ الحيلة قد توجهت عليه ، وقد كان حمل على أصحاب السلطان فى ذلك اليوم بضع عشرة حملة»[7] .

التعبئة :

جاء فى اللسان : «عبأ الأمر عَبْأً وعبَّأه يُعبِّئه : هيَّأه ، وعبَّأتُ المتاع : جعلت بعضه على بعض وهيَّأته ، وكذلك الخيل والجيش ، وكان يونس لا يهمز تعبية الجيش ، ويُقال : عبَّأتُ الجيشَ عَبْأً وعبَّأتهم تعبئة وقد يُترك الهمز ، فيقال : عبَّيتهم تعبية ، أى رتَّبتهم فى مواقعهم ، وهيَّأتهم للحرب،

(١) المروج ٢/ ٢٥٥ .
(٢) المروج ٢/ ٢٩٤ .
(٣) اللسان ٦/ ٤٧٩٨ .
(٤) المروج ٢/ ٣٨٧ .
(٥) المروج ٢/ ٤٠٠ .
(٦) اللسان ، المجلد الثانى ، مادة حمل ، ص ١٠٠٥ .
(٧) المروج ، جـ ٤/ ٢٠١ .

وفى حديث عبد الرحمن بن عوف قال : عَبَأنا النبى ﷺ ببدر ليلاً»[1] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : ترتيب الجيش فى مواضعه وإعداده وتهيأته للحرب ، وذلك فى قوله : «وعبَّأ المعتضد بالله جيوشه بباب الشماسية أحسن ما يكون من التعبئة وأكمل هيئة»[2] .

الغزو :

غَزَا الشيء غَزْواً : أراده وطلبه ، والغَزْو : القصد ، وغَزْوى كذا ، أى قصدى ، ويقال ما تغزو، وما مغزاك ، أى ما مطلبك ، والغزو : السير إلى قتال العدو وانتهابه»[3] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول: السير إلى العدو وقتاله فى دياره ، وذلك فى قوله: «وفى سنة أربع وستين ومائتين كان خروج أحمد بن طولون من مصر مُظهِراً للغزو»[4].

(١) اللسان ، مجلد ٤ ، مادة عبأ ، ص ٢٧٧٣ .
(٢) المروج ، جـ ٤/ ٢٥٥ .
(٣) اللسان مجلده ، مادة غزا ، ص ٣٢٥٣ .
(٤) المروج ٤/ ٢١١ .

الفصل الرابع

الألفاظ المتعلّقة بالأعمال الإدارية والوظائف

أولاً : الألفاظ المتعلّقة بالأعمال الإدارية :

الجِزْية :

ما يُؤخذ من أهل الذِّمة ، والجمع الجِزَى مثل لحية ولِحَى ، وهى عبارة عن المال الذى يعقد الكتابىُّ عليه الذِّمة ، وهى على وزن فِعْلة من الجزاء ، كأنَّها جزتْ عن قتله ، ومنه الحديث : « ليس على مسلم جزية » ، أراد أنَّ الذِّمى إذا أسلم ، وقد مرَّ بعض الحول لم يُطالب من الجزية بحِصَّة ما مضى من السَّنة ، وكذلك حديث علىٍّ رضوان الله عليه : أنَّ دهقاناً أسلم على عهده ، فقال له : إن قمْتَ فى أرضِك رفعنا الجزيةَ عن رأسك وأخذناها من أرضك وإن تحوَّلْتَ عنها فنحن أحقُّ بها[1] .

وقد وردت هذه اللفظة عند المسعودى تحمل مدلول : ما يأخذه المسلمون من مال وغيره من أهل البلاد المفتوحة الذين ظلوا على دينهم فى مقابل حمايتهم والذود عنهم .

وقد اتسعت دلالة هذه اللفظة عنده أيضاً لتحمل مدلول :

كل ما يدفعه المسلمون وأهل الذمة من أموال وغيره للحكام ، ثم ضاقت دلالتها مرة أخرى لتعنى ما يأخذه المسلمون من مال وغيره من أهل الذمة فى مقابل حمايتهم . .

فالدلالة الأولى : «ما يشترك المسلمون وأهل الذمة فى دفعه للحكام»، يؤكد ذلك قول المسعودى : «فأمره أسفار بأن يجعل على كل رأس ديناراً ، فكتب أهل الأسواق والمحال من المسلمين وأهل الذمة حتى وصل فى الإحصاء إلى من فى الفنادق والخانات من الغرباء من التجار وغيرهم ، وحشر الناس إلى دار الخراج بالرى وسائر أعمالها ، فطولبوا بهذه الجزية»[2] .

---

(١) اللسان ، مجلدا / مادة جزى / ص ٦٢١ - ٦٢٢ .

(٢) المروج ، جـ ٤/ ٣٧٧ .

والدلالة الثانية : «ما يدفعه أهل الذِّمة للمسلمين مقابل حمايتهم» ، يؤكدها قول المسعودى : «فمن أدَّى كُتب له براءة بالأداء مختومة على حسب ما تُكتب براءة أهل الذمة عند أدائهم الجزية فى سائر الأمصار»[1] .

الخراج :

الخَرْج والخَرَاج ، واحد : وهو شيءٌ يخرجه القوم فى السنة من مالهم بقدر معلوم ، وهو غَلَّة العبد والأمَة ، وهو الإتاوة تؤخذ من أموال الناس ، ويُجمع الخراج على : أخراج وأخاريج وأخْرِجة ، وأما الخراج الذى وظَّفه عمر بن الخطاب ﷺ على السواد وأرض الفئ فإن معناه الغَلَّة أيضاً ، لأنه أمر بمساحة السواد ودفعها إلى الفلاَّحين الذين كانوا فيه على غلة يؤدونها كل سنة ، ولذلك سُمِّى خراجاً»[2] .

وقيل : الخراج هو الجزية التى ضُربت على رقاب أهل الذِّمة[3] .

فيُقال : أدَّى خراج أرضه ، وأدَّى أهلُ الذِّمة خراج رؤوسهم»[4] .

ويمكننا حصر مدلول لفظة الخراج - على ضوء المعاجم السابقة - فى :

- الغلة التى يدفعها العبد والأمة لسيدهما .
- الإتاوة يأخذها الحكَّام على أموال الناس ، وهى «الضريبة» فى مفهوم العصر الحديث .
- غلَّة يؤديها الفلاَّحون كلَّ عام للحكَّام لأنهم دفعوا لهم أرض الفئ يزرعونها .
- الجزية التى ضُربت على رقاب أهل الذِّمة .

ويبين الماوردى أوجه الاتفاق والاختلاف بين الجزية والخراج بقوله : «يتفقان فى أنهما حقَّان أوصل الله سبحانه وتعالى المسلمين إليهما من المشركين ، أمَّا الأوجه التى يفترقان فيها فأحدها : أن الجزية نصٌّ ، الخراج اجتهاد ، والثانى : أنَّ أقلَّ الجزية مقدَّر بالشرع وأكثرها بالاجتهاد ، والخراج أقله وأكثره مقدر بالاجتهاد ، والثالث : أنَّ الجزية تؤخذ مع بقاء الكفر وتسقط بحدوث الإسلام ، والخراج يؤخذ مع الكفر والإسلام ، فأمَّا الجزية فهى موضوعة على الرؤوس ، وأمَّا الخراج فهو ما وُضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدى عنها»[5] .

---

(١) المروج ، جـ ٤/ ٣٧٧ .
(٢) اللسان ، مجلد ٢ / مادة خرج / ص ١١٢٦ .
(٣) المعجم الوسيط جـ ١ / مادة خرج / ص ٢٣٢ .
(٤) أساس البلاغة ، جـ ٢ / مادة خرج / ص ٢٢٢ .
(٥) الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ص ١٤٢ .

وقد وردت لفظة «الخراج» فى كتاب المسعودى تحمل مدلولين هما :

- ما يدفعه الفلاَّحون من غلة للحكام كل عام ، وذلك فى قوله : «فقال له وزيره إنَّ فى استفتاح الخراج فى غير وقته مضرَّة على أرباب الضياع وخراب البلاد وجلاء لكثير من أهل الضياع قبل إدراك غلاَّتهم»[1] .
- إتاوة يدفعها الناس لكل من يُغير على بلادهم ويغلب عليها فى مقابل انصرافه عنها . وذلك فى قول المسعودى :

«وسار بجكم التركى فيمن معه من الأتراك ، وقد جمعوا أنفسهم إلى أن يخلصوا من الديلم ، وسار إلى بلاد الدينور فجبى منها الخراج وأخذ كثيراً من الأموال وسار إلى النهروان على أقل من يومين من مدينة السلام»[2] .

وقد جاءت لفظة الخراج فى صورة التضام مع لفظة : «دار» للدلالة على المكان الذى تجتمع فيه أموال الجزية والخراج ، وذلك فى قوله : «وحَشَر الناس إلى دار الخراج بالرى وسائر أعمالها ، فطولبوا بهذه الجزية»[3] .

وقد كانت مهمة دار الخراج فى الدولة الأموية إدارة شئون الدخل الخاصة بالمقاطعات التابعة للدولة، وكذلك مالية الدولة كلها ، «فهى بمثابة الإدارة المالية المركزية للدولة ، والذى تجتمع فيه إيصالات التسليم والصرف والسجلات الخاصة بها ، وفى العصر العباسى استمر كما كان فى أيام الأمويين ديوان المالية المركزية»[4] .

الضريبة :

واحدة الضرائب التى تُؤخذ فى الأرصاد والجزية ونحوها ، ومنه ضريبة العبد ، وهى غلَّته ، وما يؤديه العبد إلى سيده من الخراج المقرَّر عليه وما يُفرض على المِلْك والعمل والدَّخل للدولة وتختلف باختلاف القوانين والأموال[5] وهى فعيلة بمعنى مفعولة[6] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلولين هما :

---

(١) المروج ، جـ ٤/ ٣٧٦ .
(٢) المروج جـ ٤/ ٣٨٣ .
(٣) المروج ، جـ ٤/ ٣٧٧ .
(٤) التطور السياسى للمجتمع العربى ، د. سليمان الطماوى ، ص ١٠٦ - ١٠٧
(٥) المعجم الوسيط ، جـ ١ / مادة ضرب / ص ٥٥٧ .
(٦) اللسان ، مجلد ٤ / مادة ضرب / ص ٢٥٦٩

- الإتاوة التى يدفعها العبد الحرفىُّ لسيده فى اليوم أو فى الشهر أو فى السنة ، وذلك فى قوله : «قال : كنت عبداً خيَّاطاً لبعض آل الزبير ، وكان لمولاى علىَّ ضريبة أدفع إليه كل يوم درهمين، فإذا دفعتُ ضريبتى تصرَّفتُ فى حوائجى»[1] .
- الإتاوة يدفعها المَلِك الأقلُّ مرتبة إلى مَلِك آخر أعلى منه مرتبة وأكثر منه قوة بمملكته ، وذلك فى قوله : «ويُقال : إن هذا الملك آخر ملوك نينوى ، وقيل : إنه مَلَك بعده عشرون ، وكان يؤدى الضريبة إلى ملك أرمينية»[2] .

قُبَّة المظالم :

عرَّفها الماوردى بقوله : «نظر المظالم هو قود الظالمين إلى التناصف بالرهبة ، وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة»[3] ، وولاية المظالم كولاية القضاء ، وهى جزء مما يتولاه الخليفة أو يقيم فيه نائباً عنه ممن يكون فيه الكفاية والهمَّة ، ولا يُسمَّى قاضياً وإنما يُسمَّى ناظراً ، لأن عمله ليس قضائياً خالصاً ، بل هو قضائى وتنفيذى[4] . فقد يعالج الأمور الواضحة بالتنفيذ أو بالصلح أو بالعمل الخيرى ، يرد لصاحب الحق حقه ، فهو قضاء أحياناً وتنفيذ إدارى أحياناً ، ويشترى الماوردى فى الذى ينظر المظالم أن يكون : جليل القدر ، نافذ الأمر ، عظيم الهيبة ، ظاهر العفَّة ، قليل الطمع ، كثير الورع ؛ لأنه يحتاج فى نظره إلى سطوة الحُماة ، وثَبْت القُضاة ، فيحتاج إلى الجمع بين صفات الفريقين ، وأن يكون بجلال القدر نافذ الأمر فى الجهتين»[5] .

وربما يرجع السبب فى وجود هذا النوع من القضاء هو العمل على رفع المظالم الواقعة على الأفراد من ذوى النفوذ والسلطان فى الدولة من حكَّام وولاة ، مما يعجز معه القضاء العادى عن إيصال الحق إلى صاحبه لاقتصار وظيفته على القضاء وافتقارها إلى سلطة التنفيذ .

وهذا النظام عربى إسلامى وليس مأخوذاً عن الفرس الساسانيين - كما قال الدكتور عبد المنعم ماجد[6] - وقد وُجدت جذوره فى العصر الجاهلى حينما عقدت قريش حلفاً لرد المظالم أطلقوا عليه: حلف الفضول .

---

(١) المروج ، جـ ٣/ ٣٧١ . (٢) المروج جـ ١/ ٢١٤ . (٣) الأحكام السلطانية ، ص ٧٧ .

(٤) نظم الحكم والإدارة فى الدولة الإسلامية ، د. عمر شريف ، معهد الدراسات الإسلامية ، القاهرة ، ط ١٩٨٩م، ص ١٤٢ .

(٥) الأحكام السلطانية ، ص ٧٧ .

(٦) تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ٥٣ .

وقد نظر الرسول ﷺ المظالم بنفسه ، وفى عهد الخلفاء الراشدين لم يتندبوا أحداً لنظر المظالم لقوة الوازع الدينى فى ذلك الوقت ، ولم تظهر الحاجة إلى قضاء المظالم إلا فى عهد على بن أبى طالب «حين تأخرت إمامته ، واختلط الناس فيها ، وتجوَّروا إلى فصل صرامة فى السياسة وزيادة تيقظ فى الوصول إلى غوامض الأحكام ، فكان أول من سلك هذه الطريقة واستقلَّ بها ولما تجاهر الناس بالظلم والتغالب فى العصر الأموى ولم يكفهم زواجر العظة عن التمانع والتجاذب ، فكان أول من أفرد يوماً للظلامات عبد الملك بن مروان ، فكان إذا وقف منها على مُشْكِل أو احتاج فيها إلى حكم مُنفَّذ ردَّه إلى قاضيه أبى إدريس الأودى[1] .

وقد أورد المسعودى فى كتابه نصاً يوضح أن معاوية كان «يخرج من منزله فيقول : يا غلام أخرج الكرسى ، فيخرج إلى المسجد فيُوضع ، فيسند ظهره إلى المقصورة ويجلس على الكرسى ، ويقوم الأحراس ، فيتقدّم إليه الضعيف والأعرابى والصبى والمرأة ومن لا أحد له ، فيقول : أعزّوه، ويقول : عُدِى علىَّ ، فيقول : ابعثوا معه ، ويقول : صُنع بى ، فيقولُ : انظروا فى أمره ، حتى إذا لم يبق أحد دخل فجلس على السرير»[2] .

ومن هنا يمكن القول بأنَّ معاوية أول من نظر فى الظلامات ، وعبد الملك بن مروان أول من أفرد لها يوماً كاملاً فى الأسبوع ، ويعدُّ الخليفة عمر بن عبد العزيز أول من ندب نفسه للنظر فى المظالم ، وأنفذ أوامرها أيضاً بنفسه ، «ثم جلس لها من خلفاء بنى العباس جماعة فكان أول من جلس لها المهدى ثم الهادى ، ثم الرشيد ثم المأمون ، فآخر من جلس لها المهتدى حتى عادت الأملاك إلى مستحقيها»[3] ، وعن الخليفة المهتدى يقول المسعودى : «وبنى المهتدى قبة لها أربعة أبواب سمَّاها قبَّة المظالم، وجلس فيها للعام والخاص للمظالم ، وأمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر وحرَّم الشراب ، ونهى عن القيان ، وأظهر العدل»[4] ، وولاية المظالم حتى الخليفة والوزراء والولاة ، وإذا جلس أحدهم للنظر فى المظالم لا يستغنى عن : «الشرطة للحماية ودعم الرهبة والقوة ، والقُضاة والحكَّام للاستعلام، والفقهاء لاستفتائهم فيما يكون غامضاً أو مُشْكلاً ، والكُتَّاب لإثبات ما يجرى فى مجلس الناظر ، والشهود ليشهدوا على ما أوجبه من حقوق وما أمضاه من أحكام»[5] .

الديوان :

عرَّف الماوردى الديوان بقوله : «الديوان موضوع لحفظ ما يتعلَّق بحقوق السلطنة من الأعمال

(١) الأحكام السلطانية ص ٧٨ .
(٢) المروج ، جـ ٣/ ٣٩ .
(٣) الأحكام السلطانية ، ص ٧٨ .
(٤) المروج ، جـ ٤/ ١٨٣ .
(٥) نظم الحكم والإدارة ، د. شريف ص ١٤٦ «بتصرف يسير» .

والأموال ، ومن يقوم لها من الجيوش والعمَّال»[1] . وكان يقوم عليه كتَّاب يقومون بتدوين هذه الأمور، «والقيام على أعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة فى الدخل والخرج وإحصاء العساكر بأسمائهم وتقدير أرزاقهم وصرف أعطيتهم فى إبَّاناتها»[2] . «وأول من وضع الديوان فى الإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه»[3] ، وذلك عندما بعث عمر بعثاً وعنده الهرمزان ، فقال لعمر : هذا بعث قد أعطيْتُ أهله الأموال ، فإن تخلَّف منهم رجل من أين يعلم صاحبك به ؟ فأثْبِتْ لهم ديواناً . فسأله عن الديوان حتى فسَّره[4] . «فاستشار عمر المسلمين فى تدوين الدواوين ، ودعا جماعة من الصحابة وأمرهم بكتابة الناس على منازلهم ، فوضعوها على الخلافة ورفعوا ذلك إليه ، فلما نظر فيه قال : لا ، ولكن ابدأوا بقرابة رسول الله الأقرب فالأقرب»[5] .

وظل الديوان يُكتب بلغة الأعاجم ، وفى عهد عبد الملك بن مروان كان قد انتقل القوم من غضاضة البداوة إلى رونق الحضارة ، ومن سذاجة الأمية إلى حذق الكتابة وظهر فى العرب مواليهم مَهَرة فى الكتاب والحسبان ، فأمر عبد الملك بنقل الدواوين إلى العربية[6] .

وفى العصرين الأموى والعباسى ازداد عدد الدواوين وازدادت أهميتها وعدد عمَّالها لتتناسب مع اتساع رقعة الدولة وازدياد نشاطها ، وأصبحت هذه الدواوين مصالح حكومية بالمعنى المفهوم وتنوعت اختصاصاتها ، ووُجد منها الدواوين المركزية فى دار الخلافة ، يقابلها دواوين محلية فى الولايات .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : «كتاب أو سجل فيه تدوين أعمال وأحوال السلطنة» ، وذلك فى قوله : «ثم يبعث أناساً قد رتَّبوا لذلك ، فيبيعون جميع ذلك ويجعلونه عيناً أو ورقاً ويُدفع إليه ، ويثبت فى الديوان»[7] .

ديوان الرسائل :

هو ذلك الجهاز الذى يُعدُّ بمثابة وزارة الخارجية فى عصرنا الحديث ، فعنه تصدر جميع المكاتبات الرسمية الخاصة بالدولة ، وإليه تَرِدُ هذه المكاتبات ، وفيه تُحفظ ، يقول عنه القلقشندى : «ومرتبته

(١) الأحكام السلطانية ، ص ١٩٩ .
(٢) المقدمة ، ت وافى ، لجنة البيان العربى ، ٢/٦١٣ .
(٣) الأحكام السلطانية ، ص ١٩٩ .
(٤) أصالة الدواوين والنُّقود العربية ، عبد المتعال الجبرى ، مكتبة وهبة ، ط الأولى ١٩٨٩ ، ص ١٢-١٣ .
(٥) أصالة الدواوين والنقود العربية ، ص ١٣ .
(٦) المقدمة ، ت وافى ، لجنة البيان العربى ، ٢/٦١٤ ، ٦١٥ .
(٧) المروج ، جـ ٤/٢٠٣ .

فى زماننا أرفع مرتبة ، ومحله أعظم محل ، إليه تُلقَى أسرار المملكة وخفاياها ، وبرأيه يُستضاء فى مشكلاتها ، وعلى تدبيره يعول فى مهماتها ، ومن ديوانه تُكتب الولايات السلطانية كافة»[1] .

ويُعدُّ ديوان الرسائل أول ديوان أنشئ فى الإسلام ، وقد كان يقوم فى عهد النبى ﷺ بمهام الكتابة للدولة موظف أو موظفون يُطلق عليهم لقب الكاتب ، كزيد بن ثابت ، وأُبىٌّ بن كعب ، ولمَّا دوَّن عمر الدواوين استخدم محمد بن شاهين الزُّهرى كاتباً للجيش ، وظل الكاتب من أهم الموظفين المدنيين فى العصر الأموى ، حيث كان بمثابة الوزير فى معاونة الخليفة أو الوالى ، ومن الثابت أن غير المسلمين كان يشارك المسلمين فى القيام بهذه المهمة ، لاسيما قبل نقل الدواوين إلى العربية ، «وفى العصر العباسى زادت المكاتبات الإدارية زيادة دعت إلى تنظيمها وإسناد مهمتها إلى ديوان خاص ينفرد به رئيس خاص كان أقل من الوزير فى المرتبة ويرجع إليه فى أموره»[2] .

واختص هذا الديوان - فى العصر العباسى - بكتابة الأوامر الصادرة من الخليفة والبراءات والرسائل والمراسلات السياسية بصفة عامة بعد أن يعتمدها الخليفة أو وزيره ، ويختمها بخاتمه ، ونيط به أيضاً مراجعة الرسائل الرسمية وتحضير الدعاوى العامة التى يستمع فيها الخليفة إلى شكاوى الناس والتماساتهم ثم يدوِّن الحكم الذى يصدره الخليفة ويحتفظ بأصله[3] .

«وكان موظفو الديوان من الأهمية بحيث وصفهم ابن الصيرفى بأنهم رؤساء الدولة ، وكثيراً ما كانت وظيفة الكتابة تؤهل للوزارة»[4] .

ومما يؤكد انفصال ديوان الرسائل عن مهام الوزارة ، وأن رئيس الديوان كان أقل مرتبة من الوزير قول المسعودى : «وقد كان المستعين نفى أحمد بن الخصيب إلى إقريطش سنة ثمان وأربعين ومائتين ، ونفى عبيد الله بن يحيى بن خاقان إلى برقة واستوزر عيسى بن فرخانشاه ، وقلَّد سعيد بن حميد ديوان الرسائل»[5] .

ديوان الضِّياع :

جاء فى اللسان : «ضَيْعة الرجل : حرفته وصناعته ومعاشه وكسبه ، والضَّيْعة والضِّياع عند

(١) صبح الأعشى ، جـ ١/١٠٢ .

(٢) الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، د. حسن الباشا ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ١٩٥٧ م ، ص ١٠-١١.

(٣) التطور السياسى للمجتمع العربى ، د. الطماوى ، ص ١٠٧-١٠٨ .

(٤) الألقاب الإسلامية ، د. حسن الباشا ، ص ١٧-١٨ .

(٥) المروج ، جـ ٤/١٤٥ .

الحاضرة : مال الرجل من النخل والكَرْم والأرض ، والضَّيعة العقار ، والأرض المُغلَّة ، والجمع : ضِيَع وضِيَاع»[1] . وديوان الضياع هو ذلك الديوان الذى يشرف على الأراضى المُغلَّة التى هى ملك للدولة ويكون دخلها لآل البيت واليتامى والفقراء وأبناء السبيل ومصالح الأمة .

وقد وردت هاتان اللفظتان : «ديوان الضياع» فى كتاب المسعودى بصورة التضام للدلالة على ذلك الديوان الذى يشرف على الأراضى المُغلَّة الخاصة بالدولة ، وذلك فى قوله : «ووهبتُ له ألف درهم وحملتُه على دابة، وضرب الدهر مَنْ ضربه إلى أن ولى ديوان الضياع مكان موسى بن عبد الملك»[2] .

«فإذا اقتطع السلطان رجلاً أرضاً من هذه الضياع فتصير له رقبتها ، وتسمى تلك الأرض قطائع واحدتها قطيعة ، فإذا دفع الضيعة إلى رجل ليعمِّرها ويؤدى عُشْرها وتكون له مدة حياته تسمى «الطُّعمة» ، فإذا مات ارتجعت من ورثته ، أمَّا القطيعة تكون لعقبه من بعده»[3] .

ديوان الخاتَم :

من الخُطط السلطانية والوظائف الملوكية[4] ، أنشأه معاوية بن أبى سفيان وهو عبارة عن مجموعة من الكُتَّاب القائمين على إنفاذ كُتُب السلطان والختم عليها إمَّا بعلامة أو بالحَزْم ، وقبل إنشاء هذا الديوان كانت الأوامر تُرسل غيرَ مختومةٍ وتُسلَّم لأصحابها فحدث فيها تزوير ، فاضطُر الخليفة معاوية إلى إنشائه[5] .

والختْم على الرسائل والصكوك معروف للملوك قبل الإسلام وبعده ، وقد ثبت فى الصحيحين أنَّ النبى ﷺ أراد أن يكتب إلى قيصر ، فقيل له : إنَّ العجم لا يقبلون كتاباً إلا أن يكون مختوماً فاتخذ خاتماً من فضة ونقش فيه : «محمد رسول الله» ، وقد تختَّم به بعد الرسول كلٌّ من أبى بكر وعمر وعثمان ثم سقط من يد عثمان فى بئر أريس[6] . وفى كيفية نقش الخاتم والختم به وجوه :

- أن يُغمس الخاتمُ فى المداد ثم يوضع على صفح القرطاس فتنتقش الكلمات فيه ، ويكون هذا من معنى النهاية والتمام بمعنى صحة ذلك المكتوب ونفوذه .

(١) اللسان ، مجلد ٤ / مادة ضيع / ص ٢٦٢٤ .
(٢) المروج ، جـ ٤/ ١٠٦ . (٣) مفاتيح العلوم ، الخوارزمى ، ص ٣٩ .
(٤) المقدمة ، ابن خلدون ، ت وافى ، لجنة البيان العربى ، ٢/ ٦٤٢ .
(٥) التطور السياسى للمجتمع العربى د. سليمان الطماوى ، دار الفكر العربى ، ط ١٩٦٦ م ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .
(٦) المقدمة ، ت وافى ، لجنة البيان العربى ، ٢/ ٦٤٢ .

- أن يكون هذا الختم بالخط فى آخر الكتاب أو فى أوله بكلمات منتظمة من تحميد أو تسبيح أو باسم السلطان أو الأمير أو صاحب الكتاب ، ويكون ذلك الخط علامة على صحة الكتاب ونفوذه.
- أن يُختَم به فى جسم ليِّن كالشمع فتنتقش فيه حروفه ويُجعل على موضع الحزْم من الكتاب إذا حُزم على المودعات وهو من السِّداد»[1] .

وقد ورد هذا التركيب فى كتاب المسعودى يحمل المدلول السابق ، وذلك فى قوله عن كسرى أنو شروان: «وكان له خواتم أربعة : خاتم للخراج فصُّه من العقيق ونقشه العدل ، وخاتم للضياع فصُّه فيروز نقشه العمارة ، وخاتم للمعونة فصُّه ياقوت كُحْلى نقشه التأنِّى ، وخاتم للبريد فصُّه ياقوت أحمر يتَّقد كالنار نقشُه الرجاء»[2] .

الإتاوة :

كلُّ ما فُرِض عُنْوةً من مال ، يُقال : ضُربتْ عليهم الإتاوة ، قال الفرزدق :

أظننتم أنْ قَدْ عَتَقْتم بعد ما كنتم عبيدَ إتاوةٍ فى تغلبِ

والإتاوة : الخراج ، يُقال أدَّى فلان إتاوةَ أرضه ، قال أبو فراس :

أماطَ عَنِ الأعرابِ ذُلَّ إتاوةٍ تَساوَى البوادِى عندَها والحواضرُ

والإتاوة : الرِّشوة ، يُقال : شكم فاه بالإتاوة ، والجمع : أتاوى ، وأتًى والأخيرة نادرة ، ومنها قول الطِّرمَّاح :

وأهلُ الأتَى اللاتِى على عهدِ تُبَّعٍ على كلِّ ذى مالٍ غريبٍ وعاهِنِ[3]

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلولاً واحداً هو : خراج الأرض تؤديه الرعية لحكَّامها ، وذلك فى قوله : «... إلى الحُرَّاث الذين هم عَمَرة البلاد ، سلام عليكم نحن بحمد الله صالحون ، وقد رفعنا إتاوتنا عن رعيتنا بفضل رأفتنا ورحمتنا»[4] .

ديوان البريد :

جاء فى اللسان : «البريد : فرسخان ، وقيل : ما بين كل منزلين بريد ، والبريد : الرُّسُل على

(١) المرجع السابق ، ٢/٦٤٢ - ٦٤٥ «بتلخيص» .
(٢) المروج ١/٢٦٧ .
(٣) المعجم الكبير ١/٧٨ .
(٤) المروج ١/٢٤٨ .

دوابٌ البريد والجمع بُرُد ، وفى الحديث أنَّه ﷺ ، قال إذا أبردتم إلىَّ بريدا فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم ، فالبريد الرسول ، وإبراده : إرساله»[1]

وجاء فى المعجم الوسيط : «والبريد أصله الدابَّة التى تحمل الرسائل والرسول ، والمسافة بين كل منزلين من منازل الطريق ، والرسائل»[2]

والبريد فى الاصطلاح عبارة عن استخدام الخيل المُضْمَرات فى نقل الرسائل أو غيره ، حيث تقام لها منازل على الطريق عبارة عن قُبَّة أو بيت يستبدل فيها صاحب البريد فرساً آخر بفرسه إذا تعب حتى يصل إلى المكان الذى يريده فى أسرع وقت .

«وكان معاوية بن أبى سفيان أول حاكم مسلم أنشأ نظاماً للبريد ، وكان مخصصاً فى الأصل لخدمة أغراض الدولة عن طريق نقل الرسائل والسلع وبعض المواد ثم أُبيح للرعية فيما بعد لكى ينتفعوا به»[3] .

وقد بلغ هذا الديوان أوجه أيام العباسيين ، وكان المشرف عليه أحد كبار مُوظَّفى الدولة ، وكان يضطلع بجوار البريد بمهمة الجاسوسية ، ولهذا سُمِّى المشرف عليه «صاحب البريد» و «صاحب الأخبار» كما كان من حقِّه كتابة التقارير ضد الولاة إذا ما أخطأوا . ومما لاشك فيه أنَّ نظام البريد لم يكن معروفاً لدى العرب وإنما اقتبسوه من الفرس والروم ، ويدل على ذلك أنَّ معاوية حينما أراد إنشاء البريد أمر بإحضار رجال من دهاقين الفرس وأهل أعمال الروم وعرَّفهم ما يريد ، فوضعوا له البريد»[4] .

وكان رئيس الديوان يُسمَّى بما يتضمَّن إضافته إلى صحابة الديوان أو ولايته بحسب ما يُعرف به الديوان فى العصور المختلفة ، ففى أوائل العصر العباسى كان يُطلق على المسئول عن ديوان البريد لفظة : «صاحب» ، ويؤكد ذلك قول المسعودى : «ودخل ميمون بن إبراهيم صاحب ديوان البريد ، فقال له : ما تقول فى ميمون ؟ قال : يد تسرق ، وإستٌ تضرِطُ ، وهو بمنزلة يهودى قد سرق نصف خزينة»[5] .

وقد وردت لفظة «البريديون» عند المسعودى تحمل دلالة خاصة لا علاقة لها بالبريد ، وإنما تعنى ثلاثة أخوة هم : أحمد بن محمد ، وأبو الحسين ، وأبو يوسف ، قادوا جنوداً من المشاغبة لمحاربة الخليفة المتقى لله فأرسل إليهم توزون التركى على رأس جيش فعلبهم وقهرهم ، وفى ذلك يقول

(١) اللسان ، مجلدا / مادة برد / ص ٢٥٠ (٢) المعجم الوسيط ، جـ ١/ ص ٤٩ .
(٣) التطور السياسى للمجتمع العربى ، د. الطماوى ، ص ٨ ١
(٤) صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، جـ١٤/ ٣٦٨ . (٥) المروج ، جـ ٤ ٢٣٦-٢٣٧

المسعودى : «واشتد أمر البريديين بالبصرة ، ومنعوا السفن أن تصعد ، وعظُم جيشهم ، وكثرت رجالهم»[1] .

ووردت لفظة البريد أيضاً فى كتاب المسعودى تحمل مدلول الدواب التى تحمل الرسائل ، وذلك فى قوله : «بلغنى يا أمير المؤمنين أنه وقع عند رجل من أهل البصرة سيف من الهند ليس له نظير ولم ير مثله ، فأمر المتوكّل بكتاب إلى عامل البصرة يطلبه بشرائه بما بلغ ، فنفذت الكتب على البريد ، وورد جواب عامل البصرة بأن السيف اشتراه رجل من أهل اليمن»[2] .

بيوت الأموال :

هو اصطلاح يُطلق على الأماكن التى تُدَّخر فيها أموال الدولة لكى تُصرَف منها على مختلف شئون الدولة من عطاءات ومرتّبات وخدمات ، وما تنفقه الدولة على العمران والبناء ، والرجل الذى يقوم على تعهُّدها ورعايتها يُسمَّى «صاحب بيت المال» .

«وقد عرف المسلمون منذ عهد الرسول ﷺ نظام خازن بيت المال ، غير أنه فى عهد الرسول وعهد أبى بكر لم يكن هناك فائض من المال ، وتبعاً لذلك لم تكن هناك خزانة أو حجرة خاصة بالمال ولا سجلات للوارد والمنصرف»[3] .

ولما كثر المال اتسعت البلاد ، وكثر الناس رسم عمر بن الخطاب للدولة الإسلامية ميزانية ثابتة ، وأنشأ بيوتاً للأموال ، وبهذا يكون عمر بن الخطاب أول من أقام بيت المال فى الإسلام .

وفى العصر الأموى ازدادت الدولة الإسلامية اتساعاً وكثرت الأموال ، فجعلوا على بيوت الأموال مُوكَّلين وخُزَّان ، وكذلك الأمر فى العصر العباسى .

وقد أطلق العباسيون على خُزَّان بيت المال والموكَّلين به لقب «السبابجة» ، كما ذكر ذلك المسعودى بقوله : «وأرادوا بيت المال فمانعم الخُزَّان والموكلّون به وهم السبابجة»[4] .

وقد وردت هاتان اللفظتان «بيوت الأموال» فى كتاب المسعودى فى مواضع منها : «وقد كان إسماعيل أسرع فى بيوت الأموال ، وأسرف فى النفقات والجوائز والخُلَع والعطايا»[5] .

---

(١) المروج ، جـ ٤/ ٣٤٠ .
(٢) المروج ، جـ ٤/ ١١٩ .
(٣) أصالة الدواوين والنقود العربية ، عبد المتعال الجبرى ، ص ٢٣ .
(٤) المروج ٢/ ٣٦٧ .
(٥) المروج ٤/ ٢٢٨ .

ثانياً : الألفاظ المتعلِّقة بوظائف القصر وتثبيت الحكم :

الوَصِيف :

العبد . والأَمَة : وصيفة ، ويُقالُ : وَصُفَ الغلامُ إذا بلغ الخدمة فهو وصيف بيِّن الوَصافة ، والجمع : الوُصَفاء ، وقال ثعلب : وربما قالوا للجارية وصيفة بيِّنة الوَصافة والإيصاف والجمع : الوصائف[1].

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : خادم المَلِك ، ومن ذلك : «ثم أمر وصيفاً له من بعض خدمه ظريفا أديباً ، فقال له : انظر كل كلمة تخرج من أفواههم فأتنى بها»[2] .

الخازِن :

من كان عملُه الخِزَانة ، والخِزَانة : إحراز الشىء وجعله فى خِزَانة[3] والخازن : جمعها خَزَنَة .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : المتولِّى حفظ المال أو الكسرة أو السلاح أو الحُلِىّ للملك . وقد وردت بعدة صيغ : المفرد «الخازن» ، والجمع «الخُزَّان» ، والنسب «الخَزَّانِىّ» ، ومما ورد بصيغة المفرد قوله : «وذكر عبد الله بن عتبة أنَّ عثمان يوم قُتِل كان له عند خازنه من المال خمسون ومائة ألف دينار ، وألف ألف درهم»[4] . ومما ورد بصيغة الجمع قوله : «وأرادوا بيت المال فمانعهم الخُزَّان والموكَّلون به وهم السبابحة ، فُقتل منهم سبعون رجلاً غير مَنْ جُرح»[5] . وقد وردت مرة واحدة بصيغة النسب وذلك فى قوله : «فقال موسى : والشيخ الجليل والملك النبيل، لا جلست إلا معى فى صدر المجلس ، ثم قال : ياخزَّانىُّ ! احمل إلى أخى الساعة ألف ألف دينار ، فإذا فُتح الخراج فاحمل إليه نصفه»[6] .

القهارمة :

القَهْرَمان : هو المسيطر الحفيظ على مَنْ تحت يديه ، كتَرجمان وتُرجمان ، وقال ابن برى : القهرمان من أمناء المَلِك وخاصّته . وفى الحديث : كتب إلى قهرمانه ، وهو كالخازن والوكيل الحافظ لما تحت يده ، والقائم بأمور الرَّجُل بلغة الفرس ، وقال سيبويه : هو فارسى مُعَرَّب[7] .

(١) اللسان : وصف ٦/ ٤٨٥٠ .
(٢) المروج ٢/ ١١٥ .
(٣) اللسان : خزن ٢/ ١١٥٤ .
(٤) المروج ٢/ ٣٤١ ، ٣٤٢ .
(٥) المروج ٢/ ٣٦٧ .
(٦) المروج ٣/ ٣٤٤ .
(٧) اللسان : قهرم : ٥/ ٣٧٦٤ .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلولين :

- أمناء الملك وخاصته : وذلك فى قوله : «فإذا وضح النهار رأيت فيها قهارمة الملك وغلمانه ووزرائه ووكلائه ، ما بين راكب وراجل ، قد دخلوا إلى الشق الذى فيه العامة والتجار»[1] .
- صاحب مائدة الملك : وذلك فى قوله : «فلما نزلوا بيت الضيافة أتاهم القهرمان بقرص من شَهَدٍ فأكلوه وقالوا : ما رأينا شهداً أعذب ولا أحسن ولا أشد حلاوة منه»[2] .

البوَّاب :

الحاجب، ورجلٌ بوَّابٌ : لازمٌ للباب ، وحرفته البِوابة ، وبَابَ للسلطان يبوبُ : صار له بوَّابا[3] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : من يلزم باب السلطان يحجب عنه الناس إلا بإذنه ، وهى ترادف فى مدلولها الحاجب ، وإن كانت لفظة الحاجب أرقى منها فى الدلالة.

ومن ذلك قول المسعودى : «انظرى إلى مالك ، وتقدَّمى إلى بوابك فلا يتعرَّض لشىءٍ من أموالنا»[4] .

أصحاب المسالح :

المَسْلحة : قومٌ ذو سلاح بموضع رَصَدٍ قد وكِّلوا به بإزاء ثغر ، واحدهم مسلحى ، والجمع : المسالح ، وقال ابن شميل : مسلحة الجند خطاطيف لهم بين أيديهم ينفضون لهم الطريق ويتجسسون خبر العدو ويعلمون علمهم لئلا يهجم عليهم ، ولا يدَعون واحداً من العدو يدخل بلاد المسلمين ، وإن جاء جيش أنذروا المسلمين»[5] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل الدلالة السابقة : القوم الذين يكلِّفهم الخليفة بمراقبة الثغور ، وذلك فى قوله : «فقال المعتصم لبعض خاصته : أعط هذا الشيخ أربعة آلاف درهم، وكن معه حتى تجاوز به أصحاب المسالح وتبلغ به الجسر»[6] .

(١) المروج ١/١٤٦ .
(٢) المروج ٢/١١٥ .
(٣) اللسان : بوب ١/٣٨٣ .
(٤) المروج ٢/٩٦ .
(٥) اللسان : سلح ٣/٢٠٦١ .
(٦) المروج ٤/٥١ .

المُلْهون :

اللَّهْو : مالهوتَ به ولعبتَ به وشغلكَ من هوى وطرب ونحوهما[1] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلولين :

- المغنون للمَلِك ، وذلك فى قوله : «وغيَّر المراتب على حسب إعجابه بالمطرب له منهم ، وأفسد ما رتَّبه أرد شير بن بابك فى طبقات الملهين[2] .
- جماعة من الناس تجلس إلى جوار الملك تطربه وتُسرِّى عنه بمزاح أو غيره .

وذلك فى قوله : «وكان الوليد بن يزيد صاحب شراب ولهو وطرب وسماع للغناء ، وهو أول من حمل المغنين من البُلْدان إليه ، وجالس المُلْهين ، وأظهر الشراب والملاهى»[3] .

المُطربون :

الطَّرَب : الفرَح والحُزن ، وقيل : خِفَّة تعترى عند شدة الفرح أو الحزن والهمِّ ، وقيل : حلول الفرح وذهاب الحزن ، واستطرب : طلب الطرب واللهو ، وطرَّب فلان فى غنائه تطريباً إذا رجَّع صوته وزيَّنه يقول امرؤ القيس : كما طرَّب الطائرُ المستحِرُ[4]

والمُطْرِب : اسم فاعل من الفعل أطرب ، وغلب فى المغنِّى الحسن الصوت والأداء[5] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : المغنِّى الحسن الصوت يتخذه الخليفة لنفسه ، وذلك فى قوله : «وكان يَطْرَب من وراء السِّتر على حسب ما ذكرنا ويصيح بالمطرِب له من المغنِّين : أحسنت والله ، أعد هذا الصوت ، وكان لا ينصرف عنه أحد من ندمائه ولا من مُطرِبيه إلا بصلةٍ من مال أو كسوة»[6] .

الحاجِب :

اسم فاعل من الحجْب وهو المنع من الدخول ، وهو فى أصله اسم وظيفة ، يُطلق على من يقف بباب الخليفة يبلِّغه أخبار الرعية ويأخذ لهم الإذن منه[7] وقال صاحب اللسان : «الحاجب : البوَّاب صفة غالبة وجمعه حَجَبَة وحُجَّاب ، وخطته الحِجابة ، وحَجَبه : منعه من الدخول[8] .

---

(١) اللسان : لهو ٥/٤٠٨٩ .
(٢) المروج ١/٢٤٦ .
(٣) المروج ٣/٢٢٥ .
(٤) اللسان : طرب ٤/٢٦٤٩ .
(٥) المعجم الوسيط ٢/٥٧٣ .
(٦) المروج ٣/٢٧٩ .
(٧) الألقاب الإسلامية ، حسن الباشا ، ص ٢٥١ .
(٨) اللسان ، المجلد الثانى ، مادة حجب ، ص ٧٧٧ .

ويعرِّف ابن خلدون الحجابة بقوله : لقب كان مخصوصاً فى الدولة الأموية والعباسية بمن يحجب السلطان عن العامة ويغلق بابه دونهم أو يفتحه لهم على قدره فى مواقيته»[1] .

وقد عُرِف هذا اللفظ «الحاجب» فى العصر الجاهلى ، وكان يحمل مدلول الشخص الذى يحمل مفاتيح الكعبة ويتولَّى خدمتها ، ففى الحديث : «قالت بنوقُصيٍّ : فينا الحجابة»[2] ، يعنون حجابة الكعبة وهى سِدانتها ، وتولِّى حفظها ، وهم الذين بأيديهم مفاتيحها .

وفى عصر صدر الإسلام لم يكن الخليفة بحاجة إلى من يقف على بابه يبلغه أخبار الرعية ، ويأخذ الإذن لهم منه لامتناع الخلفاء الراشدين عن مثل ذلك واتصالهم بالرعية مباشرة ، ولكن كان لتحوُّل الخلافة إلى مُلْك وراثى فى العصر الأموى وتأثرها بالتنظيمات الفارسية والبيزنطية دور فى ظهور هذه الوظيفة ، كما كان للتطور السياسى وظهور حركة الاغتيالات من جانب الأحزاب السياسية المتصارعة على الحكم دور آخر فى اتخاذ نظام الحجابة .

وكانت وظيفة الحاجب فى بادئ الأمر تقتصر على حفظ باب الخليفة والاستئذان للداخلين عليه ، ثم ازداد نفوذه وصار يمنع الرعية من مقابلة الخليفة إلا فى الأمور الهامة ، ثم ازدادت صلاحيته بحيث أصبح يحجر على الخليفة نفسه[3] .

وأمَّا فى الدولة الأموية بالأندلس فكان للحجابة وضع خاصٌّ وصلاحيات تعددت نفوذ الوزراء فيها، يقول ابن خلدون : «فكانت الحجابة لمن يحجب السلطان عن الخاصة والعامة ، ويكون واسطة وبين الوزراء فمن دونهم ، فكانت دولتهم غاية رفيعة كما تراه فى أخبارهم . . . ثم لمَّا جاء الاستبداد على الدولة اختص المستبد باسم الحجابة وشرفها»[4] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : «كل من يقف بباب الحاكم ليحجبه عن العامة ، ويبلِّغه أخبار الرعية ويأخذ لهم الإذن منه بالدخول عليه» ، وذلك فى قوله : «كان كلثوم العتَّابى واقفاً بباب المأمون ، فجاء يحيى بن أكثم ، فقال له العتَّابى : إن رأيت أن تُعلِم أميرَ المؤمنين بمكانى ، قال : لست بحاجب»[5] .

وقد ورد نص عند المسعودى يؤكد أن الخلفاء لم يكونوا هم وحدهم الذين اتخذوا حُجَّاباً ببابهم،

(١) المقدمة ، ت وافى ، لجنة البيان العربى ٢/٦٠٩ .
(٢) اللسان ، المجلد الثانى ، مادة حجب ، ص ٧٧٧ .
(٣) دراسات فى الحضارة الإسلامية ، د. حسن الباشا ، ص ٥٢ .
(٤) المقدمة ، ابن خلدون ، ت وافى ، لجنة البيان العربى ، ٢/٦٠٩ .
(٥) المروج جـ ٤/١٤ .

بل إن الوزراء والأمـراء قد قلَّدوا الخلـفاء فى هذا الأمـر ، وذلك فى قـوله : «واستـأذن على الوزير صاعد بن مخلد ، فقال له الحاجب : الوزير مشغول»[1] .

الكاتب :

هو من يتعـاطى صناعة النثر ، وهو من يتـولَّى عملاً كتـابياً إدارياً[2] وهو العالِم ، فـفى كتابه ﷺ إلى أهل اليمن : قد بعثت إليكم كاتبـاً من أصحابى ، أراد عالماً ، وسُمِّى به لأن الغالب على من كان يعرف الكتابة أنَّ عنده العلم والمعرفة[3] .

وكـان يقوم بمهـامِّ الكتابة فـى عصـر الرسول ﷺ مـوظف أو موظفـون يُطلق عليـهم لقب «الكاتب» مثل : على بن أبى طالب وأُبىّ بن كعب وزيد بن حارثة وعثـمان بن عفان ، ولَمَّا دوَّن عمر ابن الخطاب الدواوين اسـتخدم مـحمـد بن شاهين الزُّهرى كـاتباً للجـيش ، «وظل الكاتب من أهم الموظفين المدنيين فى العصر الأموى ، حيث كان بمثابة الوزير فى مـعاونة الخليفة أو الوالى غير أنه كان بمنأى عن الأخطار التى هددت الوزير العبَّاسى فيما بعد»[4] .

وكان إلى جـانب ذلك يقوم بأنواع الكتابة الإدارية المخـتلفة ، ومن الثابت أن غيـر المسلمين كان يشارك المسلمين فى القيام بهذه المهمة لاسيما قبل تعريب الدواوين فى عهد عبد الملك بن مروان .

وفى العصر العبـاسى زادت المكاتبات الإدارية زيادة دعت إلى تنظيمها وإسناد مهـمتها إلى ديوان خاص أخـذت اختصاصـاته تتحدَّدُ على مـر الزمن ، وفى بداية الأمر كان الإشـراف عليه إلى الوزير مباشـرة ، ولما تضخمت أعمال الديوان من جـهة وزادت أعباء الوزير من جهـة أخرى انفرد به رئيس خاص كـان أقل من الوزير فى المرتبة ، ويرجـع إليه فى أموره ، وكـانت وظيفـة الكتابة فى العـصر العباسى تؤهِّل لتولِّى الوزارة . وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلولين هما :

- مَنْ يقوم بصناعة النثر ويتخذها مهنة له ويجيد فيها ، ويؤكد ذلك قوله : «وفيها مات إبراهيم بن العباس الصولى ، الكاتب ، وكان كـاتباً بليغاً وشاعراً مُجيداً ، لا يُـعلم فيمن تقدَّم وتأخَّر من الكُتَّاب أشعر منه»[5] .
- من يتولَّى عملاً كـتابياً إدارياً للخليفة أو الوالى ، ويؤكد ذلك قوله : «واسـتوزر المستعين بالله أبا موسى أوتامش ، وكان المتولِّى لأمر الوزارة والقيِّم بها كاتباً لأوتامش يُقال له شجاع بن القاسم، وبعد أن قُتِل أوتامش وكاتبه شجاع صار على وزارته أحمد بن صالح»[6] .

(١) المروج ، جـ ٤/ ٢٣٥ .
(٢) المعجم الوسيط ، جـ ٢ / مادة كتب / ص ٨٠٦ .
(٣) اللسان ، المجلد الخامس ، مادة كتب ، ص ٣٨١٧
(٤) الألقاب الإسلامية ، ص ١٠ .
(٥) مروج الذهب ، جـ ٤/ ١٠٦ .
(٦) مروج الذهب ، جـ ٤/ ١٤٥ .

وفى موضع آخر يقول المسعودى : «ولمَّا أفضت الخلافة إلى المتقى لله أقرَّ على الوزارة سليمان بن أحسن بن مخلد ، ثم استوزر أبا الحسن أحمد بن محمد بن ميمون وكان كاتبه قبل الخلافة»[1] .

الجواسيس :

جسَّ الخبرَ وتجسَّسه : بحث عنه وفحص ، قال اللحيانى : تجسَّسْتُ فلاناً ومِنْ فلان : بحثت عنه كتحسَّسْتُ ، ومن الشَّاذِّ قراءة من قرأ : (فتجسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وأخيه) والتجسُّس بالجيم : التفتيش عن بواطن الأمور وأكثر ما يقال فى الشر ، والجاسوس صاحب سر الشر ، وهو العين يتجسس الأخبار ثم يأتى بها[2] .

ولم تكن هذه المهمة موجودة فى عصر الرسول ﷺ ، لأنه لم يكن بحاجة إلى معرفة ما يضمره المسلمون أو غيرهم فى نفوسهم ، فقد كان الله يُطلعه على ما فيه هلاك له ولدعوته ، وبدأت بوادر هذه المهمة «الجاسوسية» تظهر فى عهد عمر بن الخطاب ، فقد كان يبثُّ العيون فى كل مكان ليتعرف على أحوال المسلمين بغرض إعانتهم وأداء حقوقهم .

وفى العصر الأموى اتضحت معالم هذه المهمة وأصبح الخلفاء الأمويون يبثون رجالهم فى كل مكان داخل وخارج الدولة الإسلامية لمعرفة المعارضين والذين يُضمِرون الشرَّ أو ينوون الانقلاب على الدولة ، وكانت أكثر مهام الجواسيس فى عهد معاوية معرفة أخبار الدول المجاورة للدولة الإسلامية وموقفهم منها .

وفى العصر العباسى كانت مهمة الجواسيس تنحصر فى داخل الدولة الإسلامية خاصة بعد دخول العناصر الأجنبية فى الدولة ، واقترابهم من الحكم ، مما جعل الخلفاء العباسيين يخشون على أنفسهم من هذه العناصر الأجنبية ، فأكثروا من استخدام هؤلاء الجواسيس .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : كلّ من يرسله الخليفة لمعرفة الأخبار ثم الإتيان بها ، وذلك فى قوله : «فقال له الصورى : أكثر من ذكرت ابتدأنى وأنا رجل غريب أدخل إلى هذا الملك والبلد كالمتنكِّر من أسارى المسلمين وجواسيسهم»[3] .

الفرَّاشون :

ورد فى اللسان : فَرَشَ الشيءَ يفرِشه ويفرُشُه فَرْشاً : بسَطَه ، والفَرْش مصدر فَرَش يفرِش ويفرُش، وهو بَسْط الفِراش ، وافترش ذراعيه : بسطهما على الأرض ، والفَرْش : المفروش من متاع

(١) المروج ، جـ ٤/ ٣٤٠ .
(٢) اللسان ، المجلد الأول ، مادة جسس ، ص ٦٢٤ .
(٣) المروج ، جـ ٤/ ٢١٦ .

البيت[1] . ونلاحظ أن صيغة «فعَّال» التى تدل على من يقوم بهذا العمل لم ترد فى اللسان ، وعندما تطرَّق لها المعجم الوسيط قال : «الفرَّاش : من يتولَّى أمر الفَرَاش وخدمته فى المنازل ونحوها ، ويشير إلى ذلك بالرمز : «مج» أى أن هذه الصيغة أقرها المجمع بعد كثرة تداولها على الألسنة فى العصر الحديث ، رغم أنها كانت موجودة فى عصر المسعودى فى أوائل القرن الرابع الهجرى .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : «كل شخص أُوكِل إليه من قِبَل السلطان حراسة بُسُط القصر والقيام عليها وملازمة السلطان فى كل مكان يذهب إليه لفرش البُسُط له إذا أراد الجلوس ، وذلك فى قوله : «فبادر الفرَّاشون ، فانتزعوها من يدى الملاحين»[2] .

وفى موضع آخر يقول : «فقلتُ لوصيف : أعَجز هذا الفرَّاش أن يفرش تحت أمير المؤمنين إلا هذا البساط الذى عليه صورة يزيد بن الوليد قاتل ابن عمِّه»[3] .

العيون :

العين حاسة البصر والرؤية ، أنثى ، تكون للإنسان وغيره من الحيوان ، والجمع أعيان وأعْيُن وأعْيُنات ، والأخيرة جمع الجمع ، والعين : الذى يُبعث ليتجسس الخبر ، ويسمَّى ذا العينين[4] . ومن المسلَّم به - عند اللغويين - وجود علاقة بين اللفظ والمعنى ، إذ يؤدى اللفظ معنى واحداً أو أكثر من معنى ، فإذا أدَّى اللفظ الواحد أكثر من معنى أطلق عليه اللغويون القدامى مصطلح «المشترك اللفظى» ، وأمَّا اللغويون المحدثون فيطلقون عليه مصطلح «تعدد المعنى» ، وهذا ينطبق على لفظة «عين» حيث إنها وردت فى كتاب المسعودى تحمل معانى عدة ، وهذه المعانى هى :

- العين الباصرة : ويؤكد ذلك قوله : «فلما قُبض عليه وسُمِلَتْ عيناه ، وأفضت الخلافة إلى الراضى طولب القاهر بالأموال»[5] .
- الجاسوس : ويؤكد ذلك قوله : «غير أن موسى تعطَّف عليه ، وأعملا الحيلة فى قتل صالح بن وصيف ، وخاف موسى أن يكون صالح بن وصيف يعمل الحيلة عليهم فى حال اختفائه فبثَّ فى طلبه العيون حتى وقع عليه»[6] .
- منبع الماء : ويؤكد ذلك قوله : «وانصرف المأمون من غزاته فنزل على عين البديدون المعروفة بالقشيرة على حسب ما قدمنا فى هذا الكتاب ، فأقام هنالك حتى ترجع رسلُه من الحصون ،

(١) اللسان ، مجلد ٥ / مادة فرش / ص ٣٣٨٢ .
(٢) المروج ، جـ ٤/ ٩٩ .
(٣) المروج ، جـ ٤/ ١٣٠ .
(٤) اللسان مجلد ٤ / مادة عين / ص ٣١٩٦ .
(٥) المروج ، جـ ٤/ ٣٣٥ .
(٦) المروج ، جـ ٤/ ١٨٥ .

فوقف على العين ومنبع الماء»[1] .

المُغنُّون :

الغِناء بالكسر : من السماع ، وكلٌّ من رفع صوته ووالاه فصوته عند العرب غِناء[2] ، وغنَّى : طرَّب وترنَّم بالكلام الموزون وغيره ، والمغنِّى : محترف الغناء[3] . وقد ورد هذا اللفظ عند المسعودى فى صورتى المفرد والجمع يحمل مدلول : «كلّ من رفع صوته ووالاه بالكلام الموزون بقصد الإطراب والترنُّم» .

- صورة المفرد : يقول المسعودى : «قال المعتمد : فما صفة المغنِّى الحاذق ؟ قال ابن خرداذبة : المغنِّى الحاذق يا أمير المؤمنين من تمكَّن من أنفاسه، ولطَّف فى اختلاسه ، وتفرَّع فى أجناسه»[4].
- صورة الجمع : يقول المسعودى : «فطرب المتوكل وأمر الملهين والمغنِّين أن يغنوا ذلك اليوم بشعر الحمار ، وفرح فى ذلك اليوم فرحاً شديداً»[5] .

السُّمَّار :

جاء فى اللسان : «السَّمَر : المسامرة ، وهو الحديث بالليل ، والسُّمَّار : الجماعة الذين يتحدثون بالليل ، والسَّامر : الموضع الذى يجتمعون فيه للسمر»[6] .

وقد وردت هذه اللفظة فى صورتى المفرد والجمع فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : «الجماعة التى تجلس مع الخليفة أو الحاكم تسامره ليلا بالنوادر والطرائف وأحداث التاريخ» .

- صورة الجمع : يقول المسعودى : «وأحدث المتوكل فى أيامه بناء لم يكن الناس يعرفونه ، وهو المعروف بالحيرى والكمين والأروقة ، وذلك أن بعض سُمَّاره حدَّثه فى بعض الليالى أن بعض ملوك الحيرة من النعمانية من بنى نصر أحدث بنيانا فى دار قراره وهى الحيرة»[7] .
- صورة المفرد : يقول المسعودى : «فاتخذه الحجَّاج سميرا ، فلم يك يطلب شيئاً من الحديث إلا وجد عنده منه علما»[8] .

---

(١) المروج ، جـ ٤/ ٤٣ .
(٢) اللسان ، المجلد الخامس ، مادة غنا ، ص ٣٣٠٩ .
(٣) المعجم الوسيط ، جـ ٢ / مادة غنى ، ص ٦٨٩ .
(٤) المروج ، جـ ٤/ ٢٢٣ .
(٥) المروج ، جـ ٤/ ٩٣ .
(٦) اللسان ، المجلد الثالث ، مادة سمر ، ص ٢٠٩٠ .
(٧) المروج ، جـ ٤/ ٨٧ .
(٨) المروج ، جـ ٣/ ١٤٣ .

النديم :

جاء فى اللسان : «نادم الرجل منادمة ، ونداماً : جالسه على الشراب ، والنديم : المنادم والجمع نُدماء وهو الشريب الذى ينادمه ، ويُقال : المنادمة مقلوبة من المدامنة ؛ لأنه يُدْمن شرب الشراب مع نديمه»[1] . وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول :

«الشخص الذى يجالس السلطان على الشراب» ، وذلك فى قوله :

«وقد فاخر كاتبٌ نديماً ، فقال الكاتب : أنا معونة وأنت مؤونة ، وأنا للجد وأنت للهزل ، وأنا للشدة وأنت للذة ، وأنا للحرب وأنت للسلم»[2] .

الآذِن :

جاء فى اللسان : «أذن له فى الشىء إذناً : أباحه له واستأذنه : طلب منه الإذن ، وأذن له عليه : أخذ له منه الإذن . يقال : ائذن لى على الأمير ، ومنه قول الشاعر :

قلت لبوَّابٍ لديه دارُهـــا تِيذنْ فإنى حَمْؤُها وجارها

قال أبو جعفر : أراد لتأذن ، وجائز فى الشعر حذف اللام وكسر التاء على لغة من يقول : أنت تِعلم ، وقرئ «فبذلك فلْتِفْرحوا» ، والآذن : الحاجب»[3] .

وقد وردت لفظة الآذن فى كتاب المسعودى مرادفة للفظة الحاجب ، وإن كانت وظيفة الحاجب أشمل وأعلى شأناً من الآذن ، فالآذن تقتصر مهمته على حفظ باب الخليفة والاستئذان للداخلين عليه، أمَّا الحاجب فنفوذه أكثر من ذلك فهو يمنع الرعية من مقابلة الخليفة إلا فى الأمور الهامة ، وأخذت صلاحية الحاجب تزداد حتى تعدت نفوذ الوزراء ، وفى هذا يقول ابن خلدون : «فكانت الحجابة لمن يحجب السلطان عن الخاصة والعامة ويكون واسطة بينه وبين الوزراء فمن دونهم ، فكانت دولتهم غاية رفيعة كما تراه فى أخبارهم، ثم لَمَّا جاء الاستبداد على الدولة اختص المستبدُّ باسم الحجابة لشرفها»[4] .

ومن المواضع التى ورد فيها ذكر الآذن قول المسعودى : ولَمَّا انصرف علىٌّ من الجمل ، قال لآذنه: مَنْ بالباب من وجوه العرب ؟ . . . فقال : ائذن لهم»[5] .

---

(١) اللسان ، المجلد السادس ، مادة ندم ، ص ٤٣٨٦ .

(٢) المروج ، جـ ٤/ ١٦ .

(٣) اللسان ، المجلد الأول ، مادة أذن ، ص ٥٢ .

(٤) المقدمة ، ابن خلدون ، ت وافى ، لجنة البيان العربى ، ٢/ ٦٠٩ .

(٥) المروج ، جـ ٣/ ٤٧ .

صاحب الحرس :

جاء فى اللسان : «حرسه يحرُسه ويحرِسه : حفظه ، وهم الحُرَّاس والحَرَس والأحراس ، وحَرَسُ السلطان هم الحُرَّاس ، الواحد : حَرَسى ، لأنه قد صار اسم جنس فنُسب إليه ، ولا تقل حارس إلا أن تذهب به معنى الحراسة دون الجنس والحَرَس هم خَدَم السلطان المرتَّبون لحفظه وحراسته»[1] .

وجاء فى الفروق اللغوية : «الحراسة حفظ مستمر ، ولهذا سُمِّى الحارس حارساً لأنه يحرس فى الليل كله أو لأن ذلك صناعته ، فهو يديم فعله ، واشتقاقه من الحَرَس وهو الدهر ، والحِراسة هو أن يصرف الآفات عن الشىء قبل أن تصيبه صرفاً مستمراً»[2] .

وقد وردت هاتان الوحدتان المعجميتان فى كتاب المسعودى فى هذه الصورة - صورة التضام - تحمل مدلول رئيس أو قائد القوم الذين يُكلَّفون بحراسة منزل صاحب عطاء الجيش أو غيره ، وذلك فى قوله : «فلما أصبح نظر إلى النقب ولم ير المال ، فأمر بإحضار صاحب الحرس وكان على الحَرَس يومئذ مؤنس العجلى»[3] . «وكان معاوية بن أبى سفيان أول من اتبع نظام الحراسة فى الإسلام ، وذلك فى عهد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان حين كان والياً على الشام من قبلهما ، وكان معاوية يختار للحراسة رجال القبائل الذين يثق فيهم تماماً»[4] .

وفى العصرين الأموى والعباسى كان نظام الحراسة معمولاً به لدى الخلفاء والولاة نظراً لسحابة الفتن والاضطرابات التى كانت كثيراً ما تظلل هذين العصرين ، وخاصة الأحزاب السياسية فى العصر الأموى ، والعنصر الأعجمى فى العصر العباسى .

السَّبابِجة :

جاء فى اللسان : «السبابجة هم قوم ذوو جَلَد من السند والهند يكونون مع رئيس السفينة البحرية يبذرقونها «يحرسونها» واحدهم سبيجى ، ودخلت فى جمعه الهاء للعجمة والنسب كما قالوا: البرابرة ، وربما قالوا السبابج ، وقال الجوهرى : السبابجة قوم من السند كانوا بالبصرة جلاوزة وحُرَّاس السجن ، والهاء للعجمة والنسب ، قال يزيد بن المُفَرِّغ الحميرى :

---

(١) اللسان ، المجلد الثانى ، مادة حرس ، ص ٨٣٣ .

(٢) الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص ١٦٩ .

(٣) مروج الذهب ، جـ ٤/٢٤٨ .

(٤) الإدارة العربية ، حسينى ، ص ١٢١ .

وطماطيم مـــن سبابيج خُزْر يُلبسونى مع الصَّباح القيودا[1]

وقد وردت هذه اللـفظة فى كتاب المسـعودى تحـمل مدلولاً يخـالف ما جاء فى المـعجم وهو : «الخُزَّان لبيت المال والقائمون على حراسته وحفظه» ، وربما كان هذا المدلول تطوراً لما جاء فى المعجم، فقد كـانت مهمتـهم الأساسية حـراسة السفن والسجـون - كما جاء فى اللســان - ثم بعد ذلك نظراً لقوتهم وأمانتـهم كُلِّفوا بحراسة بيت المال . ويؤكد ذلك المسـعودى بقوله : «ثم إن القوم استـرجعوا وخافوا على مخلَّفـيهم بالمدينة من أخيه سهل بن ضيف وغيـره من الأنصار فخلُّوا عنه ، وأرادوا بيت المال فمانعهم الخُزَّان والموكلون به وهم السبابجة»[2] .

أصحاب الجسر :

جاء فى اللـسان : «الجَسْـر والجِسْـر : لغتان ، وهـو القنطرة ونحوه ومما يُعـبر عليـه ، والجمع القليل: أجْسُر ، والكثير : جُسور»[3] .

وقد وردت هاتان اللفظتان : «أصحاب الجسر» فى كتاب المسعودى بصورة التضام تحملان مدلولاً يغاير ما جاء فى المعجم ، الأمر الذى يجعلهمـا ينتقلان من مجال دلالى أصلى إلى مجال دلالى آخر وهو : «الجواسـيس الذين يبثهم صـاحب الشرطة فى كل مكان للتعـرُّف على الجناة والمجرمين ؛ أى أنهم مخـبرو الشرطة» ، وذلك فى قوله : «ومـتى أقررت دفعت إليك عشـرة آلاف درهم ، وأخذت لك من أصحاب الجسر مثل ذلك ، ورسمتك من التوَّابين»[4] .

الرَّصَد :

القوم يرصدون كالحـرس ، يستوى فيه الواحد والجمع والمـؤنث ، وربما قالوا أرصاد ، ويرصُده رَصْدا وَرَصَدا : يرقبه[5] . وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل المدلول السابق :

«العيون أو الجواسـيس يبعثهم الحاكم لمراقبة الرعيـة والقبض على الخارجين عن النظام» ، وذلك فى قوله : «ولما اتصل خبر ابن زياد بمسلـم تحوَّل إلى هانئ بن عروة المرادى ، ووضع ابن زياد الرَّصَد على مسلم حتى علم بموضعه»[6] .

(١) اللسان ، مجلد ٣ / مادة سبج ، ص ١٩١٣- ١٩١٤ .
(٢) المروج ، جـ ٢/ ٣٦٧ ، وانظر دائرة المعارف الإسلامية ، مج ١٢ ، ص ٤٠١ .
(٣) اللسان ، المجلد الأول ، مادة جسر ، ص ٦٢٣ .
(٤) المروج جـ ٤/ ٢٥٠ . (٥) اللسان : رصد ٣/ ١٦٥٣ .
(٦) المروج ٣/ ٦٧ .

الشُّرْطة - الشُّرَط :

الشُّرْطة : العلامة ، والشُّرطيون : هم أصحاب أعلام سود ، ورئيسهم صاحب الشُّرَط ، وهم أعوان الولاة[١] ، وهم اليوم البوليس واسمهم أيضاً الجلاوزة .

وهم أيضاً الجند الذين تعتمد عليهم الدولة فى المحافظة على الأمن والنظام العام ، وأول من أسَّس نظام الشرطة فى الدولة الإسلامية على بن أبى طالب[٢] ، وأطلق عليه هذه التسمية «الشرطة»، وصار المشرف عليه يسمى «صاحب الشرطة» ، غير أن الأمويين رغبوا عن هذه التسمية التى استحدثها الإمام علىٌ ومن ثَمَّ استبدلوا بها تسمية «صاحب الأحداث» ، فلما جاء العباسيون إلى الحكم عادوا مرة أخرى إلى التسمية القديمة[٣] .

وكان صاحب الشرطة يُختار من بين عِلْية القوم ومن أهل العصبية وكانت الشرطة تابعة للقضاء فى أول الأمر تقوم على الأحكام القضائية ، ويتولَّى صاحبها إقامة الحدود ، ولكنها لم تلبث أن انفصلت عن القضاء ، وأصبح لصاحب الشرطة الاستقلال بالنظر فى الجرائم .

ويصف ابن خلدون تطور هذا المنصب واختصاصاته فى الدولة العربية بقوله : «وكان أصل وضعها فى الدولة العباسية لمن يقيم أحكام الجرائم فى حال استبدائها أولاً ثم الحدود بعد استيفائها»[٤] .

إذن هى ولاية كولاية القضاء ، ولكن توسع النظر فيها عن أحكام القضاء قليلاً ، «فيجعل للتهمة فى الحكم مجالاً وتفرض العقوبات الزاجرة قبل ثبوت الجرائم ، ويكون لوالى الشرطة إقامة الحدود الثابتة فى مجالها ويحكم فى القَودَ والقصاص ويقيم التعزير والتأديب فى حق من لم ينته عن الجريمة»[٥] .

وقد تأثَّرت الشرطة فى عهد معاوية بالتنظيمات البيزنطية فى الأمن حيث كانت تقوم بحراسة الخليفة وقت الصلاة ، كما كانت أداة فى يد عمَّاله لتنفيذ سياسته ، وقد بلغ نظام الشرطة أوجه فى أيام العباسيين ، حيث كان «صاحب الشرطة يتخذ نائباً ومساعدين ومخبرين ، كما تميزت الشرطة

(١) مفاتيح العلوم ، الخوارزمى ، ط . ج فان فلوتن ، ط بريل بليدن ١٨٩٥ ، ط الأولى ، ص ٧٦ .
(٢) التطور السياسى للمجتمع العربى ص ١٠٩ .
(٣) الإدارة العربية، مولوى حسينى، ت. د. إبراهيم العدوى ، مكتبة الآداب ومطبعتها ، سلسلة الألف كتاب ، ص ٣٠٧.
(٤) المقدمة ، لابن خلدون ، ت وافى ، لجنة البيان العربى ، ٢/ ٦٢٥ .
(٥) تاريخ القضاء فى الإسلام ، محمود عرنوس ، المطبعة المصرية الأهلية الحديثة ، ص ٢٦ .

باتخاذها أعلاماً خاصة كما كان لهم زى خاص يلبسونه ، ويحملون مطارد وترسة تحمل كتابات باسم صاحب الشرطة ، ويحملون فى الليل الفوانيس ويصطحبون كلاب الحراسة»[١] .

وقد وردت هذه اللفظة عند المسعودى فى صورة الجمع «الشَّـرط» ، كما وردت فى صورة التضام مع لفظة «صـاحب» لتدل على رئيس هذه الفـئة وقائدها «صـاحب الشرطة» ، ومع لفظـة «مجلس» للدلالة على مقر الشرطة ومكان اجتماعهم «مجلس الشرطة» .

- صورة الجمع «الشُّـرَط» : يقول المسعودى : «وطلب اللص الذى جسر على هذا الفـعل ، فصار إلى مجلسه وأحضر التوابين والشُّرط»[٢] .
- صورة التضام مع لفظة «صاحب» : يقول المسعودى : «لألحونَّكم لحو العود ولأؤدبنَّكم أدباً سوى هذا الأدب ، هذا أدب ابن سمية - وهو صاحب شرطة كان بالعراق - اقرأ ياغلام الكتاب»[٣] .
- صورة التضام مع لفظة «مجلس» : يقول المسعـودى : «فصير بذلك أجمع إلى دار المعتضد ، ثم رُدَّ هذا التمثال إلى مجلس الشرطة فى الجانب الشرقى»[٤] .

وقد أشار القلقـشندى إلى أصل اشتقاق «الشـرطة» ، وذلك فى قوله : «وفى اشتقـاقه قولان : أحدهمـا أنه مشتق من الشَّرَط بـفتح الشين والراء وهى العلامة ، لأنهـم يجعلون لأنفسهم عـلامات يُعرَفون بهـا ، ومنه أشراط الساعة يعنى عـلاماتها ، وقيل من الشَّرَط بالـفتح أيضاً وهو رذال المال ؛ لأنهم يتحدثون فى أراذل الناس وسفلتهم ممن لا مال له من اللصوص ونحوهم[٥] .

(١) دراسات فى الحضارة الإسلامية ، ص ٧١ .
(٢) المروج ، جـ ٤/ ٢٤٨ .
(٣) المروج ، جـ ٣/ ١٣٦ .
(٤) المروج ، جـ ٤/ ٢٣٧ .
(٥) صبح الأعشى جـ ٥/ ٤٥٠ ، المطبعة الأميرية ١٩١٤ - ١٩١٩ م .

الفصل الخامس

الألفاظ الخاصة بالتيارات السياسية والفرق الدينية

أولاً : الألفاظ المتعلِّقة بالتيارات السياسية :

العثمانية :

أطلق المسعودى هذا اللفظ على : «كل من لم يقف بجوار على بن أبى طالب فى حربه ضد معاوية أو ضد الخوارج ، وإنما ابتعدوا عن دائرة الصراع وحبسوا أنفسهم فى بيوتهم» .

وفى ذلك يقول المسعودى : «وفى سنة ثمان وثلاثين كان حربه مع أهل النهروان من الخوارج ، وقعد فى بيته جماعة عثمانية لم يروا إلا الخروج عن الأمر ، منهم سعد بن أبى وقاص ، وعبد الله ابن عمر»[1] .

الخُضَرية :

أطلق المسعودى هذا اللفظ على : «أصحاب عُبَيد الله بن عمر بن الخطاب الذين خاضوا حرباً ضد على بن أبى طالب مطالبين بدم عثمان ، وذلك فى معركة صفين ، وكان عُبَيد الله وجماعته قد تعمَّموا بحرير أخضر فى هذه المعركة» .

وفى هذا الصدد يقول المسعودى : «وخرج فى اليوم التاسع - وهو يوم الخميس - علىٌّ ، وخرج معاوية ، فاقتتلوا إلى ضحوة من النهار ، وبرز أمام الناس عُبَيد الله بن عمر بن الخطاب ، فى أربعة آلاف من الخُضَرية مُعمَّمين بشقائق الحرير الأخضر متقدِّمين للموت يطلبون بدم عثمان ، وابن عمر يقدمهم»[2] .

اللارسية :

هم المسلمون الذين يقيمون فى بلاد الخزر ، يعتمد عليهم ملك الخَزَر ؛ لأنهم معروفون بالبأس والشدة .

---

(١) المروج ، جـ ٢/ ٣٦١-٣٦٢ .

(٢) المروج ، جـ ٢/ ٣٩٠ .

يقول عنهم المسعودى . «والغالب فى هذا البلد «الخزر» المسلمون لأنهم جند الملك ، وهم يُعرَفون فى هذا البلد باللارسبة ، وهم ناقلة من نحو بلاد خوارزم . وكان فى قديم الزمان بعد ظهور الإسلام وقع فى بلادهم جَدْب ووباء . فانتقلوا إلى ملك الخزر ، وهم ذوو بأس وشدة وعليهم يعول ملك الخزر فى حروبه»[1] .

البياسرة :

يقول صاحب اللسان عنهم : «هم جيل من السند يؤاجرون أنفسهم من أهل السفن لحرب عدوهم، وهو رجل بيسرى»[2] . ونلاحظ أن المسعودى قد نقل دلالة هذا اللفظ بحيث تخالف ما جاء فى اللسان فيقول عنهم : «ومعنى قولنا البياسرة يُراد به مَنْ وُلدوا من المسلمين بأرض الهند يُدعون بهذا ، واحدهم بيسر ، وجمعهم بياسرة»[3] .

المُسوِّدة :

لفظ أُطلق على الدولة العباسية وأتباعها ، فعندما دعا أبو مسلم الخراسانى الناس إلى مبايعة إبراهيم بن محمد الإمام لتصير الخلافة من الأمويين إلى العباسيين ، الذين هم فى نظره أحق بها من الأمويين ، وبدأت دعوته تنتشر فى خراسان» وأمر أهل الدعوة بإطاعته والانقياد إلى أمره ورأيه ، فقوى أمره وظهر سلطانه ، وأظهر السواد ، وصار زينة فى اللباس والأعلام والبنود»[4] ، وعندما خاضوا حروبهم مع مروان بن محمد - آخر الخلفاء الأمويين - كانوا يلبسون السواد ، وأصبحت هذه اللفظة تُطلق على الدولة العباسية بعد ما انتزعوا الخلافة من الأمويين ، وظلَّت الدولة تلبس السواد هى وأتباعها حتى تولَّى المأمون الخلافة ، «وأمر بإزالة السواد من اللباس والأعلام ، وأظهر بدلاً من ذلك الخُضْرة فى اللباس والأعلام»[5] . ولما ثار عليه الناس وكادت الفتنة تقع عاد مرة أخرى فلبس السواد، وظلَّت هذه اللفظة تُطلق على الدولة العباسية وأتباعها حتى انقضت .

المَرَوانية :

هم الحكام الأمويون الذين تولوا الخلافة بعد مروان بن الحكم إلى أن زالت دولتهم ، وفى هذا الصدد يقول المسعودى : «وآخر من حجَّ منهم ساسان بن بابك وهو أول ملوك ساسان وأبوهم ،

(١) المروج ، جـ ١/ ١٧٩ .
(٢) اللسان ، المجلد الأول ، مادة بسر ، ص ٢٨٠ .
(٣) المروج ، جـ ١/ ٢١٠ .
(٤) المروج ، جـ ٣/ ٢٥٤ .
(٥) المروج ، جـ ٤/ ٢٨ .

الذى يرجعون إليه كرجوع ملوك المروانية إلى مروان بن الحكم وخلفاء العباسيين إلى العباس بن عبد المطلب»[1] .

الزُّبَيْرية :

لقب يُطلق على أتباع عبد الله بن الزبير وأخيه مصعب ، وقد ورد ذكر هذا اللقب فى كتاب المسعودى يحمل هذا المفهوم ، وذلك فى قوله : «وكان النعمان بن البشير والياً على حمص قد خطب لابن الزبير مائلاً للضحَّاك ، فلما بلغه قتله وهزيمة الزبيرية خرج عن حمص هارباً ، فسار ليلته متحيراً لا يدرى أين يأخذ»[2] .

المُحَمَّدية :

هم أصحاب محمد الامين الذين وقفوا بجواره وأيدوه فى نزاعه على الخلافة مع أخيه المأمون .

وفى هذا الصدد يقول المسعودى : «ولمَّا نظر طاهر إلى صبر أصحاب المخلوع على هذه الحال الصعبة قطع عنهم مواد الأقوات ، فكان الخبز فى حد المأمونية عشرين رطلاً بدرهم ، وفى حدِّ المحمدية رطل بدرهم»[3] .

المأمونية :

هم أنصار الخليفة المأمون والذين أيدوه ووقفوا بجواره فى نزاعه على الخلافة مع أخيه محمد الأمين.

وقد ورد ذكرهم عند المسعودى بقوله : «ونهضوا مع غيرهم من المحمدية وزحفوا من مواضع كثيرة نحو المأمونية ، فبعث إليهم طاهر بعدة قواد وأمراء من وجوه كثيرة ، فاشتد الجِلاد ، وكثر القتل ، وكانت للعُراة على المأمونية إلى الظهر وكان يوم الاثنين ، ثم ثارت المأمونية على العراة من أصحاب محمد فُغرِق منهم وقُتل وأُحرق نحو عشرة آلاف»[4] .

الشعوبية :

الشعوبيَّة والشعوب : فرقة لا تفضِّل العرب على العجم ، والشعوبىُّ : الذى يُصغِّر شأن العرب ولا يرى لهم فضلاً على غيرهم[5] .

---

(١) مروج الذهب ، جـ ١/ ٢٤٢ .
(٢) المروج ، جـ ٣/ ٩٦ - ٩٧ .
(٣) المروج ، جـ ٣/ ٤١٥ .
(٤) المروج ، جـ ٣/ ٤١٧ .
(٥) اللسان : شعب ٤/ ٢٢٧٠ ، القاموس المحيط ١/ ٨٨ .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل المدلول السابق ، وذلك فى قوله : «فزعم أنه ليس من العدل أن يمنَّ عليهم برحمته دون غيرهم بغير عمل منهم ، وبغير معصية كانت من غيرهم ، ماذا يكون الفضل بينكم معاشر الشعوبية وبينه»[1] . وفى موضع آخر يقول : «وقد ذكر أبو الحسن أحمد بن يحيى فى كتابه : فى الرد على الشعوبية عللاً كثيرة»[2] .

ثانياً : الألفاظ المتعلِّقة بالفِرَق الدينية :

(١) الفرق الدينية الإسلامية :

(أ) فرق الشيعة :

الراوندية :

فرقة إمامية ظهرت سنة ٩٧ هـ / ٧١٦ م ، كانت تتنازع مع الكيسانية فى أمر الإمامة بعد موت ابن الحنفية ، وقد انقسمت الراوندية على نفسها ثلاث فرق : الأبو مُسْلِمية ، والرُّزامية والهريرية «الهريدية» ، وكلُّهم يقولون بإمامة العباس بن عبد المطلب وولده عبد الله ، والراوندية يؤلِّهون الخليفة المنصور ، وهم يُنسبون إلى عبد الله الراوندى الذى كان يسكن خراسان[3] .

يقول عنهم المسعودى : «وقد قدَّمنا فى الكتاب الأوسط ما ذكرته الراوندية - وهم شيعة ولد العباس بن عبد المطلب من أهل خراسان وغيرهم - من أنَّ رسول الله ﷺ قُبض وأن أحق الناس بالإمامة بعده العباس بن عبد المطلب ؛ لأنه عمه ووارثه وعصبته ، لقول الله عزَّ وجل : «وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله» ، وأن الناس اغتصبوه حقه ، وظلموه أمره إلى أن ردَّه الله إليهم ، وتبرأوا من أبى بكر وعمر رضي الله عنهما ، وأجاروا بيعة على بن أبى طالب - رضي الله عنه -»[4] .

الخَشَبية :

لقبٌ لأصحاب المختار بن أبى عبيد الثقفى لاستعمالهم العكاكيز فى الحرب ، وهم فرقة من فرق الشيعة قاموا للثأر للحسين بن على بن أبى طالب وكان يقال له كيسان ، وقيل إنه أخذ مقالته عن مولى لعلى بن أبى طالب كان اسمه كيسان ، وكان المختار وأصحابه يقولون بإمامة محمد بن الحنفية، وإليه كان يدعو المختار»[5] .

---

(١) المروج ٢/ ٥٥ .
(٢) المروج ٢/ ٥٤ .
(٣) تاريخ الطبرى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار المعارف ، ٧/ ٥٠٥ .
(٤) المروج ، جـ ٣/ ٢٥٢ .
(٥) الفَرْق بين الفِرَق ، البُغدادى ، ص ٢٦ .

ويقول المسعودى عن هذه الفرقة : «وهؤلاء الذين وردوا إلى ابن الحنفية هم الشيعة الكيسانية ، وهم القائلون بإمامة محمد بن الحنفية ، وقد تنازعت الكيسانية بعد قولهم بإمامة محمد بن الحنفية : فمنهم من قطع بموته ، ومنهم من زعم أنه لم يمت وأنه حى فى جبال رضوى ، وقد تنازع كل فريق من هؤلاء أيضاً ، وإنما سُمُّوا بالكيسانية لإضافتهم إلى المختار بن أبى عُبَيد الثقفى ، كان اسمه كيسان ويكنى أبا عمرة ، وأن على بن أبى طالب سماه بذلك ، ومنه من رأى أنَّ كيسان أبا عمرة هو غير المختار»[1] . وأول من أطلق على أتباع المختار لقب الخشبية مصعب بن الزبير ، فقد كانت له معهم حروب كثيرة انتهت بانتصاره عليهم ، «فقتلهم مصعب وسماهم الخشبية»[2] .

الرافضة :

جاء فى اللسان : «الرافضة جنود تركوا قائدهم وانصرفوا ، فكل طائفة منهم رافضة ، والنسبة إليهم رافضى ، والروافض : قوم من الشيعة سُمُّوا بذلك لأنهم تركوا زيد بن على ، قال الأصمعى : كانوا بايعوه ثم قالوا له : ابرأ من الشيخين «أبى بكر وعمر» نقاتل معك ، فأبى وقال : كانا وزيرى جدى ، فلا أبرأ منهما ، فرفضوه وارفضُّوا عنه ، فسُمُّوا رافضة وقالوا : الروافض ، ولم يقولوا الرفَّاض لأنهم عنوا الجماعات»[3] .

وقد ورد هذا اللفظ عند المسعودى يحمل مدلول أتباع زيد بن على الذين قالوا بإمامته وإمامة ابنه يحيى بعده ثم رفضوه وابتعدوا عنه بعد ما أبى أن يبرأ من أبى بكر وعمر» .

وفى هذا الصدد يقول المسعودى : «وكان زيد بن على قد بايعه على إمامته خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة ، وخرج بهم على والى العراق ، ولما استمر القتال قال له أتباعه : إنا ننصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك فى أبى بكر وعمر اللذين ظلما جدَّك عليًّا ، فقال زيد : إنى لا أقول فيهما إلا خيرا ، وما سمعت أبى يقول فيهما إلا خيرا ، وإنما خرجتُ على بنى أمية الذين قتلوا جدى الحسين ، وأغاروا على المدينة يوم الحرَّة ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار ، ففارقوه عند ذلك ، حتى قال لهم : رفضتمونى ، ومن يومئذ سُمُّوا الرافضة»[4] .

السَّبَطية أو الشُّمَيطية :

«فرقة من فرق الشيعة تُنسب إلى يحيى بن شُمَيْط ، وقد ساقوا الإمامة بطريق النص من جعفر إلى ابنه محمد بن جعفر ، وأقرُّوا بموت جعفر ، وزعموا أن جعفراً أوصى بها لابنه محمد ،

(١) المروج ، جـ ٣/ ٨٧ .
(٢) المروج ، جـ ٣/ ١٠٧ .
(٣) اللسان ، المجلد الثالث ، مادة رفض ، ص ١٦٩٠ .
(٤) المروج ، جـ ٤/ ١٠٣ .

ثم أداروا الإمامة فى أولاد محمد بن جعفر وزعموا أنَّ المهدى المنتظر من ولده»[1] ، وقالوا: إن جعفراً قال : إن صاحبكم اسمه اسم نبيكم ، وقد قال له والده . إنْ وُلِدَ لَكَ وَلَدٌ فسميته باسمى فهو الإمام[2] .

وقد ذكر المسعودى هذه الفرقة فى مواضع منها :

«وظهر فى أيام المأمون بمكة ونواحى الحجاز محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين رحمهم الله ، وذلك فى سنة مائتين ودعا لنفسه ، وإليه دعت السبطية من فرق الشيعة ، وقالت بإمامته ، وقد افترقوا فرقاً : فمنهم من غلا ، ومنهم من قصد وسلك طريق الإمامية»[3] .

التُّرابيون أو التوَّابون :

«وهم فريق من شيعة الكوفة عزموا على الأخذ بدم الحسين بن على بن أبى طالب وأصحابه ، فخرجوا فى سنة ٦٥ هـ / ٦٨٤ م مع سليمان بن صَرَد ، ولحقهم بعض أهل المدائن ، ولم يخرج معهم أحد من أهل البصرة ، وتوجَّهوا إلى مكان يسمى الرقة ، وقد أعانهم زُفَر بن الحارث الكِلابى عامل قرقيسياء لعبد الملك بن مروان ، وقد كان عبيد الله بن زياد توجَّه من الشام إلى حربهم فى ثلاثين ألفاً ، والتقى الجيش الشامى بالتوَّابين فأُتِى عليهم»[4] .

ونستطيع أن نفسِّر سبب تسميتهم بالترابيين مرة وبالتوابين مرة أخرى من خلال نصين للمسعودى، فسبب تسميتهم بالتوابين أنهم بعد مقتل الحسين استشعروا الندم وأخذوا يرثون الحسين ومَنْ قُتِل معه ويلومون أنفسهم بتخلُّفهم عنه ، وأعلنوا أنهم قد تابوا إلى الله من الكبيرة التى ارتكبوها وهى خذلانهم الحسين ، وفى هذا الصدد يقول المسعودى : «وفى سنة خمس وستين تحركت الشيعة بالكوفة وتلاقوا بالتلاوم والتنادم حين قُتل الحسين فلم يغيثوه ورأوا أنهم قد أخطأوا خطأ كبيراً بدعاء الحسين إياهم ولم يجيبوه ، ولمقتله إلى جانبهم فلم ينصروه ورأوا أنهم لا يغسل عنهم ذلك الجُرْم إلا قَتْل مَنْ قَتَله أو القَتْل فيه»[5] .

وأمَّا سبب تسميتهم بالتُّرابيين نسبة إلى أبى تراب ، وهى كنية كان قد كناها رسول الله ﷺ علىَّ بن أبى طالب نبذه بها أهل الشام ، وفى ذلك يقول المسعودى : «واستقتل الترابيون ، وكسروا

(١) الفرق بين الفرق ، البغدادى ، ص ٤١ .

(٢) الملل والنحل للشهرستانى ، تحقيق محمد فتح الله بدران ، مطبعة الأزهر ، ط الأولى ١٩١٠ م ، جـ ١/ ٣٤٠ .

(٣) المروج ، . جـ ٤/ ٢٦ .

(٤) تاريخ الطبرى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، جـ ٥/ ٥٨٣ ، ٩ ٦ «باختصار» .

(٥) المروج ، جـ ٣/ ١٠٠ - ١٠١ .

أجفان السيوف ، وسالت عليهم عساكر أهل الشام بالليل ينادون : الجنة الجنة إلى البقية من أصحاب أبى تراب الجنة الجنة إلى الترابية»[1] .

القَطعية «الاثنا عشرية» :

فرقة من فرق الشيعة ساقوا الإمامة من جعفر الصادق إلى ابنه موسى ، وقطعوا بموت موسى ، وقالوا إن الإمام بعده سبط محمد بن الحسن الذى هو سبط على بن موسى الرضا ، ويقال لهم «الاثنا عشرية» أيضاً لدعواهم أنَّ الإمام المنتظر هو الثانى عشر من نسبه إلى علىٍّ بن أبى طالب رضي الله عنه»[2] .

وقد ورد ذكرهم عند المسعودى بقوله : «وكان عبد الله بن يزيد الأباضىّ بالكوفة تختلف إليه أصحابه يأخذون منه ، وكان خرَّازاً شريكًا لهشام بن الحكم ، وكان هشام مقدَّماً فى القول بالجسم والقول بالإمامة على مذهب القطعية يختلف إليه أصحابه من الرافضة يأخذون عنه»[3] .

ويقول فى موضع آخر : «وقد ذكرنا تنازع القطعية بعد مُضىِّ الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضي الله عنه ، وما قالت الكيسانية، وما تباينت فيه غيرها من طوائف الشيعة»[4] .

المطورة أو الموسوية :

هى فرقة من فرق الشيعة ، تعتقد بإمامة جعفر وابنه موسى ، وزعمت هذه الفرقة أن موسى بن جعفر حىٌّ لم يمت ، وأنه هو المهدى المنتظر[5] ، وقالت : «إنه دخل دار هارون الرشيد ولم يخرج منها ، وقد علمنا إمامته وشككنا فى موته ، فلا نحكم فى موته إلا بيقين» ، ويرجع سبب تسميتهم بالمطورة أنَّ يونس بن عبد الرحمن العُمِّى كان من القطعية ، وناظر بعض هذه الفرقة فقال فى بعض كلامه : أنتم أهون على عينى من كلاب المطورة»[6] .

وقد ورد ذكرهم عند المسعودى فى قوله : «وقول هؤلاء فى محمد بن القاسم نحو قول الرافضة الكيسانية فى محمد ابن الحنفية ، ونحو من قول الواقفية فى موسى بن موسى بن جعفر ، وهم المطورة بهذا تُعرف هذه الطائفة من بين فرق الشيعة»[7] .

---

(١) المروج ، جـ ٣/ ١٠٢ .
(٢) الفرق بين الفرق ، البغدادى ، ص ٤٣ .
(٣) المروج ، جـ ٣/ ٢٠٤ .
(٤) المروج ، جـ ٣/ ٢٢١ .
(٥) الفصل فى الملل والأهواء والنِّحَل ، لابن حزم ، مطبعة التمدن ، ط الأولى ١٣٢١ هـ ، جـ ٤/ ١٧٩ ، ١٨٠ .
(٦) الفرق بين الفرق ، البغدادى ، ص ٤٢-٤٣ .
(٧) المروج ، جـ ٤/ ٥٣ .

(ب) فرق الخوارج :

الحَرورية :

هى تسمية الخوارج الأولين بعد اجتماعهم فى حَروراء ، فعندما وقع التحكيم بين علىٌّ ومعاوية، أمر علىٌّ بالرحيل ، ولَّما دخل الكوفة انحاز عنه اثنا عشر ألفاً من القرَّاء وغيرهم فلحقوا بحروراء - قرية من قرى الكوفة - وجعلوا عليهم شبيب بن ربعى التميمى ، وعلى صلواتهم عبد الله بن الكوَّاء اليشكرى من بكر بن وائل ، فخرج علىٌّ إليهم ، وكانت له معهم مناظرات ، فدخلوا جميعاً الكوفة، وإنما سُمُّوا الحرورية لاجتماعهم فى هذه القرية ، وانحيازهم إليها»[1] .

وقد افترقت الحرورية إلى عشرين فرقة ، «واتفقوا على إكفارهم عثمان وعلىًّا والخروج على الإمام الجائر وتكفير مرتكب الكبائر والبراءة من الحكمين وحكمهما والبراءة ممن صوَّب حكمهما أو رضى به»[2] .

كما اتفقوا على : «إكفار معاوية وناصريه ومقلِّديه ومحبيه ، فهذا ما اتفقت عليه الخوارج من الشُّراة والحَرورية ، ثم اختلفوا بعد ذلك فى مواضع من العبارة عن التوحيد والوعد والوعيد والإمامة وغير ذلك من آرائهم»[3] .

الخوارج :

«الخوارج : ج خارجى ، وهو كلُّ من خرج على سلطان أو رأى رأيًا مخالفاً ، وكلُّ من فاق جنسه ونظائره ، والخوارج : الحرورية ، والخارجيَّة : طائفة منهم لزمهم هذا الاسم لخروجهم عن الناس»[4] . وجاء فى التهذيب : الخوارج قوم من أهل الأهواء لهم مقالة على حدة»[5] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول خاصاً وآخر عاماً ، فالمدلول الخاص : فرقة من الفرق الإسلامية كانت مع الإمام على بن أبى طالب فى حربه ضد معاوية ، ثم خرجت عليه، وخالفته رأيه وحاربته ، ودبَّرت لقتله ، وقد نجحت فى ذلك ، ويشهد على هذا المدلول الخاص قوله : «واجتمعت الخوارج فى أربعة آلاف ، فبايعوا عبد الله بن وهب الراسبى ، ولحقوا بالمدائن وقتلوا عبد الله بن حباب عامل علىٌّ عليها»[6] .

---

(١) المروج ، جـ ٢/ ٤٠٥ .
(٢) الفرق بين الفرق ، البغدادى ، ص ٤٩-٥٠ .
(٣) المروج ، جـ ٣/ ١٤٥ .
(٤) المعجم الوسيط ، الجزء الأول ، مادة خرج ، ص ٢٣٢ .
(٥) اللسان ، المجلد الثانى ، مادة خرج ، ص ١١٢٦ .
(٦) المروج ، جـ ٢/ ٤١٥ .

وأما المدلول العام فهو : كلُّ من يخرج على السلطان ويخالفه ، ويشهد على هذا المدلول العام قوله : «وتخرَّم عليه المُلْك ، وتداعت أركانه ، وزحفت إليه الأعداء ، وكثرت عليه الخوارج ، وقد كان أزال أحكام الموبذان»[1] .

الصُّفَرية :

وهم فرقة من فرق الخوارج أتباع زياد بن الأصفر ، وقولهم فى الجملة كقول الأزارقة فى أنَّ أصحاب الذنوب مشركون ، غير أن الصُّفَرية لا يرون قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم ، ولم يُكفِّروا القَعَدة عن القتال إذا كانوا موافقين فى الدين والاعتقاد ، وقالوا : التقية جائزة فى القول دون العمل[2]. يقول عنهم المسعودى : «وفى هذا الصُّقْع من بلاد المغرب خَلْق من الصُّفَرية الخوارج ، لهم مدن ممدودة مثل مدينة ثرغية»[3] .

النَّجِدَات :

هم فرقة من فرق الخوارج أتباع نَجِدة بن عامر الحنفى ، وكان السبب فى رياسته وزعامته أنَّ نافع بن الأزرق لما أظهر البراءة من القَعَدة عنه بعد أن كانوا على رأيه ، وسمَّاهم مشركين واستحلَّ قتل أطفال مخالفيه ونسائهم ، وفارقه جماعة من أتباعه وذهبوا إلى اليمامة فاستقبلهم نَجِدة بن عامر فى جند من الخوارج يريدون اللحوق بعسكر نافع ، فأخبروهم بأحداث نافع وردّوهم إلى اليمامة وبايعوا بها نجدة ، وأكفروا من قال بإكفار القعدة منهم عن الهجرة إليهم ، وأكفروا من قال بإمامة نافع ، وأقاموا على إمامة نجدة إلى أن اختلفوا عليه فى أمور نقموها منه . ومن أقوالهم : ليس على الناس أن يتخذوا إماماً ، إنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم[4] . وقد ورد ذكرهم عند المسعودى فى قوله : «وقد أتينا على ذكرها وذكر من سمَّته الخوارج بأمير المؤمنين وخاطبته بالإمامة من الأزارقة والأباضية والحمزية والنجدات والخلفية والصُّفَرية وغيرهم من أنواع الحَرورية»[5] .

وفى موضع آخر يقول «ويوافق على هذا القول - جواز الإمامة فى قريش وفى غيرهم - جميع الخوارج من الأباضية وغيرهم ، إلا النجدات من فرق الخوارج ، فزعموا أنَّ الإمامة غير واجب نصبها»[6] .

---

(١) المروج ، جـ ١/ ٢٧١ .

(٢) الفرق بين الفرق ، البغدادى ، ص ٦١ الملل والنحل جـ ١/ ٢٥٠ .

(٣) المروج ، جـ ١/ ١٦٤ .

(٤) الفرق بين الفرق ٥٨ - ٥٩ ، الملل والنِّحَل ، ١/ ٢١٢ ، الفصل ٤/ ١٩٠ .

(٥) المروج ، جـ ٣/ ٢٠٣ .

(٦) المروج ، جـ ٣/ ٢٣٦ .

الحَمْزية :

«فرقة من فرق الخوارج صاحبها حمزة بن أدرك الذى عاش فى سجستان ، وهى قريبة من العجاردة فى المفاهيم وخاصة من الميمونية ، إذ لا تختلف معها إلا فى القليل من المسائل مثل مسألة أطفال مخالفيها من المسلمين والمشركين فإنها قالت : إنهم فى النار جميعاً ، وكانت الحمزية تقول بخلق الأفعال مثل المعتزلة ، وترى الخروج بالسيف على السلطان ، وكل من رضى بحكمه أو أعانه على الخوارج ، وكان حمزة يجوِّز وجود إمامين للمسلمين فى آن واحد مالم تجتمع الكلمة ، كما كان يرفض سورة يوسف»[1]. وقد ورد ذكر هذه الفرقة عند المسعودى ضمن فرق الخوارج ، وذلك فى قوله : «وقد أتينا على ذكرها وذكر كل من سمته الخوارج بأمير المؤمنين وخاطبته بالإمامة من الأزارقة والأباضية والحمزية والنجدات والخلفية والصُّفَرية ، وغيرهم من أنواع الحرورية»[2] .

الأزارقة :

هم أصحاب نافع بن الأزرق ، وهم فرقة غالية من فرق الخوارج ولم تكن للخوارج قط فرقة أكثر عدداً ولا أشد منهم شوكة ، ومن مبادئهم فى الدين أن مخالفيهم من أمة الإسلام مشركون ، وأن دار مخالفيهم دار كفر ، يجوز فيها قتل الأطفال والنساء ، وأنكرت الأزارقة الرجْم ، واستحلُّوا كفر الأمانة التى أمر الله تعالى بأدائها ، وقالوا : إن مخالفينا مشركون فلا يلزمنا أداء أمانتنا إليهم ، وقد بايعوا نافع بن الأزرق وسموه أمير المؤمنين ، وانضم إليهم خوارج عمان واليمامة ، فصاروا أكثر من عشرين ألفاً ، واستولوا على الأهواز وما وراءها من أرض فارس وكرمان وجبوا خراجها ، وكان عامل البصرة يومئذ عبد الله بن الحارث الخزاعى من قبل عبد الله بن الزبير ، فكلما أخرج إليهم جيشاً هزموه ، فكتب عبد الله بن الزبير من مكة إلى المهلَّب بن أبى صفرة وهو يومئذ بخراسان يأمره بحرب الأزارقة وولاَّه ذلك ، وظل المهلَّب يحاربهم هو وبنوه تسع عشرة سنة ، بعضها فى أيام عبد الله بن الزبير ، وباقيها فى زمان خلافة عبد الملك بن مروان وولاية الحجاج على العراق ، ولم يستطع المهلَّب التغلب عليهم إلا بعد ما وقع الخلاف بينهم ، وقد أبطلوا رجم من زنى ، وهو مُحْصَن ، وقطعوا يد السارق من المنكب، وأوجبوا على الحائض الصلاة والصيام فى حيضها[3] .

وقد قال عنهم المسعودى : «ونافع هو الذى تُنسب إليه الأزارقة من الخوارج»[4] .

---

(١) الفرق بين الفرق ٦٦ - ٦٧ ، الملل والنحل ١/١٢٩ .

(٢) المروج ، جـ ٣/٢٠٣ .

(٣) الفَرْق بين الفِرَق ، ٥٧ - ٥٨ ، الملل والنحل ١/٢٠٧ ، الفِصَل ٤/١٨٩ .

(٤) المروج ، جـ ٣/١٠٧ .

الإباضية :

فرقة من فرق الخوارج تُنسب إلى عبد الله بن إباض التميمى ، وقد افترقت فيما بينها فرقاً يجمعها القول بأن كفَّار هذه الأمة - يعنون بذلك مخالفيهم من المسلمين - بُرآء من الشرك والإيمان ، وأنهم ليسوا مؤمنين ولا مشركين ولكنهم كُفَّار ، وأجازوا شهادتهم ، وحرَّموا دماءهم فى السر ، واستحلّوها فى العلانية ، وصححوا مناكحتهم والتوارث عنهم ، وزعموا أنهم فى ذلك محاربون لله ولرسوله ولا يدينون دين الحق ، وقد افترقت الأباضية فيما بينهم أربع فرق ، وهى : الحفصية والحارثية واليزيدية ، وأصحاب طاعة لا يُراد الله بها»[1] .

يقول عنهم ابن حزم : رئيسهم رجل يُدَعى زيد بن أبى أبيسة . وهم عندنا بالأندلس يُحرِّمون طعام أهل الكتاب ويُحرِّمون أكل قضيب التيس والثور والكبش ، ويوجبون القضاء على من نام نهاراً فى رمضان فاحتلم ، ويتيممون وهم على الآبار التى يشربون منها[2] .

ويقول عنهم المسعودى : هم شُراة عمان من الأزد ، ويوافقون على أن الإمامة تجوز فى قريش وغيرهم من الناس[3] .

الخَلَفيَّة :

فرقة من فرق الخوارج تنتمى إلى خَلَف الخارجى ، وقد خالفوا الحمزية فى القول بالقضاء والقدر، وسلكوا فى ذلك مسلك أهل السنة ، فقالوا بأن الله يقدِّر الخير والشر على العباد ، ورفضوا قول الحمزية بأن الله لو عذَّب العباد على أفعال قدَّرها عليهم لكان ظالماً ، وخالفوا المأمونية أيضاً فى القول بالاختيار[4] . «ولا يرون القتال إلا مع إمام منهم ، وصارت الخَلَفية إلى قول الأزارقة فى شىء واحد ، وهو دعواهم أن أطفال مخالفيهم من المسلمين فى النار»[5] . وقد ورد ذكر الخلفية عند المسعودى فى مواضع منها : «وقد أتينا على ذكرها ، وذكر كل من سمَّته الخوارج بأمير المؤمنين وخاطبته بالإمامة من الأزارقة ، والأباضية والحمزية والنجدات ، والخلفية ، والصُّفرية ، وغيرهم من أنواع الحرورية»[6] .

---

(١) الفَرْق بين الفِرَق ، البغدادى ، ص ٧٠ ، الملل والنحل ١/ ٢٤٤ .

(٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ٤/ ١٨٩ .

(٣) المروج ، جـ ٣/ ١٠٨ ، ٢٣٦ .

(٤) الملل والنِّحل ، الشهرستانى ، جـ ١/ ١٧٤

(٥) الفرق بين الفرق ، للبغدادى ، ص ٦٥ .

(٦) المروج جـ ٣/ ٢٠٣ .

(جـ) الحَشَوية :

الحَشَوية : من الحشْو ، وحشْو الكلام : الفضل الذى لا خير فيه ، والحَشَوية هم طائفة تمسكوا بالظواهر ، وذهبوا إلى التجسيم[1] . وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلولين :

أحدهما : تسمية تحقيرية لصغار الفلاسفة ، وذلك فى قوله : «وقد رتبت الصابئة من الحرَّانيين - وهم عوام اليونانيين وحشوية الفلاسفة المتقدمين - الكهنة فى هياكلها مراتب على ترتيب هذه الأفلاك السبعة»[2] .

ثانيهما : الفضل من الكلام الذى لا خير فيه ، وذلك فى قوله : «وخبر إبليس معه والعنقود العنب ، وغير ذلك من خرافات حشوية عن أصحاب الحديث»[3] .

(د) الدَّهْرية :

هم الذين يقولون بقِدَم الدَّهر ، والدَّهْرية نسبة إلى الدَّهْرىّ - بفتح الدال - وهو الملحِد القائل ببقاء الدهر ، أى الذى يقول : «إن العالم موجود أزلاً وأبداً ولا صانع له ، والدُّهْرىُّ بضم الدال هو الذى طال عمره نسبة أيضاً إلى الدَّهر بفتح الدال على الشذوذ ، والدُّهْرية بالضم فرقة من الكفار ذهبوا إلى قِدَم الدَّهر وإسناد الحوادث إليه ، وقد عناهم القرآن الكريم بقوله حكاية عنهم : «وما يُهلكنا إلا الدَّهْر»[4] .

وقد ورد هذا اللفظ «الدَّهرىُّ» عند المسعودى يحمل مدلول : كل من يؤمن بقدم الدَّهر ويسند الحوادث إليه ، وينكر وجود إله لهذا الكون ، وذلك فى قوله : «وقد كان ببغداد رجل فى أيام هارون الرشيد متطبِّب يطبِّب العامة بصفاته، وكان دهرياً يُظهر أنه من أهل السنة والجماعة ويلعن أهل البِدَع ، ويُعرف بالسُّنّى تنقاد إليه العامة»[5] .

(هـ) المُرْجِئَة :

هم طائفة من المتكلِّمين ، انقسمت إلى ثلاثة أصناف :

صنف منهم قالوا بالإرجاء فى الإيمان ، وبالقَدَر على مذاهب القَدَرية المعتزلة ، وصنف منهم قالوا : بالإرجاء بالإيمان والجَبْر فى الأعمال على مذهب جهم بن صفوان ، والصنف الثالث منهم

(١) المعجم الوسيط ، ج ١ / مادة حشو / ١٨٤ .
(٢) المروج ، جـ ١/ ٩٥ .
(٣) المروج ، جـ ١/ ١٢٣ .
(٤) مفاتيح العلوم ، الخوارزمى ، ص ٢٥ .
(٥) المروج ، جـ ٣/ ٤٣ .

خارجون عن الجبرية والقُدْرة ، وهم فيما بينهم خمس فرق : اليونسية والغسَّانية ، والثوبانية ، والتومنية ، والمريسية ، وإنما سُمّيت هذه الطائفة مُرْجِئة : من الإرجاء بمعنى التأخير ، لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد ، أو لأنهم كانوا يؤخرون حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة . ومن الإرجاء بمعنى إعطاء الرجاء ؛ لأنهم كانوا يقولون لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة[1] . قال عنهم المسعودى : «وذهب أبو حنيفة وأكثر المُرجئة ، وأكثر الزيدية من الجارودية وغيرها ، وسائر فرق الشيعة إلى أن الإمامة لا تجوز إلا فى قريش فقط»[2] .

(و) الخُرَّمية :

هؤلاء صنفان : صنف منهم كانوا قبل الإسلام ، كالمزدكية الذين استباحوا المُحَرَّمات وزعموا أنَّ الناس شركاء فى الأموال والنساء ، وقد قتلهم أنوشروان فى زمانه .

والصنف الثانى : الخرمدينية ، ظهروا فى دولة الإسلام ، وهم فريقان : بابكية ، ومازيَّارية .

فالبابكية منهم : أتباع بابك الخُرَّمى الذين ظهروا فى ناحية أذربيجان وكثر بها أتباعه ، واستباحوا المُحرَّمات ، وقتلوا الكثير من المسلمين ، وجهَّز إليه خلفاء بنى العباس جيوشاً كثيرة حتى قضوا عليه.

وأما المازيَّارية منهم فهم أتباع مازيَّار بن قارن دخل فى الإسلام وتَسمَّى محمداً وأظهر الإسلام وأضمر خلافه»[3] . ويقول المسعودى عنهم : «الخُرَّمية ، وهى الطائفة التى تُدعى بالمَسْلمية القائلون بأبى مسلم وإمامته ، وقد تنازعوا فى ذلك بعد وفاته ، فمنهم من رأى أنه لم يمت ولن يموت حتى يظهر فيملأ الأرض عدلاً ، وفرقة قطعت بموته وقالت بإمامة ابنته فاطمة ، وهؤلاء يُدْعَون الفاطمية ، وأكثر الخُرَّمية فى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - الكردكية واللودشاهية ، وهاتان الفرقتان أعظم الخُرَّمية ، ومنهم كان بابك الخُرَّمى الذى خرج على المأمون والمعتصم»[4] .

(ز) المُعْتَزِلَة :

أصحاب مذهب من مذاهب المسلمين ، زعموا أنهم اعتزلوا فتنْ الضلالة - أى أهل السنة والخوارج - ، وقيل سُمُّوا بالمعتزلة لأن الحسن البصرى المُتوفَّى سنة ١١٠ هـ سمَّاهم به لَمَّا اعتزله

(١) الفرق بين الفرق ، البغدادى ، ص ١٥١ ، الملل والنحل جـ ١/ ٢٥٧ - ٢٥٨ .
(٢) المروج ، جـ ٣/ ٢٣٧ .
(٣) الفرق بين الفرق ، البغدادى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٥ ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .
(٤) المروج جـ ٣/ ٣٠٥ - ٣٠٦ .

واصل بن عطاء المُتوفَّى سنة ١٣١ هـ وأصحابه إلى إسطوانة من إسطوانات المسجد فى البصرة ، وشرع يقرِّر القول بالمنزلة بين المنزلتين ، وأنَّ صاحب الكبيرة لا مؤمن مطلقاً ولا كافر مطلقاً بل هو بين المنزلتين ، فقال الحسن البصرى : اعتزل عنا واصل ، ويتسمون بأصحاب العدل والتوحيد ويلقَّبون بالقدرية والعدلية ، وهم ست فرق هى : الحسينية والهذيلية والنظامية ، والمعمرية والبشرية والجاحظية[١] .

وفى هذا الصدد يقول المسعودى : «وبهذا الباب سميت المعتزلة ، وهو الاعتزال ، وهو الموصوف بالأسماء والأحكام مع ما تقدم من الوعيد فى الفاسق من الخلود فى النار»[٢] .

وبخصوص الأصول الخمسة عند المعتزلة يقول المسعودى : «ومن اعتقد هذه الأصول الخمسة كان معتزلياً ، فإن اعتقد الأكثر أو الأقل لم يستحق اسم الاعتزال ، فلا يستحقه إلا باعتقاد هذه الأصول الخمسة»[٣] .

(٢) الفرق الدينية غير الإسلامية :

الثَّنَوِيَّة :

هى المانيَّة التى تذهب إلى القول بإلهين اثنين ، إله الخير وإله الشر ، وترمز لهما بالنور والظلمة[٤] . وقد ورد ذكر هذا اللفظ عند المسعودى حاملاً هذا المدلول ، وذلك فى قوله : «وللهند آراء ونحل حدثت عن مذاهب الثنوية وأهل الدهر ، فتغيرت أحوالهم ، وبحثوا ، وتناظروا إلا أنهم ينقادون فى جميع أحكامهم إلى ما نُصِب لهم من الشرائع المقدَّمة»[٥] .

الصَّابِئة :

هم كلُّ من يترك دينه ويدين بآخر ، أو هم قومٌ يعبدون الكواكب ويزعمون أنهم على مِلّة نوح، وقبلتهم مهبُّ الشمال عند منتصف النهار ، ويقول عنهم صاحب اللسان : إنَّ قبلتهم نحو مهبِّ الجنوب . وليس نحو مهبِّ الشمال كما فى المعجم الوسيط[٦] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : «القوم الذين يعبدون الكواكب ،

---

(١) مفاتيح العلوم ، ١٨ - ١٩ ، الفصل ٤/ ١٩٢ ، الملل والنحل ١/ ٦١ .
(٢) المروج ، جـ ٣/ ٢٣٥ . (٣) المروج ، جـ ٣/ ٢٣٥ .
(٤) الفهرست ، لابن النديم ، تحقيق جوستاف فلوجل ، مكتبة خياط ، بيروت ١٨٧٢ م ، جـ ١/ ٣١٩ .
(٥) المروج ١/ ١٣٦ .
(٦) اللسان : صبأ ٤/ ٢٣٨٥ ، المعجم الوسيط ١/ ٥٢٤ .

ويدَّعون أنهم على دين نوح ، ولهم بيوت وهياكل يعظِّمونها كالنصارى» ، وذلك فى قول المسعودى:

وقد حكى رجل من ملكية النصارى من أهل حرَّان يُعرف بالحارث بن سنباط للصابئة الحرَّانيين أشياء ذكرها من قرابين يقربونها من الحيوان ودُخُن للكواكب يبخرون بها»[1] .

المَرْقَيونية :

هم أصحاب مَرْقَيون ، وهم ثنوية ، يقولون بثلاثة أصول : الإله الخيِّر ، والخالق ، والمادة ، فإن الخالق وهو عادل قوى يخلق الكون من المادة وهى شرٌّ بذاتها، فمن ذلك ينتج مزيج من الخير والشر، كما أنهم لا يقبلون جميع أسفار العهدين ، وقد تكاثر المرقيونيون وانتشر مذهبهم فى إيران[2] .

يقول عنهم ابن النديم : «وهم قبل الديصانية ، وهم طائفة من النصارى ، خليط من المنانية والديصانية ، وزعمت المرقيونية أن الأصلين القديمين هما النور والظلمة وإن هاهنا كوناً ثالثاً مزجهما وخالطهما، وقالت بتنزيه الله عز وجل عن الشرور، وأنَّ خلق جميع الأشياء كلها لا يخلو من ضرر، وهو مُجَلٌّ عن ذلك ، واختلفوا فى الكون الثالث ما هو : فقالت منهم طائفة هو الحياة وهو عيسى، وزعمت طائفة أن عيسى رسول ذلك الكون الثالث ، وهو الصانع للأشياء بأمره وقدرته ، إلا أنهم أجمعوا على أن العالم محدث ، وأن الصنعة بيِّنة فيه لا يشكُّون فى ذلك ، وللمرقيونية كتاب يختصون به ، ولمرقيون كتاب إنجيل ، وهم يتسترون بالنصرانية ، وهم بخراسان كثير وأمرهم ظاهر كظهور المنانية»[3] .

وقد ورد ذكر هذه الطائفة فى كتاب المسعودى ، وذلك فى قوله : «وإن كان مانى حدث بعد مضى السيد عيسى بن مريم عليه السلام ، وكذلك ابن ديصان ومرقيون ، وإلى مانى أُضيفت المانية ، وإلى مرقيون أُضيفت المرقيونية»[4] .

السُّمَنية :

السُّمَنية : قوم من أهل الهند دهريون ، قال الجوهرى : السُّمَنية بضم السين وفتح الميم : فرقة من عبدة الأصنام ، تقول بالتناسخ وتنكر وقوع العلم بالأخبار»[5] .

---

(١) المروج ٢/٢٤٧ .
(٢) الفصَل ٣/٦٤٣ ، الفَرْق بين الفِرَق ٢٠٢ .
(٣) الفهرست ، لابن النديم ، جـ ١/٣٣٩ .
(٤) المروج ، جـ ١/٩٦ .
(٥) اللسان ، مجلد ٣ / مادة سمن / ٢١٠٥ .

وقال عنهم ابن النديم : «السُّمَنية ديانة أهل الصين، وهي تشبه عبادة الأوثان عند عرب الجاهلية، ونبيهم يُدعى بوداسف ، واعتنق هذه الديانة أكثر أهل ما وراء النهر قبل الإسلام ، ولفظ السُّمَنية منسوب إلى سُمَنى ، وهم أسخى أهل الأرض والأديان ، وذلك أن نبيهم بوداسف أعلمهم أن أعظم الأمور التى لا تحل ولا يسع الإنسان أن يعتقدها ولا يفعلها قول : «لا» فى الأمور كلها ، فهم على ذلك قولاً وفعلاً ، وقول : «لا» عندهم من فعل الشيطان ومذهبهم دفع الشيطان»[1] .

وقال عنهم البغدادى : «وقد قال السُّمَنية بقدم العالم وأبطلوا النظر والاستدلال ، وزعموا أنه لا معلوم إلا من جهة الحواس الخمس ، وأنكروا المعاد والبعث بعد الموت ، وقد قال فريق منهم بتناسخ الأرواح فى الصور المختلفة ، وأجازوا أن يُنقل روح الإنسان إلى كلب ، وروح الكلب إلى إنسان»[2].

وقال عنهم المسعودى : «وهى ملَّة تُدَعى السُّمَنية عباداتهم نحو من عبادات قريش قبل مجئ الإسلام يعبدون الصور ، ويتوجَّهون نحوها بالصلوات ، واللبيب منهم يقصد بصلاته الخالق ويقيم التماثيل من الأصنام والصور مقام قبلة»[3] .

الكِيْمارِيُّون :

الكيومرتية : نسبة إلى كيومرت وهو مبدأ النسل عندهم كآدم عند غيرهم ، وهؤلاء أثبتوا إلهاً قديماً وسموه يزدان ومعناه النور ، يعنون به الله تعالى ، وإلهاً مخلوقاً سموه أهرمن ، ومعناه الظلمة يعنون به إبليس ، وقاعدة مذهبهم تعظيم النور والتحرز من الظلمة ، ومن هنا انجرُّوا إلى النار فعبدوها لما اشتملت عليه من النور[4] . يقوَل عنهم المسعودى : وهذا النوع من الصابئة مباينون للحرَّانيين فى نحلتهم ، وديارهم بين بلاد واسط والبصرة من أرض العراق ، نحو البطائح والآجام»[5] .

المانيَّة - المنَّائية - المنَّانية :

هم الزنادقة أصحاب مانى بن فاتك الذين يذهبون إلى القول بإلهين اثنين ، إله الخير ، وإله الشر، ويرمزون لهما بالنور والظلام[6] . وقد ورد ذكر هذا المذهب عند المسعودى وذلك فى قوله : «وصار الهند على آرائهم من اعتقادهم مذاهب المانية والقول بالنور والظلمة ، وقد كانوا جاهلية سبيلهم فى الاعتقاد سبيل الترك إلى أن وقع لهم شيطان من شياطين المانية ، فزخرف لهم كلاماً يريهم

(١) الفهرست ، لابن النديم ، جـ ١/ ٣٤٥ .
(٢) الفرق بين الفرق ، البغدادى ، ص ٢٠٣ .
(٣) المروج ، جـ ١/ ١٣٦ .
(٤) صبح الأعشى جـ ١٣/ ٢٩٢ .
(٥) المروج ، جـ ١/ ٢٢٣ .
(٦) الفِصَل ٣/ ٦١٩ - ٦٢٠ .

فيه تضاد ما فى هذا العالم وتباينه من موت وحياة ، وصحة وسقم ، وضياء ، وظلام . . . الخ»[1] .

المجوس :

هم الذين دانوا بدين زرادشت ، «وهو أول من عبد النار واسمه الأصلى أبستمان وهو من نسل منوجهر وتلميذ أقلادوس الحكيم ، وأقلادوس تلميذ فيثاغورث أخذ عنه العلم ، ثم انزوى نحو جبل فى جزيرة سيلان فى جنوبى الهند ، وأخذ يشتغل بالرياضة مدة من الزمن ألف فى أثنائها كتابه المسمى «زند» ، وبعد مضى ثلاثين سنة من سلطنة كشتاسب - ولقبه الهربذ - أى عابد النار ، خرج زرداشت من دائرة انزوائه ولبس دُرَّاعة بيضاء وأخذ على كتفيه رداء عبدة النار ، وجاء عند كشتاسب مُدَّعياً النبوَّة ، فطالبه بمعجزة تُصدِّق مدعاه فزعم أنَّ النار لا تؤثر فيه ، وكان قد دهن بدنه بمادة تمنع من وصول النار إليه فألقى نفسه فى النار فلم تؤثر فيه ، فصدَّقه كشتاسب ، وآمن به ، ودعا الناس إلى عبادة النار فأجابوه ، وبيَّن لهم إلهين : أحدهما إله الخير والثانى إله الشر إلى آخر ما ادَّعاه ، ومات قبل زمن المسيح بألف وسبعين سنة»[2] .

وقد ورد ذكرهم فى المروج فى إطار الرد على آرائهم ، ومن ذلك : «وقد زعمت المجوس أنَّ آدم لم يخالف فى النكاح بين البطون ، ولم يتحرَّ المخالفة ، ولهم فىَ هذا المعنى سرٌّ يدَّعون فيه الفضل فى صلاح الحال بتزويج الأخ من أخيه والأم من ابنها»[3] .

وفى موضع آخر يقول المسعودى : «وذلك أن ناراً ظهرت فى العرب ، فافتتنوا بها ، وكانت تنتقل ، وكادت العرب تتمجَّس ، وتغلب عليها المجوسية»[4] .

الزنادقة :

وهم المانوية ، وكانت المزدكية يسمون بذلك ، ومزدك هو الذى ظهر فى أيام قباذ ، وكان موبذان موبذ ، أى قاضى القضاة للمجوس ، وزعم أن الأموال والحُرَم مشتركة ، وأظهر كتاباً سمَّاه زند ، وزعم أنَّ فيه تأويل الأبستا ، وهو كتاب المجوس ، الذى جاء به زرادشت الذى يزعمون أنه نبيهم فنُسب أصحاب مزدك إلى زند فقيل زندى وأعربت الكلمة فقيل للواحد زنديق وللجماعة زنادقة»[5] .

---

(١) المروج ١/١٣٦ - ١٣٧

(٢) مفاتيح العلوم ، الخوارزمى ، ص ٦٢ .

(٣) المروج ، جـ ١/ ٣٥ .

(٤) المروج ، جـ ١/ ٦٧ ٦٨

(٥) مفاتيح العلوم ، الخوارزمى ، ص ٢٥ .

وفى هذا الصدد يقـول المسعـودى : «إن الفرس حين أتاهم زرادشت بكتابهـم المعروف بالبسـتاه باللغة الأولى من الفارسية ، وعمل له التفسير ، وهو الزند وعمل لهذا التفسير شرحاً سمَّاه البازند ، وكان الزند بيـاناً لتأويل المتـقدم المُنزَل ، وكان مَنْ أورد فى شـريعتهم شـيئاً بـخلاف المُنْزَل الذى هو البستاه، وعدل إلى التأويل الذى هو الزند ، قالوا : هذا زندى ، فأضافوه إلى التأويل ، وأنه منحرف عن الظواهر من المنزل إلى تأويل هو بخـلاف التنزيل ، فلما أن جاءت العـرب أخذت هذا المعنى من الفرس وقالوا : زنديق ، وعرَّبوه ، والثنوية هم الزنادقة ، ولحق بهؤلاء سائر من اعتقد القدم ، وأبى حدوث العالم»[1] .

اليعقوبية - اليعاقبة :

فرقة من فرق النصـرانية تُنْسب إلى يعقوب البراذعى وكان راهباً بالقـسطنطينية ، ومن أقوالهم : إن المسيح هو الله تعالى نفـسه ، وأن الله تعالى عن عظيم كفرهم مـات وصُلِب وقُتِل وأن العالم بقى ثلاثة أيام بلا مُدبِّر[2] . قـال عنهم المسعـودى : «ومطران اليعـاقـبة بتكريت بين الموصل وبغـداد ، وكرسى اليعاقبة رسمه أن يكون بمدينة أنطاكية ، وكذلك لهم كرسى بمصر ، ولا أعلم لهم غير هذين الكرسيين ، وهما مصر وأنطاكية»[3] .

النُّسْطُورية :

فرقة من فـرق النصارى تتبع نُسْطوريوس البطرك، يتلخَّص مـذهبهم فى أن عيسى إنـسان يحمل إلهاً، فله إذن الطبيعة البشرية والطبيعـة الإلهية ، وكان نسطوريوس بطرك القسطنطينية وصاحب هرتقة النسطورية ، وكان أحدث رأياً فنفاه سنودس أفسيس عن مملكة الروم إلى الصعيد ، وتغلب هذه الفرقة على الموصل والعراق[4] . يقول عنها المسعودى : «والمشارقة من النصارى أضيفوا إلى نُسْطورس لأنهم اتبعوه ، وقالوا بقوله ، وإنما وسمتهم الملكية بهذا الاسم لتعيرهم وتعييبهم بذلك ، وقد كانت المشارقة بالحيرة وغـيرها من المشرق تُدعى بالعُبَّـاد ، وسائر نصارى المشرق يأبون هذه الإضـافة إلى نسطورس ويكرهون أن يُقال لهم نسطورية»[5] .

---

(١) المروج ، جـ ١/ ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٢) الملل والنِّحل ١/ ٢٢٥ - ٢٢٨ ، الفِصَل لابن حزم ١/ ٤٩ .

(٣) المروج جـ ١/ ٣٢٥ .

(٤) مفاتيح العلوم ، ص ٢٣ ، وصبح الأعشى ، جـ ١٣/ ٢٨٠ ، الملل والنحل ١/ ٢٢٤ - ٢٢٥ ، الفصل ١/ ٤٩ .

(٥) المروج ، جـ ١/ ٣٢٤ .

الفصل السادس

الألفاظ المتعلِّقة بالجوائز والعقوبات

أولاً : الألفاظ المتعلِّقة بجوائز الحُكَّام

البَدْرة : جاء فى اللسان : البَدْرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم ، سُمِّيت بِبَدْرة السخلة، والجمع : البدور والبدرات[1] . وفى المعجم الوسيط : «البَدْرة : كيس فيه مقدار من المال يُتعامل به ويُقدَّم فى العطايا ، ويختلف باختلاف العهود»[2] . وفى أساس البلاغة : «وفلان يَهَب البُدُور ، ويُنْهِبُ البُدُور ، فالبدور الأولى هى البِدَر[3] ، والثانية جمع بَدْر ، كناية عن النساء الجميلات ، وفى القاموس المحيط : «وبدور وبِدَر : كيس فيه عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار[4] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول :

«كيس من الجلد يحتوى على قدر من المال يقدِّمه الخلفاء كعطايا» ، ويؤكد ذلك قوله : «فلما فرغ آكله أمر بتلك القِدْر ففرغت وغُسلت بين يديه ، وأمر أن تُملأ دراهم ، فجئ ببدرة ففرغت فيها»[5] .

ويرجع السبب فى إطلاق هذا الاسم على البَدْرة إلى أنها فى الأصل تعنى : جِلْد السَّخْلة المفطومة يُتَّخذ وعاءً للَّبن ، ثم من هذا الجلد نفسه كان يعمل كيس به مقدار من المال كان يُتعامل به ، ويُقدَّم فى العطايا ، ويختلف مقدار ما يحتويه باختلاف العهود ، والجمع : بدور وبِدَر ، وفى مقامات بديع الزمان : «وتيجانٌ مُرَصَّعة وبِدَر مُجمَّعة» ، وقال الأعشى يمدح هوذة بن على :

---

(١) اللسان ، المجلد الأول ، مادة بدر ، ص ٢٢٩ .

(٢) المعجم الوسيط ، الجزء الأول ، مادة بدر ، ص ٤٤ .

(٣) أساس البلاغة ، جـ١ / مادة بدر / ص ٣٦ .

(٤) القاموس المحيط ١/٣٦٦ .

(٥) المروج ٤/٩٩ .

وما مُزْبدٌ مـــن خليج الفـــرا ت يغشى الآكامَ ويعلو الجسورا

بأجودَ منه بمـــــا عنـــــده فيعطى المئين ويُعطى البـدورا[1]

الهبات : جاء فى اللسان : الهبة : العطية الخالية عن الأعواض والأغراض ، فإذا كثرت سُمِّى صاحبها وهَّابًا وهو من أبنية المبالغة ، وكل ما وُهب لك من ولد وغيره فهو موهوب»[2] .

وقد وردت هذه اللفظة عند المسعودى تحمل مدلول : كل ما يُقدِّمه الخليفة من مال وغيره لفئة من الناس ، وذلك فى قوله : «ويُقال : إنه أنفق على الهاونى والجوسق والجعفرى أكثر من مائة ألف ألف درهم ، هذا مع كثرة الموالى والجند والشاكرية ودرور العطاء لهم وجليل ما كانوا يقبضونه فى كل شهر من الجوائز والهبات»[3] .

الخِلَع : فى اللسان : الخُلْعة : خيار المال ، يقول جرير :

من شاء بايعتُه مالى وخُلْعَتَـــــه ما تَكْمُل التَّيمُ فى ديوانهم سَطَرا

وخُلعة المـال وخِلْعته : خـياره ، قـال أبو سعيـد : وسُمِّى خـيار المال خُلْعة وخِلْعـة - بالضمِّ والكسر - لأنه يخلع قلب الناظر إليه»[4] . وفى القاموس المحيط : «الخِلْعَـة بالكسر : ما يُخلع على الإنسان وخِيار المال ، ويضمّ»[5] .

وفى أساس البلاغة : «وخَلَع عليه إذا نزع ثوبه وطرحه عليه ، وكسا الخِلْعة والخِلَع[6] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كـتاب المسعودى تحـمل مدلول : «خيـار المال الذى يُكافِئ به الحاكم أحد رعيته لسبب أو لآخر» .

ويؤكد ذلك قوله : «وقـد كان إسماعيل أسـرع فى بيوت الأموال وأسرف فى النفـقات والجوائز والخِلَع والعطايا ، وأمدَّ العرب وأجزل لهم الأنزال والأرزاق»[7] .

الجائزة : جاء فى اللسـان : «الجائزة : العطيَّـة ، وأصله أنَّ أميرًا وَاقَفَ عـدوًّا وبينهمـا نهر ، فقـال: مَنْ جَازَ هذا النهر فله كـذا ، فكلما جاز منهم واحـد أخذ الجائزة ، فـأصل الجائزة أن يعطى

(١) المعجم الكبير : بدر ٢/١٣٧ .
(٢) اللسان ، مجـ ٦ / مادة وهب / ص ٤٨٢٩ .
(٣) المروج جـ ٤ / ١٢٢ .
(٤) اللسان ، مجـ ٢ / مادة خلع / ص ١٣٣٤ .
(٥) القاموس المحيط ، فصل الخاء ، باب العين ، جـ ٢ ، ص ١٨ .
(٦) أساس البلاغة ، جـ ٣ ، مادة خلع ، ص ٢٤٦ .
(٧) مروج الذهب ، جـ٤ / ٢٢٨ .

الرجلُ الرجُلَ ماءً ويجيزه ليذهب لوجهه ، فيقول الرجل إذا ورد ماءً ليقيِّم الماء : أجزنى ماءً ، أى : أعطنى ماءً حتى أذهب لوجهى وأجوز عنك ، ثم كثُر هذا حتى سَمُّوا العطية جائزة .

ويقول الجوهرى : أجازه بجائزة سَنِيَّة أى بعطاء ، ويُقال : أصل الجوائز أنَّ قَطَن بن عبد عوف من بنى هلال بن عامر بن صعصعة وَلِّى فارس لعبد الله بن عامر ، فمرَّ به الأحنف فى جيشه غازيًا إلى خراسان ، فوقف لهم على قنطرة فقال : أجيزوهم فجعل ينسب الرجل فيعطيه على قدر حَسَبِه .

وقال الشاعر : هم سَنُّوا الجوائز فى معدٍّ فصارت سُنَّة أخرى الليالى

ومنه حديث العباس رضي الله عنه : ألا أمنحك ؟ ألا أجيزك ؟ أى أعطيك ، والأصل الأول ، فاستُعير لكل عطاء[1] . وجاء فى المعجم الوسيط : الجائزة : مقدار الماء الذى يجوز به المسافر من منهل إلى منهل ، وهى الشربة الواحدة من الماء ، وهى العطية ، والجمع : جوائز[2] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : «العطاء الذى يقدِّمه الخليفة لأحد رعيته مكافأة له عن عمل أو قول أعجبه» ، وذلك فى قوله : «فتعجَّب المأمون من كرم ذلك الرجل ، وأطلق الطفيلى ، وأجازه بجائزة حسنة»[3] .

الصَّفَد : الصَّفَد والصَّفْد : العطاء والقَيْد ، وأصفدتُه إصفادًا : أعطيته مالا أو وهبْتُ له عبدا ووصلْتُه ، وصفَّدتُه : قيَّدتُه ، والجمع للاثنين : أصفاد ، ويقول الأعشى فى العطية يمدح رجلاً :

تضيَّفته يومًا فقرَّب مقعدى وأصفدنى على الزمانة قائدا

يريد وهب لى قائدًا يقودنى ، ويقول النابغة : فلم أعرِّض - أبيت اللعن - بالصَّفَد . يقول : لم أمدحك لتعطينى[4] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : العطاء ، وذلك فى قوله : «ماكنَّا لنهدى إلى الملك هدية هى أنفس عندى ، ولا هو عليها أحسن صَفَدًا من ابن أخته»[5] .

(١) اللسان ، مجلد ١ / مادة جوز / ص ٧٢٥ .
(٢) المعجم الوسيط ، جـ١ / مادة جوز / ص ١٥٢ .
(٣) مروج الذهب ، جـ٤ / ١٤ .
(٤) اللسان : صفد ٤/٢٤٥٧ ، ٢٤٥٨ ، المعجم الوسيط ١/٥٣٦ .
(٥) المروج ٢/ ٩٢ ، ٩٣ .

المكافأة : كافأه . جازاه بصنعه ، وساواه ومانله ، والمكافأة . المماثلة ، والمجازاة»[1] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول «المجازاة على الصنع والعطاء» ، وذلك فى قوله : «.. أنا أكفيك أمره حتى ينصرف عنك إلى أمير المؤمنين غير شاكٍ ولا لائمٍ ، فسُرَّ بشر ، ووعده بالجائزة . وحسن المكافأة إن هو تأتى له ما وعد به»[2] .

المِكْتَل : المكْتل : الزِّبيل أو الزِّنبيل يُعمل من الخوص يُحمل فيه التمر أو العنب ؛ وقيل شبه الزِّبيل يسع خمسة عشر صاعًا ، والجمع : مكاتل . وسُمِّى مِكْتلاً لأنَّ فيه قطَعًا مجتمعة من التمر كأنها الكُتَل»[3] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول . «وعاء من خوص يُملأ دنانير يقدِّمه الخليفة لاحد الشعراء الذين أجادوا فى مجلسه كجائزة أو مكافأة له» ، وذلك فى قوله : «فقال له الهادى: لك السيف والمِكْتل فخذهما ، ففرَّق المِكْتل على الشعراء» ، وقال : دخلتم معى وحُرمتم من أجلى ، وفى السيف عوض ، ثم بعث إليه الهادى فاشترى السيف منه بخمسين ألفًا»[4] .

العطايا : جاء فى اللسان : «العطاء : نَوْل للرجل السمح ، والعطاء والعطية اسم لما يُعطى ، والجمع عطايا وأعطية وأعطيات جمع الجمع ، وقال سيبويه : لم يُكسَّر على فُعُل كراهية الإعلال ، ومن قال : أُزُرُ لم يقل : عُطُىٌ لأن الأصل عندهم الحركة . ويُقال إنه لجزيل العطاء ، وهو اسم جامع ، فإذا أُفرد قيل : العطية ، وجمعها : العطايا ، وأما الأعطية فهو جمع العطاء . يقال : ثلاثة أعطية . ثم أعطيات جمع الجمع ، وأعطاه مالا ، والاسم العطاء وأصله عطاو بالواو ؛ لأنه من عطوت»[5] . وجاء فى المعجم الوسيط : «العطية : العطاء ج عطايا ، وأعطيات الملوك : هباتهم ، وأعطيات الجند : أرزاقهم ، أى ما يُرتَّب لهم من مال»[6] .

وقد وردت لفظة العطاء فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : رواتب الجُنْد . وذلك فى قوله : «وأعطى الجند وأمر كل من قبض رزقه أن يلعنه ، فكان الرجل يقبض ويلعن الرأس ، فقبض بعض العجم عطاءه ، فقيل له : العن هذا الرأس»[7] .

كما وردت لفظة الأعطية تحمل أيضًا مدلول : أرزاق الجند ورواتبهم

---

(١) اللسان : كفأ ٥/ ٣٧٩٤ ، القاموس المحيط ١/ ٣٦ .

(٢) المروج ٣/ ١١٨ .

(٣) اللسان : كتل ٥/ ٣٧٢٢ ، المعجم الوسيط ٢/ ٨٠٧ .

(٤) المروج : ٣/ ٣٤٦

(٥) اللسان : المجلد الرابع : مادة عطا ص ٣

(٦) المعجم الوسيط ، جـ ٢ / مادة عطو / ص ٦٣٢ .

(٧) المروج ، جـ٣ / ٤٢٣ .

وذلك فى قول المسعودى : «وذكر سعيد بن نكيس قال : كنت واقفًا بين يدى المتوكل فى مضربه بدمشق إذ شَغَب الجُنْد واجتمعوا وضجُّوا يطلبون الأعطية»[1] .

وقد وردت لفظة العطايا فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : كل ما يهبه الحاكم لبعض الرعية من مال أو غيره» ، وذلك فى قوله : «وقد كان إسماعيل أسرع فى بيوت الأموال ، وأسرف فى النفقات والجوائز والخُلَع والعطايا ، وأمدَّ العرب وأجزل لهم الأنزال والأرزاق»[2] . وقد استخدم المسعودى : العطاء وجمعها الأعطية بمعنى أرزاق الجند . واستخدم : العطيَّة وجمعها العطايا بمعنى هبة الحاكم .

ومن هنا يمكننا القول بأن المسعودى خصص دلالة هذين اللفظين : «العطاء - العطية» بحيث تنحصر فى رواتب الجند للفظة الأولى وهبة الحاكم للفظة الثانية ، فى حين أن مدلولهما فى المعجم يتسع ليشمل كل ما يُعطى .

الطَّوْق : جاء فى اللسان : الطَّوْق : حَلْىٌ يُجعل فى العنق ، وكل شىء استدار فهو طوق ، كطوق الرحى الذى يدير القطب ونحو ذلك ، والطوق : واحد الأطواق ، وقيل : الطوق ما استدار بالشىء[3] . وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول :

الحَلْى الذى يُجعل فى العنق على سبيل الهبة والمنحة من الخليفة ، ويؤكد ذلك قول المسعودى : «ثم خَلَع المعتضد على الحسين بن حمدان خِلَعًا شرَّفه بها ، وطوَّقه بطوق من ذهب»[4] .

الصِّلة والصِّلات : جاء فى اللسان : «الوصل ضد الهِجْرَان ، وقال ابن سيده : الوصل خلاف الفصل ، والتواصل : ضد التصارم ، ووصله : إذا أعطاه مالاً ، والصلة : الجائزة والعطية»[5] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل المدلول السابق : الجائزة أو العطية تُقدَّم فى صورة مال أو غيره ، وقد وردت فى صورتى المفرد والجمع .

= المفرد : فى قوله : «ولم يكن ينصرف عنه - يقصد الراضى - أحد من ندمائه فى كل يوم إلا بصلة أو خُلْعة أو طيب»[6] .

= الجمع : فى قوله : «وفرَّق فيها أموالاً ، وعمَّ الناس بالجوائز والصلات وتكلَّمت فى ذلك الخطباء»[7] .

---

(١) المروج ، جـ ٤ / ١١٥ .
(٢) المروج ، جـ ٤ / ٢٢٨ .
(٣) اللسان ، مجلد ٤ / مادة طوق / ص ٢٧٢٤ .
(٤) المروج ، جـ ٤ / ٢٥٥ .
(٥) اللسان ، مجلد ٦ / مادة وصل / ص ٤٨٥١ .
(٦) المروج ، جـ٤ / ٣٣٦ .
(٧) المروج ، جـ ٤ / ١٣٦ .

وفى موضع آخر يقول المسعودى : «ولما عزم بُغَا الصغير على قتل المتوكل ، دعا بباغر التركى ، وكان قد اصطنعه واتخذه وملأ عينه من الصِّلات وكان مقدامًا أهوج»[1] .

الأرزاق : جاء فى اللسان : «الرِّزْق : العطاء ، وهو مصدر قولك : رزقه الله ، وأرزاق الجند: أطماعهم ، وقد ارتزقوا ، والرَّزْقَة بالفتح : المرَّة الواحدة ، والجمع الرَّزقات وهى أطماع الجند ، وارتزق الجند ، أخذوا أرزاقهم[2] . وجاء فى المعجم الوسيط : «الرَّزْق بالفتح : مصدر ، وبالكسر : اسم الشىء المرزوق ، وهو كل ما يُنتفع به ، ويجوز أن يوضع كل منهما موضع الآخر ، وهو كل ما ينتفع به مما يُؤكل أو يُلبس ، وهو المطر ، والعطاء الجارى[3] . نخلص مما سبق إلى أنَّ لفظة الرِّزق - بفتح الراء أو كسرها انحصر مدلولها فى المعاجم فى : العطاء ، أطماع الجند ، المطر ، كل ما يُنتفع به . وقد ضيَّق المسعودى دلالة هذا اللفظ فحصرها فى معنيين هما :

= أطماع الجند : وذلك فى قوله : «وأقبل رجال الديلم والجبل نحو مرداويج لما ظهر من بذله وإحسانه إلى جنده ، وتسامع الناس بإدراره الأرزاق على جنده فقصدوه من سائر الأمصار»[4] .

= العطاء الجارى : وذلك فى قوله : «وقد كان إسماعيل أسرع فى بيوت الأموال وأسرف فى النفقات والجوائز والخُلَع والعطايا ، وأمدَّ العرب وأجزل لهم الأنزال والأرزاق»[5] .

ويقول فى موضع آخر : «ورأيتُ أن أقلِّدك هذا الصُّقع . وأقر عليك ما كان لك من رزق وحباء، ونُزُل ومعونة وكل سبب ، فقال : أنا عبدك يا أمير المؤمنين فافعل ما شئت»[6] .

الأنزال : جاء فى اللسان : «النُّزُل والنُّزْل : ماهُيئ للضيف إذا نزل عليه والجمع : الأنزال ، وفى الحديث : اللهم إنى أسألك نُزُل الشهداء ، والنُّزُل فى الأصل : قرى الضيف . وتُضَمّ زايه ، يريد ما للشهداء عند الله من الأجر والثواب ، وجاء فى المُحْكم : النُّزْل والنَّزَل بالتحريك : ريع ما يُزرع أى زكاؤه وبركته والجمع أنزال . ورجل ذو نَزَل : كثير الفضل والعطاء والبركة .

قال لبيد : ولن تَقْدموا فى الحرب لينًا مُجَرَّبًا وذا نَزَلٍ عند الرزية باذلا[7]

وجاء فى المعجم الوسيط : «النُّزُل : المنزل ، وماهُيِّئَ للضيف يأكل فيه وينام ، والعطاء .

---

(١) المروج ، جـ ٤ / ١١٧ .
(٢) اللسان ، المجلد الثالث ، مادة رزق ، ص ١٦٣٧ .
(٣) المعجم الوسيط ، جـ ١ / مادة رزق / ص ٣٥٤ .
(٤) مروج الذهب ، جـ ٤ / ٣٧٨-٣٧٩ .
(٥) المروج ، جـ ٤ / ٢٢٨ .
(٦) المروج ، جـ ٤ / ١١٦ ، ١١٧ .
(٧) اللسان : المجلد السادس ، مادة نزل ، ص ٤٤٠٠-٤٤٠١ .

والبركة والجمع أنزال»[1] . وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلولين هما :

- العطاء أو الهبة التى يقدمها الحاكم لبعض الرعية من مال أو غيره : وذلك فى قوله : «وقد كان إسماعيل أسرع فى بيوت الأموال وأسرف فى النفقات والجوائز والخِلَع والعطايا ، وأمد العرب وأجزل لهم الأنزال والأرزاق»[2] .

- قِرى الضيف ، وذلك فى قوله : «وتسلسل بنا الكلام إلى فنون من العلم فى أخبار الناس ، ثم انصرفنا وأقيم لنا الأنزال والإفضال ، فلما كان أول الليل جاءنا خادم ومعه عدة من الأتراك وفرسان»[3] .

ثانيًا : الألفاظ المتعلقة بالعقوبات والتعذيب

(١) أماكن العقوبة :

السِّجن : السِّجن : الحَبْس والسَّجْن بالفتح : المصدر ، سَجَنَه يسجُنه سَجْنًا أى حبَسه ، فمَنْ قال السِّجن بكسر السين فهو المَحْبس وهو اسم ، ومَنْ فتح السين فهو مصدر سَجَنَه سَجْنًا ، والسجَّان : صاحب السجن ، ورجل سجين : مسجون ، وكذلك الأنثى بغير هاء ، والجمع : سُجَناء وسَجْنى[4] . ومن المجاز : سَجَن لسانه ، واسجن لسانك ، وفى الحديث : «ليس شىءٌ أحق بطول سجن من لسان» ، وسجن الهمَّ : أضمره[5] .

والسِّجن فى الاصطلاح هو : عقوبة طويلة الأمَد يلجأ إليها الحاكم ويطبقها على كل من يخرج عن مبادئ الدين ، وذلك عن طريق حَبْسه فى مكان يُخصَّص لذلك حتى يرجع ويتوب .

ولم يكن السجن - بمعناه الحالى - معروفًا فى زمن الرسول عليه الصلاة والسلام وفى زمن الخليفة أبى بكر ، إذ كان يُكتفى بمنع المتهم من الاختلاط بغيره بوضعه فى منزل أو مسجد على أن يلازمه من يُعيَّن لهذا الغرض ، «ويبدو أنَّ السبب فى ذلك يرجع إلى أن القرآن الكريم لم يفرض عقوبة الحبس ، وأول من استحدث نظام السجن لأول مرة فى الدولة العربية هو عمر بن الخطاب»[6] .

---

(١) المعجم الوسيط ، جـ ٢ / مادة نزل / ص ٩٥٢ .
(٢) المروج ، جـ ٤ / ٢٢٨ .
(٣) المروج ، جـ٤ / ١٥٦ .
(٤) اللسان ، مجلد ٣ / مادة سجن / ص ١٩٤٧ .
(٥) أساس البلاغة ، مادة سجن / ص ٤٣٥ .
(٦) التطور السياسى للمجتمع العربى ، د. سليمان الطحاوى ، ص ١١٦ .

«ولقد كانت العادة اقتياد المساجين مقيدين بالسلاسل عبر الطرق ليتصدَّق عليهم الناس ، فأبطل الإمام على رضي الله عنه هذه العادة»[1] .

وانتظمت السجون فى العصر الأموى على يد عمر بن عبد العزيز ، فأوجد لها ديوانًا يشرف عليها، وأخذ ينظر بنفسه فى أمرها ويكتب للمسجونين برزق الصيف والشتاء . وتكون لهم كسوة الصيف وكسوة الشتاء ، وكان مَنْ يمرض منهم يعتنى به ، وأمر عمر بن عبد العزيز ألا يُقيَّد أحد فى المحابس بقيد يمنعه من إتمام الصلاة وأمر بالفصل بين فئات المسجونين ، بين من يُسَجن فى دين ، ومن يُسَجن فى جريمة ، وجعل للنساء حبسًا خاصًا بهن»[2] .

ولكن حالة السجون ساءت بعد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وأصبحت فى العصر العباسى موضع انتقام وتعذيب . وقد وردت لفظة السجن فى كتاب المسعودى فى مواضع كثيرة منها :

«ولما قُتِل جعفر وقُبِض على يحيى والفضل ، وضُيِّق عليهما المحابس ، واشتد بهما الجهد ، وترادف عليهما البلاء ، قال الفضل بن يحيى يذكر ما هما فيه :

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها ... فلا نحن فى الأموات فيها ولا الأحيا

إذا جاءنا السجَّان يومًا لحاجة ... عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا[3]

ومن خلال النص السابق نعرف أنه قد وردت لفظة «السجَّان» تحمل مدلول : «القائم على السجين والمكلَّف بحراسته» . ويقول المسعودى فى موضع آخر : «ففى ذلك يقول بعض العيَّارين من أهل بغداد ومن أهل السجون :

لنا من طاهر يومٌ ... عظيمُ الشانِ والخَطْبِ[4]

المطامير : طَمَر البئر طَمْرًا : دفنها ، وطَمَر نفسه ، وطَمَر الشيء : خبَّأه حيث لا يُدرى ، والمطمورة : حفيرة تحت الأرض ، أو مكان تحت الأرض قد هُيِّئ خفيًا ، يُطمر فيه الطعام والمال، أو يُخبَّأ ، وقد طمرتُها : أى ملأتها ، والمطامير حُفَر تُحفر فى الأرض توسع أسافلها تُخبَّأ فيها الحبوب»[5] . وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلولاً مغايرًا لما جاء فى اللسان ،

---

(١) الإدارة العربية ، مولوى ، ق ، حسينى ، ترجمة د. إبراهيم العدوى ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، سلسلة الألف كتاب، ص ٢٠٩ .

(٢) تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، د. عبد المنعم ماجد ، ص ٥٨ .

(٣) مروج الذهب ، جـ ٣ / ٣٩٢ .

(٤) مروج الذهب ، جـ ٣ / ٤٠٨ .

(٥) اللسان ، مجلد ٤ / مادة طمر / ص ٢٧٠٢ .

وهو «السِّجن» ، ولكننا نجد علاقة بين المعنى المعجمى للفظة والمعنى المستخدم عند المسعودى ، فالمطامير وُضِعَتْ أساسًا لكى يدَّخر فيها الطعام والمال ، ولكنها اتُّخذت فى العصر العباسى مكانًا للحبس والتعذيب ، ومن أشهر الخلفاء العباسيين الذى اتخذوا المطامير للتعذيب الخليفة المعتضد بالله، ويؤكد ذلك قول المسعودى : «واتخذ المعتضد بالله المطامير ، وجعل فيها صنوف العذاب ، وجعل عليها نجاح الحرمى المتولّى لعذاب الناس»[1] .

المَحْبَس والحَبْس : حَبَسه حَبْسًا : منعه وأمسكه ، وحَبَسه : سجنه فهو محبوس وحبيس ، وأحبسه : حَبَسه ، والحَبْس : المكان يُحبس فيه (ج) حبوس ، والحبيس : المحبوس (ج) حُبُس ، وهى حبيسة (ج) حبائس»[2] . والحَبْس والمَحْبَسة والمَحْبَس : اسم الموضع ، وقال سيبويه : المَحْبِس على قياسهم : الموضع الذى يُحْبَس فيه ، والمَحْبَس : المصدر ، ويقول الليث : المَحْبِس يكون سَجْنًا ويكون فعلاً كالحبس[3] . وتوجد بين لفظتى : الحَبْس والسِّجْن علاقة ترادف ، حيث إن الترادف يعنى وجود علاقة للكلمة بغيرها من الكلمات داخل السياق ، وفهم هذه العلاقة شرط لوضوح معنى الكلمة ، ووجود علاقات أخرى للكلمة خارج السياق بغيرها من الكلمات، وتتمثّل هذه العلاقة فى وجودة كلمة أخرى يمكن أن تتبادل الموقع نفسه مع هذه الكلمة الموجودة داخل السياق ، والعلاقة بين الكلمتين فى هذه الحالة علاقة إيجاب ، وتعنى علاقة الإيجاب وجود صلة قرابة بين الكلمتين حيث تشترك كل منهما فى الدلالة على مدلول واحد رغم اختلاف مكونات كل من الكلمتين ، وهو ما ينطبق على لفظتى السِّجْن والحَبْس .

وقد وردت لفظتا المَحْبِس والحَبْس فى كتاب المسعودى فى مواضع كثيرة منها : «وإذا على جانب السهم مكتوب : همذان منها رجل مظلوم فى مَحْبِسك ، فبعث من فوره بعدة من خاصته ففتشوا الحبوس والمطابق ، فوجودوا شيخًا فى بنية من الحبس فيه سراج يُسرج وعلى بابه بارية مُسْبلة»[4] .

المُطْبِق : هو السجن يكون تحت الأرض[5] ، وقولهم : تركوه فى المُطْبِق : أى تركوه فى سجن تحت الأرض»[6] . وبهذا يكون بين لفظتى المُطْبِق والمطمورة علاقة ترادف ، حيث إنهما تشتركان فى الدلالة على معنى واحد وهو : كل بناء يُبنى تحت الأرض يُتَّخذ للحبس والتعذيب . ومن الملاحظ أنَّ

(١) مروج الذهب ، جـ ٤ / ٢٣٣ .
(٢) المعجم الوسيط ، المجلد الأول / مادة حبس / ص ١٥٨ .
(٣) اللسان ، مجلد ٢ / مادة حبس/ ص ٧٥٢ .
(٤) مروج الذهب ، جـ ٣ / ٣٠٠ .
(٥) المعجم الوسيط ، المجلد الثانى / مادة طبق / ص ٥٧١ .
(٦) أساس البلاغة ، مادة طبق / ص ٥٧٦ .

بناء السجون تحت الأرض لم يكن معروفًا فى عصر الخلفاء الراشدين ولا فى العصر الأموى ، وإنما ذاع وانتشر فى العصر العباسى ، وربما يرجع ذلك إلى أن هذا العصر كان مملوءًا بالفتن والاضطرابات فى أكثر الأوقات نتيجة للعناصر الأجنبية التى استعان بها العباسيون كالفرس والترك ، ومن هنا اتخذ العباسيون المطامير والمطابق كوسيلة من وسائل المبالغة فى التعذيب والسجن لكى ترتدع العناصر المناوئة لحكمهم .

وقد وردت هذه اللفظة : «المُطْبِق» فى كتاب المسعودى فى مواضع كثيرة منها : «وكثر اضطراب القواد والموالى وأسرعت العامة وسائر الخدم فى النهب ، فانتهبوا دار إسماعيل بن بلبل ، ولم تبق دار جليل ولا كاتب نبيل إلا نهبوها ، وفتحت الجسور وأبواب السجون ، ولم يبق أحد فى المُطْبِق ولا فى الحديد إلا أُخرِج»[1] .

(٢) أدوات التعذيب :

القيود : القَيْد : ما ضم العَضُدَتين المؤخرتين من أعلاهما من القِدِّ ، والقَيْد : القِدُّ الذى يضم العَرْقوتين من القَتَب ، والعرب تكنى عن المرأة بالقيد والغُلِّ ، وكذلك كل شىء أُسِرَّ بعضه إلى بعض[2] . والقَيْد : حبل ونحوه يُجعل فى رِجْل الدابة وغيرها فيمسكها والجمع : أقياد وقيود[3] .

وانتقل هذا القيد فى الاستخدام من الدابة إلى كل إنسان يخرج على القانون يُقتاد به حتى يصل إلى السجن أو مكان العقوبة .

وقد ورد هذا اللفظ فى كتاب المسعودى يحمل مدلول : «القيد الذى يُوضع فى يدى أو قدمى الخارج على نظام الدولة حتى يصل إلى السجن أو مكان العقوبة ، ويؤكد ذلك قول المسعودى :

«فقال الطفيلى : نزهة لا شك فيها ، فدخل معهم السفينة ، فما كان بأسرع من أن جئ بالقيود، فقُيِّد القوم والطفيلى معهم ، فقال : الطفيلى : بلغ أمر تطفيلى إلى القيود»[4] .

السَّوْط : السَّوْط : خَلْط الشىء بعضه ببعض ، وسُمِّى السوط سوطًا لأنه إذا سيط به الإنسان أو الدابة خُلِط الدم باللحم ، وهو مشتق من ذلك لأنه يخلط الدم باللحم ويسوطه ، وفى الحديث : معهم سياط كأذناب البقر ، وهو جمع سوط الذى يُجلَد به . والأصل سواط بالواو فقلبت ياء

(١) المروج : جـ ٤ / ٢٢٨ .
(٢) لسان العرب ، المجلد الخامس / مادة قيد / ص ٣٧٩٢ .
(٣) المعجم الوسيط : المجلد الثانى / مادة قيد / ص ٧٩٩ .
(٤) مروج الذهب ، جـ ٤ / ٩ .

للكسرة قبلها، ويُجمع على الأصل : أسواطًا[1] . وجاء فى المعجم الوسيط : «السَّوْط : ما يُضْرب به من جلد ، سواء كان مضفورًا أو لم يكن»[2] .

وقد وردت هذه اللفظة عند المسعودى فى صورتى المفرد «سوط» والجمع «سياط» تحمل مدلول : «كل ما يُضرب به من جلد بغرض التأديب أو التعذيب ، «وذلك فى قوله : «وفى هذه السنة ضرب المعتصم أحمد بن حنبل ثمانية وثلاثين سوطًا ليقول بخلق القرآن»[3] .

وأما بصورة الجمع فى قوله : «وسُعى به إلى جعفر بن سليمان ، وقيل له : إنه لا يرى إيمان بيعتكم شيئًا ، فضربه بالسياط ، ومُدَّ لذلك حتى انخلع كتفاه»[4] .

النَّطع : النَّطْع والنَّطَع والنِّطْع من الأدَم ، وقد اختلفوا فى فتْح النون وكسرها ، وهو بساط من الجلد كثيرا ما كان يُقتل فوقه المحكوم عليه بالقتل ، والجمع : أنطاع ونُطُوع وأنطُع»[5] .

وكثيرًا ما اقترن بالسيف فيُقال : علىَّ بالسيف والنَّطْع ، ومن قولهم : كسا بيت الله بالأنطاع ، أى بالبُسُط»[6] . وقد ورد هذا اللفظ فى كتاب المسعودى مرتبطًا بالسيف مرة ، وورد مرتبطًا بالزينة والكساء مرة أخرى . يقول المسعودى : «قال جرِّدوه ، فسلبه الخُدَّام ما عليه من الزينة وقُطعت يمينه ، وضُرب بها وجهه . وفُعِل مثل ذلك بيساره وثُلِّث برجليه ، وهو يتمرَّغ فى النَّطْع فى دمه»[7] .

فلفظة النطع هنا ارتبطت بالسيف كأداة مساعدة من أدوات التعذيب ، ويقول المسعودى فى موضع آخر : «ومنهم أسعد أبو كرب الحميرى ، وكان مؤمنًا ، وآمن بالنبى ﷺ قبل أن يُبعث بسبعمائة سنة ، وهو أول من كسا الكعبة الأنطاع والبرود»[8] .

المقارع : ج مِقْرعة ، وهى خشبة تُضرب بها البغال والحمير، وقيل : كل ما قُرِع به فهو مِقرَعَة، وقال الأزهرى : المِقْرعة التى تُضرب بها الدابة[9] . ويقول الزمخشرى : قرعته بالمِقْرعة والمَقَارع : قال النابغة :

قعود على آلِ الوجيه ولاحقٌ ... يقيمون حولَيَّاتها بالمقارع[10]

---

(١) اللسان ، مادة سوط / ص ٢١٥٠ .
(٢) المعجم الوسيط ، مادة سوط ، ص ٤٨٠ .
(٣) المروج ، جـ ٤ / ٥٢ .
(٤) مروج الذهب ، جـ ٣ / ٣٥٠ .
(٥) اللسان ، مادة نطع ، ص ٤٤٦٠ ، الشامل لجموع التكسير والتصحيح فى اللغة ، د. عبد المنعم سيد عبد العال، ص ٣٨٤ .
(٦) المعجم الوسيط ، مادة نطع / ص ٩٦٨ .
(٧) المروج ، جـ ٤ / ٥٨ .
(٨) المروج ، جـ ١ / ٦٨-٦٩ .
(٩) اللسان ، مجلد ٥ / مادة قرع / . ص ٣٥٩٥ .
(١٠) أساس البلاغة ، مادة قرع / ص ٧٥٩ .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول :

«الخشبة التى يُضرب بها الجناة لكى يعترفوا بجريرتهم» ، وفى هذا الصدد يقول المسعودى : «فلما غاظه ذلك وأنكره ويئس من إقراره أخذ فى عقوبته ومساءلته فضربه بالسوط والقلوس والمقارع والدِّرة»[١]، ويقول المسعودى فى موضع آخر : «ثم سأله عمر عن السلاح ، فأخبره بما عرف حتى بلغ السيف ، قال : هنالك قارعتك أمك عن ثكلها ، فعلاه عمر بالدرَّة ، وقال : بل أمك قارعتك عن ثكلها»[٢] .

الدِّرَّة : بكسر الدال : التى يُضرب بها ، وهى عربية معروفة ، وفى التهذيب : الدِّرة : دِرَّة السلطان التى يضرب بها[٣] . وهى عبارة عن سوط يحمله السلطان يضرب به كل من يخرج على القانون أو يرتكب جُرْمًا أمامه، وأول من حمل الدِّرة من الحكَّام الخليفة الثانى عمر بن الخطاب ، واشتهرت به حتى قيل : دِرَّة عمر .

وقد وردت هذه اللفظة عند المسعودى تحمل هذا المدلول ، وذلك فى قوله : «فلما غاظه ذلك وأنكره ويئس من إقراره أخذ فى عقوبته ومساءلته ، فضربه بالسوط والقلوس والمقارع والدِّرَّة»[٤] ، وقال فى موضع آخر : «ثم سأله عمر عن السلاح ، فأخبره بما عرف حتى بلغ السيف ، قال : هنالك قارعتك أمك عن ثكلها ، فعلاه عمر بالدِّرَّة ، وقال : بل أمك ، قارعتك أمك عن ثكلها»[٥] .

القُلُوس : جاء فى اللسان : «القُلوس: (ج) القَلْس وهو حبل ضخم من ليف أو خوص، وقيل: هو حبل غليظ من حبال السفن»[٦] ، وجاء فى أساس البلاغة : «جرُّوا السفينة بالقَلْس والسَّفين بالقُلُوس»[٧] ، وقد جاء فى المعجم الوسيط للقَلْس جمع آخر : الأقلاس» .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل هذا المدلول : «حبل ضخم من ليف أو خوص يُضرب به كلُّ من ارتكب جرمًا أو خرج على القانون» ، وذلك فى قوله : «فلما غاظه ذلك وأنكره ويئس من إقراره أخذ فى عقوبته ومساءلته ، فضربه بالسوط والقلوس والمقارع والدِّرة على ظهره وبطنه وقفاه ورأسه وأسفل رجليه وكعابه وعضله ، حتى لم يكن للضرب فيه موضع»[٨] .

(١) المروج ، جـ ٤ / ٢٤٩ .
(٢) المروج ، جـ ٢ / ٢٣٥ .
(٣) اللسان ، مادة درر ، ص ١٣٥٨ .
(٤) المروج ، جـ ٤ / ٢٤٩ .
(٥) المروج ، جـ ٢ / ٢٣٥ .
(٦) اللسان ، مادة قلس ، ص ٣٧٢٠ .
(٧) أساس البلاغة ، مادة قلس ، ص ٧٨٥ .
(٨) المروج ، جـ ٤ / ٢٤٩ .

المنافخ : المِنْفاخ هو كير الحدّاد ، وهو الذى ينفخ به فى النار وغيره ، وفى الحديث . أنه نهى عن النفخ فى الشراب»[1] ، ونفخت فى الزِّقّ ، فانتفخ ، ونفَّخت فيه فتنفَّخ ، وهو يجد نَفْخة فى بطنه ونُفْخة . انتفاخًا من الطعام وغيره والجمع : منافخ[2] ، والنفيخ : الموكل بنفخ النار والجمع نُفَخاء ، والنافخة التى تنفخ فى بُرَاها والجمع نوافخ[3] .

وهذه اللفظة فى كتاب المسعودى تعنى جراب مصنوع من الجلد ، استخدمه العباسيون لتعذيب مَنْ يخرج عليهم عن طريق وضع أحد أطرافه فى دُبُر المُعذَّب ، ثم النفخ فى الطرف الآخر حتى الموت، ومن هذه المواضع قول المسعودى : «وذُكر من عذابه - المعتضد بالله - أنه كان يأخذ الرجل فيُكتَّف ويُقيَّد ، فيُؤخذ القطن فيُحشى فى أذنه وخيشومه وفمه ، وتُوضع المنافخ فى دبره حتى ينتفخ ويعظم جسمه ثم يُسد الدُّبر بشىء من القطن ، ثم يُفصد وقد صار كالجمل العظيم من العرقين اللذين فوق الحاجبين ، فتخرج النَّفْس من ذلك الموضع»[4] .

الغُلُّ : جاء فى اللسان : الغُلُّ : جامعة توضع فى العنق أو اليد والجمع أغلال ، ولا يُكسَّر أى لا يجمع جمع تكسير على غير ذلك ، ويقال : فى رقبته غُلٌّ من حديد ، وقد غُلَّ بالغُلِّ لجامعة يُغلُّ بها ، فهو مغلول»[5] ، وجاء فى المعجم الوسيط : «المغلول هو الذى يوضع فى عنقه أو فى يديه طوق من حديد أو جِلْد»[6] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : «جامعة تُوضع فى العنق مصنوعة من حديد أو جلد تُستخدم كوسيلة من وسائل التعذيب» ، وذلك فى قول المسعودى : «ولم يزل إسماعيل بن بلبل يُعذَّب بأنواع العذاب . وجُعل فى عنقه غُلٌّ فيه رُمَّانة حديد ، والغُلُّ والرُّمَّانة مائة وعشرون رطلاً ، وأُلبس جُبَّة صوف قد صيرت فى ودك الأكارع ، وعُلِّق معه رأس ميت ، فلم يزل على ذلك حتى مات»[7] .

التنُّور - التنانير : جاء فى اللسان : التنُّور : نوع من الكوانين ، وهو الفُرْن يخبز فيه ، والتنار : صانع التنانير ، ويُقال : هو فى جميع اللغات كذلك ، وقال أحمد بن يحيى التنُّور على وزن تفعول مشتق من النار[8] ، وجاء عند الإسكافى : والتنُّور لفظة عربية والتاء فيه أصلية وليس من النار ولا

---

(١) اللسان ، مادة نفخ ، ص ٤٤٩٤ .
(٢) أساس البلاغة ، مادة نفخ ، ٩٧٧
(٣) الشامل لجموع التصحيح والتكسير ، جـ ٣ ، ص ٤٩٣ .
(٤) مروج الذهب جـ ٤ / ٢٣٣ .
(٥) اللسان ، مادة غلل ، ص ٣٢٨٨ .
(٦) المعجم الوسيط ، مادة غلل ، ص ٦٨٤
(٧) مروج الذهب ، جـ ٤ : ٣٢٩
(٨) اللسان : مادة تنر ، ص ٤٥٠ .

النور[١] ، ويردد ابن سيده قول الإسكافى ولكنه لا يوافق على كونه لفظة عربية ، وإنما هو عنده لفظة فارسية مُعرَّبة بمعنى : وجه الأرض .

وقال الليث : التنُّور : عَمَّت بكل لسان ، ولكنَّ أبا منصور يُرجع هذه اللفظة إلى الأصل الأعجمى بقوله : «وقول مَنْ قال إن التنُّور عمَّت بكل لسان يدل على أنَّ الاسم فى الأصل أعجمى فعرَّبتها العرب ، فصار عربيًا على بناء فَعُّول ، والدليل على ذلك : أنَّ أصل بنائه : تنر لا نعرفه فى كلام العرب ، لأنه مهمل ، وهو نظير ما دخل فى كلام العرب من كلام العجم مثل : الديباج والدينار والسندس والإستبرق وما أشبهها ، ولما تكلَّمت بها العرب صارت عربية»[٢] .

ونستطيع أن نرجِّح أنَّ لفظة تنُّور فارسية مُعرَّبة استنادًا إلى أصل بناء اللفظة الذى لا يُعرف فى كلام العرب ، وهو أداة من أدوات التعذيب التى نقلها العباسيون عن الفرس ، وهو عبارة عن فرن كبير مكوَّن من طابقين : أحدهما وهو السُّفلى يُخصَّص لوضع الحطب بداخله ، والثانى - وهو العلوى - عبارة عن مُسطَّح مصنوع من الحديد ، وبه مجموعة من المسامير البارزة بحيث يؤتى بالمغضوب عليه ليوضع فوق هذه المسامير الساخنة فيلقى حتفه لتوّه ، وقد وردت هذه اللفظة عند المسعودى بصورتى المفرد والجمع ، فصورة الجمع فى قوله : «وعبر المعتصم من سُرَّ من رأى من الجانب الغربى ، وذلك فى يوم مطير ، وقد تبع ذلك ليلة مطيرة . وانفرد من أصحابه ، وإذا حمار قد زلق ورمى بما عليه من الشوك ، وهو الشوك الذى توقد به التنانير بالعراق»[٣] .

وصورة المفرد فى قوله : «وقد كان سخط المتوكل على محمد بن عبد الملك الزيات بعد خلافته بأشهر ، فقبض أمواله وجميع ما كان له ، وقلَّد مكانه أبا الوزير ، وقد كان ابن الزيات اتخذ للمصادرين، والمغضوب عليهم تنُّورًا من الحديد رؤوس مساميره إلى داخل قائمة مثل رؤوس المسالّ فى أيام وزارته للمعتصم والواثق ، فكان يعذِّب الناس فيه فأمر المتوكِّل بإدخاله فى ذلك التنُّور[٤] .

السَّيف : السَّيف الذى يُضرب به معروف ، والجمع أسياف وسيوف وأسْيُف ، واستاف القوم وتسايفوا : تضاربوا بالسيوف ، وقال ابن جنى : استافوا : تناولوا السيوف ، وسيَّاف أى صاحب سيف والجمع سيَّافة[٥] ، وهو سيَّاف الأمير : للذى يضرب أعناق الجناة ، وأقبلت السيَّافة وهى المُقاتلةَ بالسيوف[٦] ، وذكر طوبيا العنيسى أنها لفظة يونانية ، وذلك فى قوله : «والسيف - يونانى Xifos وهو القاضب والقاطع والماضى»[٧] .

---

(١) مبادئ اللغة للإسكافى ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت . ط. الأولى ، ١٩٨٥م ، ص ٦١ .
(٢) اللسان ، مادة تنر ، ص ٤٥٠ .
(٣) مروج الذهب ، جـ ٤ / ٥١ .
(٤) مروج الذهب ، جـ ٤ / ٨٨ .
(٥) اللسان ، مادة سيف / ص ٢١٧١ .
(٦) أساس البلاغة ، مادة سيف / ص ٤٧٣ .
(٧) تفسير الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية ، ص ٣٩ .

وقد وردت هذه اللفظة عند المسعودى فى صورتى المفرد والجمع ، كما جاءت على وزن : فَعَّالة لتدل على من يكلفه السلطان بضرب أعناق الجناة ، يقول المسعودى : وأمر المعتصم السيَّاف أن يُدخل السيف بين ضلعين من أضلاعه أسفل من القلب ليكون أطول لعذابه ففعل»[1] ، وفى صورة الجمع يقول المسعودى : «وكان الهادى جبَّارًا عظيمًا ، وأول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المرهفة والأعمدة المشهورة والقسى الموتورة»[2] ، ولفظة «السيف» من الألفاظ التى تعددت دلالتها عن طريق المجاز ، فالوحدة الدلالية الأصلية لهذه اللفظة تنحصر فى السلاح الذى تُضرب به الرقاب ، ولكن هناك وحدات دلالية جانبية جاءت عن طريق المجاز ، فمثلاً يقول الرسول عليه الصلاة والسلام عن خالد بن الوليد: «إنه سيف من سيوفك فانصره» ، فلفظة السيف تحمل هنا دلالة مجازية وهى القائد، ومن الدلالات المجازية التى وردت عند المسعودى للفظة السيف قوله : «بعث علىٌّ إلى أهل الشام : إنى قد احتججت عليكم بكتاب الله ، ودعوتكم إليه . . . فلم يردُّوا عليه جوابًا إلا : «السيف بيننا وبينك أو يهلك الأعجز منا»[3] . فلفظة السيف فى هذا السياق تحمل مدلولاً مجازيًا وهو الحرب ، وهناك مدلول مجازى آخر فى قوله : «وفى هذه السنة خرج توفيل ملك الروم فى عسكره ومعه ملوك برجان والبرغر والصقالبة وغيرهم ممن جاورهم من ملوك الأمم ، حتى نزل على مدينة زبطرة من الثغر الخزرى فافتتحها بالسيف»[4] .

فلفظة السيف تحمل فى هذا السياق مدلول القوة .

المقامع : المِقْمعة والمِقْمع كلاهما ما يُقمع به والجمع : المقامع ، وهى الجِرَزَة وأعمدة الحديد منه، يُضرب بها الرأس ، قال تعالى : «ولهم مقامع من حديد» ، وفى حديث ابن عمر : ثم لقينى مَلَكٌ فى يده مِقْمعة من حديد» ، وهى سياط تُعمل من حديد رؤوسها معوجة»[5] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : خشبة أو حديدة معوجة الرأس يُضرب بها من يُراد إذلاله أو إهانته . وذلك فى قوله : «وفى أيدى بعضهم الفؤوس ، وفى أيدى بعضهم المناشير والمقامع يحاكون بذلك صُنَّاع المدينة والفَعَلة ، وما فى أيديهم من آلات البناء»[6] .

الجريدة : سَعَفَة طويلة تقشَّر من خوصها كما يقشر القضيب من ورقه والجمع : جريد وجرائد،

(١) المروج ، جـ ٤ / ٥٨ .
(٢) المروج ، جـ ٤ / ٣١٦ .
(٣) مروج الذهب ، جـ ٢ / ٣٨٧ .
(٤) مروج الذهب ، جـ ٤ / ٥٩ .
(٥) اللسان ، ٥/ ٣٧٤١ ، المعجم الوسيط ، ٢/ ٧٨٩ .
(٦) المروج ١/ ٣٧٣ .

وقال الجوهرى : ولا يُسمَّى الجريد جريدًا ما دام عليه الخوص وإنما يسمى سعفًا ، لأن كلَّ شيءٍ قشرته عن شيء فقد جردته عنه[1] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل المدلول السابق «سعفة محرده من خوصها تُستخدم فى تأديب وضرب الرعية عندما يخالفون عن الأوامر ، ومن ذلك قول المسعودى : «فقال : يا ابن اللخناء ألم أتقدم إليك أنى لا أقبل لك عذرآ فى حبة تكسرها ؟ وبطحنى وضربنى خمسين جريدة بأشد ضرب يكون وحلق لحيتى ورأسى»[2] .

الجامعة : الجامعة : الغُلُّ ؛ لأنها تجمع اليدين إلى العنق ، قال أحدهم : ولو كُبِّلتْ فى ساعدىً الجوامع[3] . وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل المدلول السابق ، وذلك فى قوله : «فقال عبد الملك : إنى كنت حلفت لئن ملكتك لأشدنك فى جامعة ، فأُتى بجامعة فوضعها فى عنقه وشدَّها عليه ، فأيقن عمرو أنه قاتله»[4] .

الهِراوة : العصا الضخمة والجمع : هراوَى بفتح الواو على القياس مثل المطايا وهُرِىٌّ على غير قياس ، والأغلب هراوى ، قال كُثيرٌ : يُنَوَّخ ثم يُضرَب بالهراوى فلا عُرْفٌ لديه ولا نكير

وفى حديث سطيح ، وخرج صاحب الهراوة ، أراد به سيدنا رسول الله ﷺ لأنه كان يمسك القضيب بيده كثيرًا ، وكان يُمْشَى بالعصا بين يديه وتُغرز له فيُصَلِّى إليها»[5] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل المدلول السابق : العصا الضخمة تستخدم فى توقيع العقاب على من يخالف الخليفة أو الأمير ، وذلك فى قوله : «وحتى وقفوا علىَّ ، فسألوا عنى، فقلت : ها أننا ذا خالد ، فسبق إلىَّ أحدهم بهراوة كانت معه فلما أهوى بها إلىَّ وثبتُ فدخلتُ منزلى ، وأغلقت الباب علىَّ»[6] .

(١) اللسان ١/ ٥٨٩ ، المعجم الوسيط ١/ ١٢٠ .
(٢) المروج ٣/ ٣٧
(٣) اللسان ١/ ٦٨٢ ، المعجم الوسيط ١/ ١٤٠ .
(٤) المروج ٣/ ١١١
(٥) اللسان ٦/ ٤٦٥٨
(٦) المروج ٣/ ٣٧

الفصل السابع
الألفاظ الخاصة بالممالك والدول

يتناول هذا الفصل الألفاظ الآتية : البقاع ، البلدان ، التُّهمة ، الخطط ، الدِّيار ، الدولة ، الدولة ، الرِّباع ، الرُّستاق ، الصُّقع ، الضياع ، الطساسيج ، الأعمال ، القُرى ، القصبة ، الأقطار، القطائع ، الأقاليم ، الكُوَر ، المدينة ، الأمصار ، المملكة .

القطائع : القطيعة من كل شيء : ما قطعته منه ، والجزء من الأرض يملّكه الحاكم لمن يريد من أتباعه منحة والجمع : قطائع[1] ، والقطيعة كشريفة الهِجْران كالقطْع ، ومحالٌّ ببغداد أقطعها المنصور أناسا من أعيان دولته ليعمروها ويسكنوها ، وهى قطيعة إسحاق الأزرق وأم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور[2] .

ويقول ابن الأثير : والإقطاع يكون تمليكاً وغير تمليك ، يُقال : استقطع فلان الإمام قطيعة فأقطعه إياها ، وإذا سأله أن يقطعها له وبينيها مِلْكًا له ، فأعطاه إياها ، والقطائع إنما تجوز عفو البلاد التى لا مِلْك لأحد عليها ولا عمارة فيها لأحد ، وأقطعته قطيعة ، أى طائفة من أرض الخراج[3] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : قطعة أرض يمنحها الحاكم لأحد أتباعه على سبيل المكافأة ، وذلك فى قوله : «قال له الإسكندر : صدقت ، ولأحسننَّ إلى الهند من أجلك ، وأمر له بجوائز كثيرة ، وأقطعه قطائع واسعة»[4] .

الخطط : الخِطُّ والخِطَّة : الأرض تُنزل من غير أن ينزلها نازل قبل ذلك ، وقد خطَّها لنفسه خطًّا، واختطها : وهو أن يعلَّم عليها علامة بالخط ليعلم أنه قد احتازها ليبنيها داراً ، ومنه خِطط الكُوفة والبصرة ، واختطَّ فلانٌ خِطَّةً ، إذا تحجَّر موضعاً ، وخطَّ عليه بجدار ، وجمعها الخِطط ، والخِطَّة بالكسر : الأرض وإنما كُسرت الخاء من الخِطَّة لأنها أُخرجت على مصدر بُنِى على فِعْلَة»[5] .

---

(١) المعجم الوسيط ٢/ ٧٧٥ .
(٢) القاموس المحيط ٣/ ٦٨ .
(٣) اللسان ٥/ ٣٨٧٧ .
(٤) المروج ١/ ٢٩٨ .
(٥) اللسان ٢/ ١١٩٨ ، ١١٩٩ .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : الأرض التى اختطَّهـ الإنسان لنفسه وأصلحها وجعلها للعمارة ، وذلك فى قوله : «ثُمَّ مَلَك بعده «أهريمون» عشر سنين ، فخط الخِطط ، وكوَّر الكُوَر ، وجدَّ فى أمره ، وإتقان مُلْكه»[1] .

وفى موضع آخر يقول : «وبلغ مال الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار ، وخلف الزبير ألف فرس وألف عبد وأَمَة وخِططًا بحيث ذكرنا من الأمصار»[2] .

البَلَد - البُلْدان - البِلاد : البَلْدة والبَلَد : كل موضع أو قطعة مستحيزة ، عامرة كانت أو غير عامرة ، قال الأزهرى : البَلد كل موضع مستحيز من الأرض عامر أو غير عامر ، خالٍ أو مسكون فهو بلد، والطائفة منها بلْدة ، وفى القرآن الكريم : «والبَلَد الطيِّب يخرج نباته بإذن ربه» ، والجمع بلاد وبُلْدان ، فالبلدان : اسم يقع على الكُوَر . قال بعضهم : البلد : جنس المكان كالعراق والشام، والبلدة : الجزء المخصَّص منه كالبصرة ودمشق[3] ، وأُطلقت على مكة تفخيمًا لها فى قوله تعالى : «لا أقسم بهذا البلد ، وأنت حِلٌّ بهذا البلد»[4] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى بصورة التضام لتحديد من يمتلكون هذه الأرض ، وذلك فى قوله : «وأخبرنى بعض إخواننا من المسلمين ممن كان أسيرًا فى أرض بلاد النصرانية»[5]. وكذلك فى قوله : «ولبلاد مصر والإسكندرية والمغرب وبلاد الأندلس ورومية ومافى الشرق واليمن والمغرب أخبار كثيرة فى عجائب البُلْدان والأبنية والآثار والبِقاع»[6] . وقد وردت بغير صورة التضام ، وذلك فى قوله : «وسنورد بعد هذا الباب جملاً من أخبار العرب الداثرة وغيرها وتفرقها فى البلاد»[7] .

الطساسيج : جاء فى اللسان : «الطَّسُّوج : الناحية ، وحبتان من الدوانيق ، والدَّانِق : أربعة طساسيج وهما مُعرَّبان ، وقال الأزهرى : الطسُّوج مقدار من الوزن كقوله : فَرْبيون بطسّوج ، وكلاهما مُعرَّب ، والطسُّوج : واحد من طساسيج السَّواد ، مُعرَّبة»[8] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : البَلْدة ، وذلك فى قوله : «وجعل على هذا النهر والعراق ثلاث طساسيج من الضياع والعمائر وأسماها الزَّوابى»[9] .

(١) المروج ١/ ٢٠٧ .
(٢) المروج ٢/ ٣٤٢ .
(٣) اللسان ١/ ٣٤٠ .
(٤) المعجم الكبير ٢/ ٥١٦ .
(٥) المروج ١/ ١٠٣ .
(٦) المروج ١/ ٣٧٨ .
(٧) المروج ٣/ ١٢٥ .
(٨) اللسان ٤/ ٢٦٧٠ .
(٩) المروج ١/ ٢٣٢ .

القُرَى : قال ابن سيده : القَرْية والقِرْية لغتان : المِصْر الجامع . وفى التهذيب : المكسورة «القِرْية» يمانية ، ومن ثم اجتمعوا فى جمعها على القُرَى فحملوها على لغة من يقول كِسْوة وكُسا ، وقيل: هى القرية بفتح القاف لا غير وكسر القاف خطأ وجمعها قُرَى ، والقرية من المساكن والأبنية والضياع وقد تُطلق على المدن ، والنسب إلى قرية قَرْئِىٌّ فى قول أبى عمرو ، وقَرَوِىٌّ فى قول يونس، وقول بعضهم: ما رأيت قرويًا أفصح من الحجَّاج ، إنما نسبه إلى القرية التى هى المِصْر ، وفى حديث علىٍّ كرَّم الله وجهه : أنه أتى بضبٍّ فلم يأكله وقال : إنه قَرَوِىٌّ أى من أهل القرى يعنى إنما يأكله أهل القرى والبوادى والضِّياع دون أهل المدن»[1] ، وقرى النمل : مأواه[2] .

نخلص مما سبق إلى أن القرية بفتح القاف جمعها قُرًى وتُطلق على الآتى :

البوادى والضياع ، والأمصار ، والمدن ، والمساكن والأبنية ، مأوى النمل .

ونستبعد ما جاء فى المعجم من أن تكون القرية بكسر القاف أخذًا بمن قال : هى القَرْية بفتح القاف لا غير وكسر القاف خطأ ، وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل المدلولات الآتية :

- الأمصار ، وذلك فى قوله : «ومصر من سادات القرى ، ورؤساء المدن»[3] .
- المدينة ، وذلك فى قوله : «وهذا الإقليم يُسمَّى باسم قرية من قراه يقال لها بابل ، على شاطئ نهر من أنهار الفرات بأرض العراق»[4] .
- المساكن والأبنية ، وذلك فى قوله : «فخرج علىٌّ إليهم وكانت له معهم مناظرات ، فدخلوا جميعًا الكوفة ، وإنما سُمُّوا الحرورية لاجتماعهم فى هذه القرية وانحيازهم إليها»[5] .
- مأوى النمل ، وذلك فى قوله : «ووجدت فى بعض النسخ من كتاب الفلاحة فى هذا المعنى أن من أراد علم ذلك فلينظر إلى قرى النمل ، فإن وجد النمل غلاظا سودا ثقيلة المشى فلينظر فعلى قدر ثقل مشيهنَّ الماء قريب منهن»[6] .
- البوادى ، وذلك فى قوله : «وأكثر الخُرَّمية ببلاد خراسان والرَّى . . وغيرها من الأمصار وأكثر هؤلاء فى القرى والضياع ، وسيكون لهم عند أنفسهم شأن وظهور يراعونه وينتظرونه»[7] .

(١) اللسان ٥/ ٣٦١٧ .
(٢) المعجم الوسيط ٢/ ٧٦٠ .
(٣) المروج ١/ ٣٤١ .
(٤) المروج ١/ ٢٢٤ .
(٥) المروج ٢/ ٤٠٥ .
(٦) المروج ١/ ١٣٠ .
(٧) المروج ٣/ ٣٠٦ .

البِقَاع : البَقْعة والبُقْعة والضمُّ أعلى : قطعة من الأرض على غير هيئة التى بجنبها والجمع بُقْع وبِقَاع[1] ، ومن المجاز : نادى الله تعالى موسى عليه السلام فى البُقْعة المباركة «أى الأرض» ، ونزلوا فى بقاع طيبة ؛ أى أماكن[2] . وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلولين هما :

- البلاد : وذلك فى قوله : «. . . فمن رتَّب منهم أنو شروان من الملوك في بعض هذه البقاع والمواضع ما يلى الإسلام من بلاد بردعة مَلِك يُقال له شروان ، ومملكته مضافة إلى اسمه فيُقال له شروان شاه»[3] .

- الأماكن والأجزاء من الأرض : وذلك فى قوله : «وقد كان لعليٍّ باليمن شأن عظيم حتى قُتِل ، وتوطَّأت اليمن لهذا الرجل ، وباليمن للقرود مواضع كثيرة ، وكذلك فى بقاع الأرض أعرضنا عن ذكرها»[4] .

التَّهْمة : التَّهْمة : البَلْدة ، والأرض المتصوِّبة إلى البحر كأنها مصدر من تِهامة . والتهائم : المُتَصَوِّبة إلى البحر ، وتِهامة : مكَّة المكرمة[5] . وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلول : الأرض المتسعة المتاهة ، وذلك فى قوله : «ولشقٌّ بن صعب أخبار كثيرة عجيبة : منها رؤيا تُبَّع الحميرى فى أنَّ جَمْرة خرجت من ظُلْمة ، فوقعت بأرض تَهْمة ، أكلت منها كلُّ ذات جُمْجُمة»[6] .

الصُّقْع : ناحية الأرض والبيت والجمع أصقاع وقوله :

قُبِّحْتَ من سالفةٍ ومن صُدُغْ
كأنها كُشْيةُ ضَبٍّ فى صُقُعْ

إنما معناه : فى ناحية ، وجمع بين العين والغين لتقارب مخرجيهما ، وبعضهم يرويه فى صُقُغَ بالغين . قال ابن سيده : فلا أدرى أهو هَرَب من الإكفاء أم الغين فى صُقُغ وضع ؟ وزعم يونس أنَّ أبا عمرو بن العلاء رواه كذلك ولولا ذلك لم أروهما ، وقال ابن جنِّى : فإذا كان الأمر على ماروا أبو عمرو فالحال ناطقة بأن فى صُقُع لغتين : العين والغين جميعًا ، وأن يكون إبدال الحرف للحرف»[7] . ومن الملاحظ أن ابن جنِّى اعتبر الصُّقْع والصُّقْغ لغتين ، وأرى أنَّ الغين فى

(١) اللسان ١/ ٣٢٦ .
(٢) أساس البلاغة ١/ ٥٧ .
(٣) المروج ١/ ١٧٧ .
(٤) المروج ١/ ١٩٩ .
(٥) اللسان ١/ ٤٥٣ ، المعجم الوسيط ١/ ٩٣ .
(٦) المروج ٢/ ١٩٣ .
(٧) اللسان ٤/ ٢٤٧٢ .

الصُّقْع وضع والأصل العين. وقد اتسع مدلول هذه اللفظة فى كتاب المسعودى بحيث شملت المدلولات الآتية :

● المَمْلكة ، وذلك فى قوله : «. . . ومملكته مضافة إلى اسمه فيُقال له شروان شاه ، وكلُّ مَلِك يلى هذا الصُّقع يُقال له شروان ، وتكون مملكته فى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - نحوا من شهر»[1] .

● البَلَد ، وذلك فى قوله : «وكان بين الهند وملوك السُّريانيين حروب عظام نحو من سنة ، فقُتل ملك السريانيين ، واحتوى مَلِك الهند على الصُّقع ومَلَك جميع ما فيه»[2] .

● الناحية من الأرض ، وذلك فى قوله : «فأهل المشرق يذكرون كونها بالمغرب ، وأهل المغرب يذكرون أنها بالمشرق ، وكذلك كل صُقْع من البلاد يشير سكانه إلى أن النسناس فيما بعد عنهم من البلاد ونأى من الديار»[3] .

الضِّياع : قال الأزهرى : الضَّيْعة والضِّياع عند الحاضرة : مال الرجل من النخل والكَرْم والأرض ، والعرب لا تعرف الضَّيْعة إلا الحرفة والصناعة ، وسمعتهم يقولون : ضَيْعة فلان الجزارة ، والضَّيْعة : العقار ، والأرض المُغلَّة والجمع : ضِيَع وضياع[4] . ويمكن حصر المعانى التى وردت فى اللسان للفظة الضيعة فى الآتى : مال الرجل ، الحرفة والصناعة ، العقار ، الأرض المُغلَّة . وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل المدلولات الآتية :

● القرى ، وذلك فى قوله : «وهم بين بخارى وسَمَرْقند ثم الفراغنة والشاش وإستيجاب وأهل بلاد الغاراب ، فبنوا المدن والضياع ، وانفرد منهم أناس غير هؤلاء فسكنوا البوادى»[5] .

● العقار ، «المنازل» ، وذلك فى قوله : «. . . يركبها الماء فترى الدنيا بيضاء ، وضياعها على روابى وتلال مثل الكواكب ، قد أحاطت المياه بها من كل وجه»[6] .

● الأرض المُغلَّة : وذلك فى قوله : «ولمن بأسوان من المسلمين ضياع كثيرة داخلة بأرض النوبة يؤدون خراجها إلى ملك النوبة ، وابتيعت هذه الضِّياع من النوبة فى صدر الزمان فى دولة بنى أمية وبنى العباس»[7] .

(١) المروج ١/ ١٧٧ .
(٢) المروج ١/ ٢١١ .
(٣) المروج ٢/ ٢٢٢ .
(٤) اللسان ٤/ ٢٦٢٤ .
(٥) المروج ١/ ١٣١ .
(٦) المروج ١/ ٣٣٩ .
(٧) المروج ٢/ ٢٢ .

الكُوَر : جاء فى اللسان : «الكُوْرة المدينة والصُّقْع والجمع : كُوَر ، وقال ابن سيده : الكورة من البلاد المِخْلاف ، وهى القرية من قرى اليمن ، وقال ابن دريد : لا أحسبه عربيًا»[١] .

والكورة فى اليونانية : Chora معناها بلاد ، وهى مأخوذة من قرية العبرانية بمعنى البلاد ، ثم نُقلت إلى السريانية «كورا» وإلى العربية «كورة» بمعنى قرية[٢] . وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلولين :

- المدن ، وذلك فى قوله : «ولجور وكوار وشيراز وغيرها من كُوَر فارس أخبار ، ولها فيها من البنيان أقاصيص يطول ذكرها قد دونتها الفرس»[٣] .

- القرى ، وذلك فى قوله : «فسرَّح إليهم علىٌّ معقل بن قيس الرياحى ، فقتل الحارث ومن معه من المرتدين بسيف البحر ، وسبى عيالهم وذراريهم ، وذلك بساحل البحرين ، فنزل معقل بن قيس بعض كور الأهواز بسبى القوم»[٤] .

الأعمال : العمل : المِهنة والفِعل (ج) أعمال ، وأعمال المركز ونحوه (فى التقسيم الإدارى) : ما يكون تحت حكمه ويُضاف إليه . يُقال : قرية فلان من أعمال مركز كذا[٥] .

وليس فى المعاجم العربية : (اللسان - القاموس المحيط - أساس البلاغة) لكلمة «أعمال» المدلول الوارد فى المعجم الوسيط ؛ وهو : ما يكون تحت حكمه أو يُضاف إليه ، وإنما المدلول الذى يوجد فى هذه المعاجم يتعلَّق بالمهنة والفعل وما يُشتق عنهما ، وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل دلالة متسعة تشمل المعانى الآتية :

- البلاد ، وذلك فى قوله : «فقام تحت فرسه المعروف بشبدار وهو المصوَّر فى الجبل ، وهو ببلاد قرماسين من أعمال الدينور . . . . .»[٦] .

- المدن ، وذلك فى قوله : «. . . وهذا اسم كل مَلِك يلى القنوج ، وهنا مدينة يقال لها بؤورة باسم ملوكهم ، وقد صارت اليوم فى حيز الإسلام وهى من أعمال المولتان ، ومن هذه المدينة يخرج أحد الأنهار»[٧] .

---

(١) اللسان ٥/ ٣٩٥٤ .
(٢) تفسير الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية ص ٦٥ .
(٣) المروج ٢/ ٢٥٥ .
(٤) المروج ٢/ ٤١٩ .
(٥) المعجم الوسيط ٢/ ٦٥١ .
(٦) المروج ١/ ٢٧٢ .
(٧) المروج ١/ ١٦٥ .

● ما يُضاف إلى الدولة من القرى والمدن ، وذلك فى قوله : «وليس فى سائر أنواع البقر ما يأوى المياه والجزائر والبحيرات إلا البقر المعروف بالحبشية التى تكون ببلاد مصر وأعمالها وبحيرة تنيس ودمياط وما اتصل بتلك الديار»[1] .

● القرية ، وذلك فى قوله : «ومعدن الزمرد فى عمل الصيد الأعلى من أعمال مدينة قفط ومنها يخرج هذا المعدن ، والموضع الذى فيه الزمرد يعرف بالخربة مفاوز وجبال»[2] .

● المملكة ، وذلك فى قوله : «زعم الفزارى أن عمل أمير المؤمنين من فرغانة وأقصى خراسان إلى طنجة بالمغرب ثلاثة آلاف وسبعمائة فرسخ . . . وعمل الصين من المشرق أحد وثلاثون ألف فرسخ فى سبعة آلاف فرسخ»[3] .

● الفِعْل والشُّغْل : وذلك فى قوله : «. . . فصبرا جميلاً حتى تنجلى عن وجه الحق ، وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم»[4] .

الأقاليم : الإقليم : واحد أقاليم الأرض السبعة . وأقاليم الأرض : أقسامها ، واحدها إقليم ، قال ابن دريد ، ولا أحسب الإقليم عربيا ، وقال الأزهرى : أحسبه عربيا ، وأهل الحساب يزعمون أن الدنيا سبعة أقاليم كل إقليم معلوم ، كأنه سُمِّى إقليم لأنه مقلوم من الإقليم الذى يتاخمه أى مقطوع[5] ، وقد أكد أحد الباحثين أن هذا اللفظ غير عربى وليس مشتقا من الفعل : قلم فهو مقلوم من الإقليم الذى يتاخمه أى مقطوع ، وإنما هو يونانى **Klima** ويراد به منطقة من مناطق الكرة الأرضية ويقابله فى العربية صُقْع وبُقْعة ومصر[6] . وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل المدلولات الآتية :

● البلاد ، وذلك فى قوله : «. . . والفرس تسميه المشئوم ، وفى أيامه كان الطاعون بالعراق وغيرها من الأقاليم ، فهلك فيه مائتا ألف من الناس»[7] .

● المملكة ، وذلك فى قوله : «. . . وأنه أول ملوك العالم ، وأن منزلته فيهم كمنزلة القمر فى الكواكب ، لأن إقليمه أشرف الأقاليم»[8] .

● أقسام الأرض السبعة ، وذلك فى قوله : «وأما الأقاليم السبعة فأولها أرض بابل منه

(١) المروج ٢/ ١٦ .
(٢) المروج ٢/ ٢٣ .
(٣) المروج ٢/ ٢٣٤ .
(٤) المروج ٢/ ٣٩٠ .
(٥) اللسان ٥/ ٣٧٣٠ .
(٦) تفسير الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية ص ٥٧ .
(٧) المروج ١/ ٢٨٠ .
(٨) المروج ١/ ١٦٠ .

خراسان وفارس والأهواز والموصل وأرض الجبال»[1] ، ومن خلال العبارة السابقة يمكن أن يكون المدلول لكلمة الإقليم - بالإضافة إلى أقسام الأرض السبعة - منطقة من مناطق الأرض لها أحوال مناخية ونظم اجتماعية خاصة .

الرُّسْتاق : جاء فى اللسان : الرُّزتاق والرُّستاق واحد فارسى مُعرَّب ، ألحقوه بقُرْطاس ، ويقال : رُزْداق ورُسْتاق والجمع : الرساتيق وهى السواد ، وقال ابن ميَّادة :

تقول خَوْدٌ ذاتُ طَرْفٍ بـرَّاقْ هلاَّ اشتريتَ حِنطةً بالرُّسْتاقْ

ولكن ابن السكيت يقول : رُسداق ورُزداق ولا تقل : رُستاق[2] .

وجاء فى القاموس المحيط : «الرُّزداق بالضم : السواد والقرى مُعرَّب من رُسْتا[3] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى فى صورتى المفرد والجمع تحمل مدلولاً واحدًا هو : «القرية - القرى» ، وذلك فى قوله : «وتبين ما عليه طاهر من الجدِّ وأهبة الحرب وضم الأطراف ، فعدل إلى رستاق من رساتيق الرّى متياسراً عن الطريق»[4] .

الأمصار : جاء فى اللسان : «المِصْر : الحاجز والحدُّ بين الشيئين ، قال الجوهرى : مِصْر هى المدينة المعروفة تذكَّر وتؤنَّث ، وسميت بذلك لتمَصُّرِها وقد زعموا أن الذى بناها إنما هو المِصْر بن نوح عليه السلام ، قال ابن سيده : ولا أدرى كيف ذاك ؟ وهى تُصرف ولا تُصرف . قال الليث : المِصْر فى كلام العرب كل كُورة تُقام فيها الحدود ويُقسم فيها الفىء والصدقات من غير مؤامرة للخليفة . وكان عمر رضي الله عنه مصَّر الأمصار منها البصرة والكوفة . والمِصْران : الكوفة والبصرة[5] .

نخلص مما سبق إلى أنَّ المِصْر تطلق على :

١ - البلد العربى المعروف «مِصْر» . ٢ - الحاجز والحد بين الشيئين .

٣ - الكُورة الكبيرة أو البلد . ٤ - إذا ثُنِّيَتْ تُطلق على الكوفة والبصرة .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى بصورة الإفراد والتثنية والجمع :

= ففى صورتها المفردة بدون التعريف تُطلق على البلد العربى المعروف «مِصْر» ، وذلك فى قوله: «. . . وهى مِصْر ، واسمها كمعناها ، وعلى اسمها سُمِّيت الأمصار ، ومنه اشتق هذا الاسم عند علماء البصريين»[6] .

(١) المروج ١/ ٨٧ . (٢) اللسان ٣/ ١٦٤٠ .

(٣) القاموس المحيط ٣/ ٢٢٨ . (٤) المروج ٣/ ٣٩٩ .

(٥) اللسان ٦/ ٤٢١٥ . (٦) المروج ١/ ٣٤٢ .

= وقد وردت بأل التعريفية لتعنى البلد أو الكُورة الكبيرة ، وذلك فى قوله : «واشرف هذا الإقليم مدينة السلام، ويعزُّ علىَّ ما أصارتنى إليه الأقدار من فراق هذا المِصْر الذى عن بقعته فُصلنا»[1].

= وقد وردت بصورة التثنية لتطلق على الكوفة والبصرة اللتين أمر الفاروق عمر بن الخطاب بتمصيرهما . وذلك فى قوله : «قال الحجَّاج : أما والله إنَّ فى قتلك أيها الشيخ لصلاح المِصْرين ، ثم أقبل يصعِّد بصره إليه ويصوِّبه»[2] .

وقد وردت بصورة الجمع تحمل مدلول : البلاد أو الكُوَر الكبيرة ، وذلك فى قوله : «وأكثر الخُرَّمية ببلاد خراسان والرَّى وأصبهان وأذربيجان . . وغيرها من تلك الأمصار»[3] .

الدَّولة : الدَّولة والدُّولة : العُقْبة فى المال والحرب على السواء ، وقيل : الدُّولة بالضم فى المال والدَّولة بالفتح فى الحرب والجمع : دُول ودِول . وقال الزجَّاج : الدُّولة اسم الشىء الذى يُتَداول ، والدَّولة الفعل والانتقال من حال الشدة إلى الرخاء[4] . وقال الليث : الدَّولة والدُّولة لغتان ، ومنه الإدالة الغَلَبة ، يُقال : أُديل لنا على أعدائنا : أى نُصرنا عليهم ، وكانت الدَّولة لنا» .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل المدلولات الآتية :

- الاستيلاء والغلبة : وذلك فى قوله : «والله لأن تُبقى على العرب جميعا وتُحسن إليهم فيكافئون عند إدالة الدولة لهم قومك بإحسانك ، وإن أنت طالت بك المدة كافؤك عند مصير المُلْك إليهم»[5] .

- الخلافة أو الحكم : وذلك فى قوله : «فقال السفاح : ما كنت لأفتتح دولتى بقتل رجل من شيعتى ، ولا سيما مثل أبى سَلَمة»[6] . ومن ذلك أيضًا قوله : «فجاء بها إلى الكُميت ، فقال : يا أبا المستهل ، أتيناك بجهد المقلّ ، ونحن فى دولة عدونا ، وقد جمعنا لك هذا المال وفيه حُلِىُّ النساء كما ترى»[7] .

المدينة – المدن – المدائن : جاء فى اللسان : مدن بالمكان : أقام به ومنه المدينة وهى فعيلة وتُجمع على مدائن بالهمز ومُدْن ومُدُن بالتخفيف والتثقيل ، والمدينة : الحصن يُبنى فى أُصْطمَّة الأرض – معظمها – ، وفلان مدَّن المدائن : كما يُقال مصَّر الأمصار ، والمدينة : المِصْر الكبير ، واسم مدينة رسول الله خاصة ، غلبت عليها تفخيمًا لها[8] .

(١) المروج ٢/ ٦٦ .
(٢) المروج ٣/ ١٣٧
(٣) المروج ٣/ ٣٠٥ ، ٣٠٦ .
(٤) الإلماع ٢/ ١٤٥٥ ، ١٤٥٦ .
(٥) المروج ١/ ٢٥٦ ، ٢٥٧ .
(٦) المروج ٣/ ٢٨٤ .
(٧) المروج ٣/ ٢٤٤ .
(٨) اللسان ٦/ ٤١٦٠ ، ٤١٦١ .

والمدينة : ستة عشر بلدا ، والمدائن مدينة كسرى قرب بغداد سُمِّيت لكبرها[1] .

نخلص مما سبق إلى أنَّ لفظة المدينة تحمل المعانى الآتية :

١ - الحصن يُبنى فى معظم الأرض .
٢ - المِصْر الكبير .
٣ - مدينة الرسول «يثرب» .
٤ - البلاد .

٥ - مدينة كسرى ملك الفرس فى حالة الجمع «مدائن» ، وهى على وزن «فعيلة» ، ومادتها المعجمية مدن ، وقد جاء فى اللسان رأى آخر فى قوله : «وهناك قول آخر : أنه مَفْعِلة من دِنْتُ أى ملكْتُ والميم زائدة»[2] ، ولكن الدكتور حجازى يُرجع هذه اللفظة إلى الآرامية ، وذلك بقوله : «وإذا كان ثَمْة خلاف فى تحديد الحروف الأصول فى كلمة «مدينة» ، فإن بحثها فى ضوء اللغات السامية يوضِّح أن الميم زائدة . ففى العربية والعبرية نجد كلمة «دين» بمعنى القانون ، وفى الآرامية «دينا» ، كما نجد فى العبرية «بيت دين» بمعنى المحكمة ، وفى العربية والعبرية «ديَّان» بمعنى القاضى ، وقد ظهرت كلمة «مدينة» فى الآرامية فى منطقة الشام قبل الإسلام بمعنى المنطقة الإدارية أو الدائرة القضائية مرتبطة بهذا المعنى القضائى الذى مازلنا نجده فى كلمات عربية مثل: دائن ، مدين ، أدان ، إدانة . . . إلخ[3] . وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل المدلولات الآتية :

- الدولة أو البلد ، وذلك فى قوله : «ومِصْر من سادات القرى ، ورؤساء المُدُن ، قال تعالى حاكيًا عن فرعون : أليس لى مُلْك مِصْر وهذه الأنهار تجرى من تحتى»[4] .

- الحصون ، وذلك فى قوله : «فتفرقوا فى تلك البقاع والبلاد وقطعوا الديار ، وكوَّروا الكور، ومصَّروا الأمصار ، ومدَّنوا المدن ، واتخذوا لمملكتهم مدينة عظيمة»[5] .

- المِصْر الكبير ، وذلك فى قوله : «وأسماء ملوكهم فى سائر الأعصار «أدنكبس» والمدينة العظمى من مدنهم ودار مملكتهم هى يست»[6] .

- مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وذلك فى قوله : «وكان دخوله عليه الصلاة والسلام إلى المدينة يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الأول»[7] .

---

(١) القاموس المحيط ٤/ ٢٦٦ .
(٢) اللسان ٦/ ٤١٦١ .
(٣) علم اللغة العربية ، د. محمود حجازى ، ص ٢٠٩ .
(٤) المروج ١/ ٣٤١ .
(٥) المروج ١/ ١٣٢ .
(٦) المروج ٢/ ٣٩ .
(٧) المروج ٢/ ٢٨٦ .

● مدينة كسرى ملك الفرس «المدائن» ، وذلك فى قوله : «وقد كان مَنْ قبله من ملوك الساسانية وكثير ممن سلف من فارس الأولى يسكن بطيسون ، وذلك بغربىّ المدائن من أرض العراق فسكن سابور فى الجانب الشرقى من المدائن ، وبنى هناك الإيوان المعروف بإيوان كسرى»[1] .

المملكة : سلطان المَلِك فى رعيته ، ويُقال : طالت مملكته وساءت مملكته ، وحسنت مملكته[2]، والمملكة : الدولة يحكمها مَلِك[3] . والمملكة : عِزُّ المَلِك وسلطانه وعبيده ورعاياه والجمع ، الممالك، وللمتنبى :

أعلى الممالك مَا يُبْنى على الأسَلِ ... والطَّعنُ عند محبيهنَّ كالقُبَلِ[4]

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلولين هما :

● الدولة يحكمها مَلِك ، ومن ذلك قوله : «ثم يلى مملكة اللاَّن أمة يقال لها كشك ، وهم بين جبل القبخ وبحر الروم»[5] .

● عِزُّ المُلْك وسلطانه ، وذلك فى قوله : وكان أهلها فى أطيب عيش وأرفهه ، وأهنأ حال ، وأرغد قرى ، وفى نهاية الخصب ، وطيب الهواء ، وصفاء الفضاء ، وتدفق الماء ، وقوة الشوكة ، واجتماع الكلمة ، ونهاية المملكة»[6] .

الدِّيار : الدَّار : المحلُّ يجمع البناء والعرصة ، أنثى ، قال ابن جنّى : هى من دار يدور لكثرة حركات الناس فيها والجمع أدْور وأدؤر فى أدنى العدد والكثير ديار ، والدار : الجَنَّة ، فإنَّ الجَنَّة تُسمى دار السلام ، وكل موضع حلَّ به قوم فهو دارهم ، والدَّار : البلد . حكى سيبويه : هذه الدار نعْمت البلد فأنَّث البلد على معنى الدار ، والدار اسم مدينة الرسول . ففى التنزيل : «والذين تبوأوا الدار والإيمان»[7] . وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى فى صورتى الإفراد والجمع والتضام تحمل المدلولات الآتية :

● البلاد ، وذلك فى قوله : «ثم مفاوضتنا أصناف الملوك على تغاير أخلاقهم وتباين هممهم وتباعد ديارهم»[8] . وأيضًا قوله : «وربما قتلوا النساء والولدان ، وشنوا الغارات فى تلك الديار»[9].

(١) المروج ١/ ٢٥٩ .
(٢) اللسان ٦/ ٤٢٦٧ .
(٣) المعجم الوسيط ٢/ ٩٢٢ .
(٤) الشامل د. عبد المنعم سيد ٣/ ٤٣٠ .
(٥) المروج ١/ ١٩٤ .
(٦) المروج ٢/ ١٨١ .
(٧) اللسان ٢/ ١٤٥٢ .
(٨) المروج ١/ ١١ .
(٩) المروج ١/ ٢٠٣ .

● عـاصمـة المملكة : ومـن ذلك قوله : «وكـذلك مـدائن قـوم لوط من أرض الأردن وبلاد فلسطين ، وكانت خمس مدن ، وكانت دار المملكة منها»[١] .

● المحل أو المنزل يأمـر المَلِك ببنائه لكى يُكرم فيـه ضيـوفه ، ومن ذلك قوله : «ثـم أمر بهم فأُنزلوا ، وأمر خادمًا له ، على دار الضيافة أن يحسن إليهم ويكرم مثواهم»[٢] .

● بناء يُخصَّـص لصناعة المراكب الحربيـة ، ومن ذلك قوله : «وحـمل إليه أيضًـا من جزيرة رودس وهى جزيرة مـقابلة للإسكندريـة على ليلة منها فى البـحر ، وهى أول بلاد الفـرنجة ، وهذه الجـزيرة فى وقتنـا هذا ، وهو سنة اثنتين وثلاثون وثلثـمـائة دار صناعة الروم ، وبهـا تنشـأ المراكب الحربية»[٣] .

● البيـوت تُتَّخذ للسكنى ، ومـن ذلك قوله : «وفى أيام عثـمان اقتنى جـماعة من الصـحابة الضياع والدور»[٤] .

● المنزل المُخصَّص للأميـر يقيم فيه ويرعى شئـون إمارته منه ، ومن ذلك قوله : «رأيت رأس الحسين جئ به ، فوضع فى دار الإمارة بالكوفة بين يدى ابن زياد»[٥] .

● قصر الخلافة الذى يقيم فيه خليفة المسلمين ، وذلك فى قوله : فلم أشعر ذات يوم إلا بقوم قد هجمـوا علىَّ ، وقالوا : أجب أمير المؤمنين ، فأيقنت بالموت فـركبت وليس علىَّ لحم ولا دم فلم أصل إلى الدار حتى استقبلنى عدة رسل»[٦] .

● دار بناها قُصَىُّ بن كـلاب يجتمع فيهـا العرب للبحث والمشاورة ، وانتـقلت إلى ولده حتى اشتـراها معـاوية وجعلهـا دارًا للخلافـة ينزلها عند الحج، وذلك فى قـوله : «لما حجَّ معـاوية طاف بالبيت، ومعه سعد ، فلما فرغ انصرف معاوية إلى دار الندوة ، فأجلسه معه على سريره»[٧] .

الأقطار : القُطْر بالضم : النـاحيـة والجانب ، والجـمع أقطار ، وقـومك أقطار البـلاد : على الظـرف، وهـى مـن الحـروف التى عـزلها سيبـويه ليفسِّر مـعانيها ، ولأنهـا غرائب ، وفى التنزيل العزيز : (من أقطار السموات والأرض) ، أقطارها : نواحيها واحدها قُطْر ، وكذلك أقتارها واحدها قُتْر[٨] .

(١) المروج ٢/ ١٠٩ .
(٢) المروج ٢/ ١١٥ .
(٣) المروج ١/ ٣٧١ .
(٤) المروج ٢/ ٣٤٢ .
(٥) المروج ٣/ ١١٧ .
(٦) المروج ٣/ ٢٧٧ .
(٧) المروج ٣/ ٢٣ .
(٨) اللسان ٥/ ٣٦٦٩ .

والقُطْر : تُطلق على جملة من البلاد والنواحى تتميز باسم خاص ، وقُطْر الدائرة فى الهندسة ، الخط المستقيم الذى يقسم الدائرة ومحيطها إلى قسمين متساويين مارًا بمركزها»[1] .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل المدلولات الآتية :

- النواحى : وذلك فى قوله : «تيمَّم أقطار البلاد ، فتارةً لدى شرقها الأقصى وطورًا إلى الغرب»[2] ، وكذلك فى قوله : «وهى جزيرة قد أحاط الماء حينئذ بأكثر أقطارها»[3] .

- الخط المستقيم الذى يقسم الدائرة ومحيطها إلى قسمين متساويين مارًا بمركزها ، وذلك فى قوله : «ومنها مدوَّر ومنها مُثلَّث إلاَّ أنَّ أسماءها فى هذا الكتاب باليونانية متعذّر فهمها ، وأنَّ قطر الأرض ألفان ومائة فرسخ يكون ذلك على التصحيح ستة آلاف وستمائة فرسخ»[4] .

- الدول أو البلاد ، وذلك فى قوله : «وبذلك اعتدلت ألوان أهله واقتدت أجسامهم ، فسلموا من شقرة الروم والصقالبة وسواد الحبشة وغلظ البربر ، ومن جفا من الأمم ، واجتمعت فيهم محاسن جميع الأقطار»[5] .

الرِّباع : الرَّبع : المنزل والدار بعينها ، والوطن متى كان وبأى مكان كان ، وهو مشتق من ذلك، وجمعه أربُع ورِباع ورُبُوع وأرباع ، وفى حديث أسامة : قال له عليه الصلاة السلام : وهل ترك لنا عقيل من رَبْع ؟ وفى رواية : مِنْ رِباع»[6] . وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مدلولين هما :

- دار الإقامة والمنزل ، وذلك فى قوله : «لم يلبس عليٌّ عليه السلام فى أيامه ثوبًا جديدًا ، ولا اقتنى ضَيْعة ولا رَبْعًا»[7] .

- الوطن ، وذلك فى قوله : «وانظروا محمدًا عبد الله فمن بغى منهما على صاحبه فردوه عن بغيه وقبِّحوا له بغيه ونُكْثه ، وأقطع فى ذلك اليوم أموالاً كثيرة وضياعًا ورباعًا»[8] .

القَصَبَة : «قَصَبَة البلد : مدينته ، وقيل معظمه ، وقصبة السواد ، مدينتها ، والقَصَبَة : جوف الحصن يُبنى فيه بناء هو أوسطه . والقَصَبَة : القرية ، وقصبة القرية : وسطها»[9] .

(١) المعجم البسيط ٢/ ٧٧٢ .
(٢) المروج ١/ ١٠ .
(٣) المروج ١/ ٣٤٦ .
(٤) المروج ١/ ٨٩ .
(٥) المروج ٢/ ٦٥ ، ٦٦
(٦) اللسان ٣/ ١٥٦٣ .
(٧) المروج ٢/ ٤٣١ .
(٨) المروج ٣/ ٣٧٦ .
(٩) اللسان ٥/ ٣٦٤١ .

وقد وردت هذه اللفظة فى كتاب المسعودى تحمل مـدلولاً واحدًا هو : مدينة البلد «العاصمة» ، وذلك فى قوله : «وفى عصر هذا الملك سار البُخت نصَّر ، وهو مَرْزُبَان العراق والعرب من قِبَل مَلِك فارس ، وكان يومئذ ببلخ ، وكانت قصبة الملك . . . .»[1] .

وكذلك قوله : «ودخل إلى مدينة طليطلة وكانت قصبة الأندلس ، ودار مملكتهم»[2] .

(١) المروج ١/ ٦٠ .

(٢) المروج ١/ ١٦١ .